

الحاج أحمد سهوم

الملحون المغربي

من منشورات « شؤون جماعية »
صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية

● الطبعة الأولى : نونبر 1993

طبع منها 3000 نسخة

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة

« شؤون جماعية »

الفهرس

6

تقديم : ثمرة الاحتضان .

7

موجز عن حياة المؤلف

9

المقدمة

15

الفصل الاول : فنون الملحنون الثلاثة

☆ "لمبيت" أو الملحنون العمودي

☆ "مكسور جناح" أو الملحنون المرسل

☆ "السوسي" أو النثر الفني في الملحنون

☆ "السرابا" أو الاغنية الملحونة

☆ اصطلاحات تقنية مطيلعات .. غروبيات .. سارحا ..

65

الفصل الثاني : أغراض الملحنون

☆ "التوسلات الالهية" بين الذهن والشعور والتصوف

☆ "الدائع النبوية" بين العقل والوجدان

☆ "لوصيات" بين الدين والدنيا والمجتمع والناس

☆ "الربيعيات" أو شعر الطبيعة في الملحنون

☆ "العشاق" في العاطفة والغزل ، والنسيب والتشبيب

☆ ملحنون الغربة ، والرحلات والمراسلة

☆ "الساق" خمريات الملحنون ، والرمزية الصوفية

☆ "الترجما" أو القصة الملحونة

215

الفصل الثالث : بديعيات الملحنون ، تضمين - تجريد - جناس

☆ وأخيرا ما معنى كلمة ملحنون ؟

تمرة الاحتضان

لا يحتاج الاستاذ أحمد سهوم الى تقديم .. كما لا يحتاج الملحن الى تعريف، فقد ظل ملازمين لبعضهما ما يزيد عن أربعين سنة، بليلاتها ونهاراتها، حتى أصبح الواحد منهما لا يذكر في غيبة الآخر.

وإذا كان عمر الملحن يقاس بعمر الأمة المغربية، منذ أن رأت نور الشمس، فإن شخصيته واغواره وسحر بيانه... ما كان لها أن تتجلى في شفافياتها، لو لم يقيض لها الله فنانا مبدعا، وبحاثا مقنعا، كالشاعر أحمد سهوم. فلقد كافح الرجل كفاحا مريرا منذ مطلع الخمسينات، لكي يكون اليوم للملحن هذا الحضور الواسع في حياتنا اليومية، وعبر أرجاء البلاد كلها، ببيوتاتها، وأنديتها، وأن يحوله الى سمر للفقراء، وجليس للأغنياء.

ولا ريب أن مدينة الصويرة كانت محظوظة يوم انتقل إليها علم من أعلام الملحن، واختار الإقامة فيها مواطنا صالحا، وعبقريا مثقلا بالاحلام والهموم المقترنة بمحنة الميلاد والنشوء والارتقاء. فلعل الصورة، بما تحمله من دلالات تراثية وشاعرية، وبما تمتاز به من سكينة وحوار داخلي مع التاريخ، ومع الانسان، كانت، كقطع من الاحجار الكريمة، قد ترسبت في وجدان هذا الشاعر، بأزقتها الضيقة، وحصونها الجبارة، ودفتها الذي لا يضاهى، فبقيت في قرارة الكأس الى أن حان الوقت المناسب.

وإذا تقوم اليوم مؤسسة « شؤون جماعية » باحتضان أستاذ الملحن والمنتج الاذاعي الشهير، ساعية الى نشر كتابه «الملحن المغربي» الذي كتبه في رحاب الصورة، فإنها بذلك تكرم الملحن ورجاله في شخص أحمد سهوم، وتؤكد مساهمتها في حفظ هذا التراث، بنفس القوة التي تدافع بها عن مجموع التراث الوطني والحضارة العربية الأصيلة. إن هذا العبقري الأصيل القادم من واحات تافيلالت، عبر همس القرون، وخطر الحضارات، أصبح جزءا من تراث الصورة، بما أسهم به من تجديد انتمائها للملحن، وكتابة تاريخها الفني.

فله الشكر والتقدير ... ونرجو الله أن يوفقه في مواصلة مسيرته الفنية الطموحة، حتى يعم فضلها على مدينتنا وعلى مملكتنا السعيدة

أحمد هناوي

مدير جريدة « شؤون جماعية »

هوجر عن حياة المؤلف



... ولدت عام 1936 بفاس الجديد ، من أمي عائشة بنت العربي ، الملقبة بـ « الغمرية » .. ومن والدي سيدي محمد بن علي الفيلاي .. غير أنني لا أتذكر جيدا ملامحه ، وإن كنت اسمعهم يقولون عنه بأنه كان عازفا ماهرا على الكمان لأغاني المراسوي (العيطة) .. وأنه كان يتوفر على مخزون ثقافي . وعندما توفي لم يترك وراءه من متاع الدنيا سوى « الغمرية » ، وأربعة ذكور ، هم : حنان ، والعربي ، وعبد العزيز ، الذي لم يعيش طويلا ، وأحمد سهوم

(آخر المصران) ، وأختنا جمعة .. والذي أتذكره أيضا هو أن عائلتنا كانت فقيرة جدا .

كانت بجانب دارنا امرأة ميسورة الحال ، لكنها لم تكن تنجب أطفالا ، ولما كانت أمي على علاقة وثيقة وطيبة بهذه السيدة ، فقد ألقيتني ، ذات يوم ، تحت رحمتها ! ولا أدري ما إذا كانت أمي قد أهدتني إياها ، أم أجرتني لها !

و هكذا فرض علي أن أنشأ في بيت غير بيتنا ، وبين أهل ليسوا هم أهلي ، بعيدا عن أمي وإخوتي . وكان زوج السيدة الميسورة يعمل سائقا لحافلة المسافرين ، يربط فاس بتافيلالت ذهابا وإيابا ، فيضطره عمله هذا إلى أن يتغيب عن داره أربعة أو خمسة أيام ، وليس بها سوى زوجته و خادمتها وهذا الطفل أحمد سهوم . ومع الأيام اهتدت هذه السيدة إلى طريقة ذكية تخفف بها من وحشتها وفراغها .

كانت - بفطرتها - مولعة بالفن والادب ، رغم أنها لم تكن قد حظيت بنصيب من التعليم والثقافة .. ومع ذلك فقد جعلت من دارها منتدى فنيا وثقافيا أشبه ما يكون - « صالون مي زيادة » في المشرق .. وكان هذا المنتدى قبلة لرواة العنترية ، والأزلية ، من أمثال « أبا الحمار » الذي كان يروي في كل لقاء فصلا من أزلياته ، ويترك الفصل الآخر للجلسة القادمة ، حرصا على التشويق كما كان يرتاده العازفون والمطربون ، من أمثال الكمنجاتي البارح حماد النشار ، والذي تتلمذ على يديه مشاهير فاس ، كالفنان محمد عمور المودن .



في هذا الجو ترعرع الفنان أحمد سهوم ، عندما كانت تأخذ الخادمة كل يوم إلى المسيد لحفظ القرآن ، وتعود به مساء ليجد الدار وقد امتلأت بكل أصناف الرجال المولعين ، وبالمجاهيب والدرابيش وعشاق طرب الملحون . وقد عرف هذا المنتدى بـ « دار زبيدة المراكشية » .. أما أحمد سهوم فكان يومئذ يلقب من طرف الصغار والكبار بـ « حميدة ولد زبيدة » !

بالنهار ينصرف إلى حفظ القرآن في المسيد ، وفي الليل ينخرط في حفظ قصائد الملحون وغنائها بين زمرة من المهوسين بالملحون والعازفين على الكمان ، وبين رواة عشاق العنترية والأزلية والمجاهيب !

هل كان فن الملحون قدرا مقدورا لهذا الطفل منذ نعومة أظفاره ؟

يبدو أن تقلبات الحياة ، وسنين التشرد لم تنجح في انتشاله من هذا المصير . فقد صادف ذات يوم ، عندما كان يقني بعض قصائد الملحون ، أن سمعه السيد أدريس العلمي ، وهو يومئذ من هو في شعراء الملحون .. فأعجب بصوته ، وقرر إسناد قصائده إليه ليغنيها بصوته . ومن يومها أصبح أدريس العلمي شيخ أحمد سهوم في الملحون .



... هذا فصل مختصر من حياتي ... في أعقابها بدأت تطرأ على نفسي تحولات خطيرة وغامضة . لم أعرف كيف أصبحت فجأة أكره الحياة عند هذه السيدة . فعندما فتحت عيني ، وجدت نفسي خارج أسرتي ، منفيا عن أمي وإخوتي ، أخضع لمراقبة

صارمة بين محور المسيد ودار زبيدة المراكشية . كنت محروما من اللعب ومن حرية الأطفال ، وكان إخوتي هنالك طليقين سعداء . كانت زبيدة المراكشية امرأة مصونة وقورة لا يحوم حولها الشك .. ذات أخلاق عالية ممتازة .. غير أنها كانت تعيش فراغا قاتلا ، تيسر لها أن تملأ بما هو مفيد . كانت شغوفة بالاستماع الى الموسيقى والى تبادل الافكار ... حتى أنها اكتسبت ثقافة لا بأس بها من خلال جلسات السمر .. وبدأت تتلقن دروسا شفوية في الاخلاق وفي الملحون وفي الموسيقى .

الذين يتذكرون فاس في ذلك التاريخ ، لا يزالون يتذكرون بيوتا أخرى على هذه الشاكلة ، إما وراها نساء مثل «يطو الشلحة» ، وإما رجال كسيدي محمد الحمري الذي كانت داره ملتقى للشيوخ والشعراء والكتاب ورجالات الحركة الوطنية ، ذلك أن حياة المغاربة آنئذ كانت تسودها عادات التكاثف والتضافر والتعاون في الامور الدنيوية والدينية .



لم يطق أحمد سهوم مواصلة العيش في دار زبيدة المراكشية .. لكنه لما أراد العودة الى بيته الأصلي رفضه هذا الوسط بقسوة وقظاظه ، معتبرا إياه غربيا .. فبرجع الى الدار الثانية مكسور الجناح ، فتقابلته السيدة المراكشية بالعنف ، انتقاما من هروبه من بيتها . و تكررت رحلة الكر والفر المأساويتين بين الدار الراضة والدار القاسية ، الى أن عيل صبره ، فقرر الهجرة بعيدا عن الدارين معا ... وهام في الأرض على وجهه طريدا شريدا ، مدة عامين كاملين ، بين دروب فاس ، ومكناس ، ومراكش ، وتادلة ، وسلا ... منتقلا بين حوانيت الخرازة ، حيث كان يكسب عيشه اليومي .. وقد أفاده ذلك كثيرا في الاختلاط بالصناع التقليديين ، الذين كان بينهم شعراء وفنانون ومفكرون وسياسيون .

لقد تعلم أحمد سهوم داخل السور بفاس القديمة ، وبالضبط في حي مولاي عبد الله ، المبادئ الاولى لحرفة الخرازة في دكان الخراز محمد الطالب . وفي هذا الدكان كان يجتمع الناس من مختلف المستويات والاهتمامات ، يتبادلون الفن والعلم والافكار الوطنية ، وجديد الاخبار المحلية والدولية ، فكنت تجد بهذا الدكان الامراء ، من أمثال الأمير مولاي الامين ، والامير مولاي مصطفى الحافظي ، والأمير مولاي عبد السلام ولد مولاي عثمان - الخليفة السلطاني بفاس يومئذ ... وكنت تجد الى جانبهم العلماء والفقهاء .. وكان يتردد عليه المرحومان علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني ، قبل أن تفرقهما السياسة !

كان ذلك بين سنوات 1945 و 1947 قبل سفر المرحوم محمد الخامس الى مدينة طنجة سفرته المشهورة : في تلك الفترة التحق أحمد سهوم بمدرسة القرويين .. لكن سلطة الملحون عليه كانت قوية .. فقد ترسبت في وجدانه كأمواج جارفة .. ولم يشعر طالب القرويين إلا وهو محاصر من كل جانب بالملحون ، يقرؤه ويفسره ، باحثا عن مصادره وروافده ، منشغلا به الى درجة التصوف .

هكذا بدأت رحلة أحمد سهوم مع فن الملحون

من حوار أجرته معه

جريدة « شؤون جماعية »

في عددها لشهر يناير 1993



الحمد لله رب العالمين ،

والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وصحابه أجمعين .

«إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ، ليست جديرة بالاعتبار .

ونحمد الله على أن لنا تراثا .. وحضارة .. وتاريخا في العمران والعلم ، والادب والشعر والطرب .

وفي الشعر والطرب ، لنا الموسيقى الموروثة عن الاندلس ، ولنا الملحن الذي تاصل عن بيئتنا القديمة ، وطبيعتنا الخاصة .

وهذا الملحن يحق لنا أن نتدارسه ، ونعرف به ، ونؤرخ له ونستخرجه من ظلماته المطبقة ، بيد أن الحكم على الشيء ،

يستلزم إدراكه . .. »

بهذه الكلمات صدر لي أحد أساتذتي الاجلاء ، أول مقال كتبته عن الملحن في الخمسينات ، ونشرته مجلة الاذاعة الوطنية التي كان يشرف على تحريرها يومئذ ، إنه الانسان الفاضل الكريم ، الطيب القلب ، الاستاذ عبد الله شقرون ...

وإذ أصدر هذا الكتاب ، الذي أكتبته في أوائل التسعينيات ، بنفس الكلمات التي صدر بها مقال الخمسينيات ، فلان هذه الكلمات كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لي ، بل ورافقتني أزيد من ثلاثة عقود ، كورقة عمل ، لا أتحرّك إلا في إطارها ، ولا أعمل إلا وفق مقتضياتها .

والحق أنه لا يمكن لأحد أن يقدر هذه الكلمات حق قدرها ، إلا إذا كان قد بلغه خبر ما عانيت يومئذ ، وأنا أحاول أن أجعل لجنة البرامج الاذاعية توافق على إذاعة ركن "الادب الشعبي" ولو مرة واحدة في الاسبوع ... وبعض أعضاء اللجنة يقول : "ماذا يمكن أن يكون في هذا الملحن حتى نخصص له برامج إذاعية ؟ ... والبعض الآخر يتسائل في سخرية لأذعة : "وإش هذ الملحن هو ذاك اللي كايدبروا به لحاقي ؟" في هذه الفترة بالذات ، وأنا أتجرع كؤوس الخيبة والهوان والذل ، يطلع مقالتي الاول في مجلة الاذاعة الوطنية .. وقد افتحه هذا الانسان الممتاز ، المدعو عبد الله شقرون بقوله : "إن التنكر لتراث الاجداد جناية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ليست جديرة بالاعتبار" وانطلق ركن "الادب الشعبي" ، وانطلقت بعده إلى الآن برامج وبرامج "مع التراث" كل عشية ، ملحن ، طقطوقة جبيلية ، مرساوي ، حصباوي بروال .

و"مع الاغاني كل صباح" و "البيت السعيد" و "مشاهد باسمة" والبا مساعف "والبرنامج التلفزيوني "التراث الحي" واطلالات على التراث " وإبداعات وإبداعات ... كانت هذه الكلمات بالنسبة لها كالضوء الاخضر الذي يؤذن ببدء الانطلاق .

هذا عن الكلمات التي صدرت بها هذا الكتاب ...

أما الكتاب فيمكن اعتباره بداية الطلب ، كما يمكن اعتباره نهاية الارب ... بداية الطلب بالنسبة للباحثين والدارسين وكل المهتمين ، لانه اليخت الذي يمكنهم الابحار به في كل بحار الملحن ، والعودة منها بالف خير وسلامة ، وهو يخت متقدم الصنع ، ويقدر حتى على الفوص إذا لزم الامر .

ونهاية الارب بالنسبة لعشاق الملحن وهواته ، بل وحتى بالنسبة للقارئ الذي يقرأ قصد الاطلاع ، أو الذي يقرأ من أجل

الفرجة أو المتعة ...

فالنصوص الكاملة التي نشرتها تحت مساقط ضوء شاملة ساطعة ، وفي مختلف الموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب وصل عددها الى الاربعين ، والمقطوعات التي تعتمد الوحدة العروضية ، أو الابيات التي ترجع الى الملحون العمودي القديم ، والتي سقتها للدلالة هنا وهناك ، يصل عددها الى الالف . أما الشروح التي وضعتها للمصطلحات التقنية وغير التقنية ، قصد تقريبها إلى الاذهان ، أما التحليلات التي أرفقتها ببعض غرر قصائد الملحون لتوصيلها إلى أعماق القلوب ، فذلك كله وغيره مما لاداعي لذكره في هذه المقدمة ، قد جاء والله الحمد فوق الوصف .

لقد أقمت هذا الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الاول :

* الشكل في فنون الملحون

الفصل الثاني :

* مضامين الملحون

الفصل الثالث :

* فنون البلاغة في الملحون

وبما أن بحث الشكل بأدق تفاصيله لا يهم إلا القارئ المهتم أو القارئ المتخصص ، أو على الأقل المتتبع ، وهم قلة جد قليلة وبالاخص في موضوع هذا الكتاب ، فقد أرتأيت أن أتناوله ببعض التفصيل لا بكل التفصيل ، وذلك لأخلص سريعا إلى مضامين فنون القول في الملحون الى المتعة .. إلى الفرجة .. إلى التحصيل .. إلى شؤون الفكر ، ومجالات المعرفة ، وقضايا الثقافة .

وهكذا ، فقد تناولت الشكل باختصار لا إفراط فيه يسبب للقارئ العادي السأم أو الضجر ، ولا تفريط يفوت على الدارس أو الباحث فرصة تتبع ميكانيزمات الشكل في سائر فنون القول الملحون .

تتبع أوزان القصائد التي لا تعتمد إلا الصدر والعجز فقط إلى أن فاق عددها عدد أوزان الخليل فقابلتها بها .

وتتبع القصائد التي يتكون البيت الواحد فيها من ثلاثة اشطار ... فاربعة ... فخمسة ، إلى أن بلغت العدد الكافي فقابلته بشعر الفروع والفصون من موشحات وأجزال وماشبه ...

وعند الفراغ من ملحون النغمات الايقاعية التركيبية، التي تنبني عليها الالفاظ لتشكل هذا السلم أو ذاك ... انتقلت إلى شعر الوحدات العروضية ، "مكسور جناح" وقابلته بالشعر الحر ، أو المرسل ، ثم النثر الفني في الملحون ، "السوسي" وأخيرا الاغنية الملحونة أو «السرابا» ، وبطبيعة الحال لم أغفل الاصطلاحات التقنية الاساسية التي لها علاقة وثيقة بالشكل في كل فنون القول الملحون .

وفي الفصل الثاني حددت الموضوعات الرئيسية التي تعامل معها الملحون في الماضي والحاضر ، وتناولت منها سبعة أغراض هي :

" التوسلات " " المدائح " " الوصيات " " الربيع " " العشق " " الساقى " " الترجمة " ، على أن أتناول الباقي في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

أما الفصل الثالث والآخر ، فهو فصل بلاغة الفصيح ، وكما هي في فنون القول الملحون ، بما فيها البديع ، جناس ، اشتقاق لزوم ما لا يلزم الخ ... الخ ...

ويبقى الكتاب في مجمله كتاب الشعر الملحون ، وليس كتاب شعراء الملحون ...

فإننا وإن كنت أعلم أن " الشاعر ابن بيئته " وأن التأريخ له لا بد منه ... لم أعتد الكتب التي أشارت إلى بعض شعراء الملحون كالاعلام والاتحاف في الماضي ، ولا الكتب الخاصة بالملحون كالقصيدة والمعلمة في الحاضر ... ولم أستأنس بالمستشرقين الذين تناولوا الملحون ، وإنما اكتفيت فقط بالإشارات التي أجدها في القصائد نفسها ، والتي تحدد زمان ومكان الشاعر بما لا يقبل الشك .

فعلت ذلك حتى لا أجهض التراجم المستفيضة التي هيأتها لكتاب : " اعلام الملحون " أولا ... ولكي لا أفوت على القارئ فرصة التمتع بكبير عدد ممكن من النصوص الكاملة ثانيا ، ولأ نني لا أريد لذاك الانسياب العفوي السلس أن يتعثر بين كل حين وآخر ... في فقرات من هذا الكتاب وأخرى من ذاك ، فإن أنا أفصحت فبلغت واستطعت أن أجعل القارئ يحس بروعة هذا التراث وجماله وكماله وشموليته ، فذلك ما أتمناه وأصير إليه ... وإن أنا قصرت فاعلمت : وانتهى القارئ من القراءة لي كمثل ما بدأ ... ف ... العذر ... العذرا والكمال لله على كل حال .

أحمد مهورم



فنون القول في الملحون

✱ فنون القول في الملحون ثلاثة ✱

- 1 / الشعر العمودي ، ويسمى "لَمِينِيَّة"
- 2 / الشعر الذي حاولوا تحريره من الاوزان العمودية ويسمى "مَكْسُورُ جَنَاح"
- 3 / النثر الفني ، ويسمى "السُّوسِي"

وسنحاول في هذا الفصل إن شاء الله ، أن نعرف بشكل كل فن من هذه الفنون على حدة .

1 / الشعر العمودي الذي يسمى "لَمِينِيَّة" يتكون من أربع "مَرَمَات"

- 1 - "المَرْمَأُ" المثنية
- ب - "المَرْمَأُ" الثلاثية
- ج - "المَرْمَأُ" الرباعية
- د - "المَرْمَأُ" الخماسية

ولكل مَرْمَأٍ من هذه "المَرَمَات" الأربع "قياسات" ، سوف نستعرض منها ما يكفي للدلالة عليها . إنما قبل ذلك لا بد من وقفة قصيرة أمام هذه التسمية "المَرْمَأُ" و "قِيَّاسَاتُهَا" .

ربما لا يخفى على أحد أن فن الملحون نشأ في ربوع سجلماسة ، ونما وترعرع في كل من مراكش ، فاس ، مكناس ، سلا أي في أحضان الصناعة التقليدية ، التي كانت ولا تزال متمركزة في هذه المدن .

ولا غرابة ، والحالة هاته ، أن تكون جل المصطلحات التي استعملتها مدرسة الملحون القديمة ما هي إلا من عطايات الصانع التقليدي ، ومنها بطبيعة الحال هذا الاصطلاح الذي وقفنا عنده "المَرْمَأُ" و "قِيَّاسَاتُهَا" .

ذلك لأن «المَرْمَأُ» تسمية تطلق على الآلة الصناعية التقليدية المختلفة الحجم والشكل والتي يستعملها الحارار والدُرَّاز ، كما تستعملها "الطَّرَازَة" و"النَّسَاجَة" .

وكذلك «الْقِيَاسُ» لأنه وكما يقال «كُلُّ مَرْمَأٍ وَقِيَّاسَاتُهَا» فكما أن لكل من "الحَرَّار" ، و"الطَّرَازَة" ، و"الدُرَّاز" و"النَّسَاجَة" مَرْمَأٌ خاصة ، و«قِيَّاسَات» تخص تلك «لَمَرْمَأُ الخاصة» ، ولا تستعمل في غيرها ، كذلك لكل مبدع من مبدعي الاوزان - بَنُ حَسِينُ الجَدِّ ، بَنُ حَسِينُ الحَفِيدِ ، حَمَادُ الحَمْرِي ، وَلَدُ بُوَعْمَرِ المَغْرَاوِي ، المَصْمُودِي ، مَنِيرَة - مَرْمَأٌ خاصة ، و«قِيَّاسَات» تستعمل في تلك «لمرما» ولا تستعمل في غيرها ، ومع أن إنشاء «لمرما» توقف منذ حوالي 1780 ، إلا أن لقياسات « ظلت

تلتحق بهذه «لَمَرَمَات» إما من بعض مجددي الملحون - سيدي قنور ، « بَنَعْلِي » بَنَسْلِيمَانُ ، « السِّي التَّهَامِي وَإِذَا مِنْ فَنُونِ الْقَوْلِ الْمُحَلِيَةِ فِي هَذِهِ الْجِهَةِ أَوْ فِي تِلْكَ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا ، وَسَوْفَ تَتَعَقَّبُ هَذِهِ « الْقِيَاسَاتُ » بِقَدْرِ لَا إِفْرَاطَ فِيهِ وَلَا تَفَرِيطَ . وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْعَبْقَرِيَّ الْجَرِيئَ سَيِّدِي مُحَمَّدَ وَلَدَ بُوَعْمَرِ مَبْدَعٍ « مَكْسُورِ جَنَاحٍ » إِذْ يَقُولُ :

- الْمُعَانِي هِيَ الطُّيُورُ

- وَالْفَقُورُ مَنْ لَمَرَمَاتُ

- وَالْقِيَاسَاتُ

- وَالْمَسَادُ

- الْقَافِيَاتُ

- أَحْ أَنَا ...

سيأتي معنا ذكر هذا الرجل الفذ عند تناولنا للقسم الثاني من أقسام الملحون أو هو الفن الثاني من فنون القول الملحون . أما الآن « وبعد هذه الوقفة القصيرة قصد توضيح إصطلاح « لَمَرَمَاتُ وَالْقِيَاسَاتُ » نشرع في تتبعها الواحدة تلو الأخرى .

١ « لَمَرَمَاتُ الْمُثَنِّيَّة »

يطلق إصطلاح « لَمَرَمَاتُ الْمُثَنِّيَّة » على سائر الإبداعات الشعرية الملحونة التي تقتصر في أبياتها على الصدر والعجز فقط ، أو بإصطلاح أهل الملحون « لَمَرَمَاتُ وَالْقِيَاسَاتُ »

الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ فِ غُصَانُو وَشَجَارِ وَالنَّخْلُ وَاطْيَارُ

اِسْبَحُو لِسَيِّدِي رَبِّي وَالْمَافُ : قَلْبُ كُلِّ غَدِيرِ

هكذا تمضي القصيدة ، الصدر والعجز فقط ، من البداية الى النهاية ومع ان التصريح في الشعر الملحون ليس مكانه هذا الفصل ، وإنما مكانه : « البديع » من فصل « فنون البلاغة في الملحون » مع ذلك اريد ان الفت الانتباه الى ان القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الصدر والعجز الى نهاية القصيدة وليس في العجز فقط كما هو الحال في الشعر الفصيح :

☆ فَصَلِ الرَّبِيعَ نَاسِجَ حُلَا فِيهَا عَقُولُنَا تَحْتَارُ

مَا هِيَ مِنْ الْوَيْزِ مَا هِيَ مِنْ صُوفٍ أَوْ مِنْ لَحْرِيرِ ☆

- ☆ حُلَا مِنْ الضِيَا لَمْلُونُ مَا هِيَ صَنَعَتْ شَيْءَ حَرَارُ
- ☆ اَمْتَبَتَا وَمَاشِي بِالْجَوْهَرِ أَوْ بِالذَّهَبِ لَمْنِيرُ
- ☆ اللَّهُ عَظَّمَ الْقَلْبَ الْمَحْرُوقُ إِلَى اتَّجِيبَ لَوْ الْإِبْصَارُ
- ☆ نَظَرًا مِّنَ الْحَرَاكِ الْخَضِرَا وَتَخَمَّرُوا بِلَا تَخْمِيرُ
- ☆ اللَّهُ عَنِ النَّفْسِ إِلَى تَاهَتْ فِي تَسَارُحِ النَّوَارُ
- ☆ وَنَفَاسُ وَاسْقَا الْإِنْسَايِمَ لَمْعَطَرًا بِكُلِّ غَبِيرُ
- ☆ اللَّهُ عَنِ الرُّوحِ الَّتِي خَلَّخَهَا السَّمْعُ بَيْنَ خُضَارُ
- ☆ مَنْ حَيْثُ جَابَ لَهَا الْإِنْتِغَامُ أَمْعَا وَزَانَ فَرَقَ الطَّيْرُ

هكذا هي القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الشطرين معا مهما تعددت أبيات القصيدة .
ولنعتبر هذا الوزن الذي قامت عليه رباعية الحمري : «القياس» الاول من «لَمْرَمًا الْمَثْنِيَّة» . والغالب على الظن أن واضح هذا
القياس : هو الشيخ الجليل مولاي عبد الله بن حسين الجد ... ذلك لانه ليس هو صاحب القصيدة :

- وَصَفَ الْهَوَى وَعَدُو خَبَرُوا بِهِ الْكُتُوبُ
- صَفَى نَعْدَلِيكَ حَسَابُ عَدَاوُ
- عَلَى لَلِّي سَوَّلَ بَجْهَانُو
- وَجَالَ مُحَالَ فَنَرَشَانُو
- عَلَى اسْتَانُو
- لَلِّي رَادُ
- مَعَ مَرَادُو

فهذه القصيدة هي للحفيد ... وقد ساند بها ولد بو عمر شكلا ومضمونا ، كما سيأتي بيان ذلك في الحديث عن نشأة
«مكسور جناح» الذي نشأ بعد وفاة بن حسين الجد بأزيد من نصف قرن ... نعم ابتكر بن حسين الجد «لرما المثنية» ،
و «لرما الثلاثية» ولكنه لم يعرف «مكسور جناح» ولا سمع به .. ونعم قصد القصيدة الملحونة ، ولكن للمناجاة الإلهية ،

والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية وليس للحب والهوى والغرام ...

على كل حال كتب ابن حسين الجد في هذا القياس :

★ لله تَبَّ يَارَاسِي وَرَجَعَ لِلْغَنَى الضُّوِّيَانُ

يَزَاكَ مَنْ الْغَفْلَا وَقَصَلَ مَا بَيْنَ كُلِّ زَيْنٍ وَشَيْنٍ ★

وكتب فيه تلميذه «حمادى الحمري» الريبعية الانفة الذكر ثم جاء ولد بوعمر فكتب :

★ الْعَاقِلُ الْفُطَيْنُ إِلَى كَانَ مَعَ رَبَائِعِ الْحُمَاقِ

هُوَ يَكُونُ الْاَحْمَقُ وَالْحُومَقُ عَاقِلِينَ بِالتَّحْقِيقِ ★

وتبقى إبداعات ابن حسين الجد ، وحماد الحمري ، وولد بوعمر وبن أحسين الحفيد ، هي كل ما في هذا «القياس» من العصر السعدي ، إلى عهد الملك الجليل مولاي سليمان العلوي لكن ابتداء من هذا العهد ... بدأ العمل بهذا الوزن من جديد ، إذ جعله ابن علي ، ولد أرزبن «قياس» لشوقيته التي لازمتها :

★ صَلُّوا عَلَى الصَّدِيقِ الصَّادِقِ جَدِّ الْأَشْرَافِ نُورِ الْعَيْنِ

إِمَامِ الْاِتِّبَا بَلْقَاسَمَ مَحْبُوبِ رَبَّنَا الرَّحْمَانِ ★

وكتب فيه الحاج محمد بنمسعود الازموري هذه الاستغاثه :

★ أَيَا سَرِيعِ الْاِغَاثَةِ وَقَتِ مَا سَتَاغَتْ الْمَضْطَرُ

وَلَا اللَّيْ يَغِيثِ الْمَضْطَرُ إِلَّا الْعَالَمُ بَ : حَالُو ★

وكتب فيه ابراهيم السوفاني هذا المديح النبوي :

★ رَحِمَاً لِكُلِّ مَا فَ : الْأَرْضُ وَشَفِيعَنَا فِ يَوْمِ الْعَرْضِ

وَاللَّهُ وَاعْدُو بِالْمَعْطَى حَتَّى حَبِيبِنَا يَرْضَا ★

ويستمر العمل بهذا الوزن ... وتكثر فيه القصائد ، الى أن يأتي مولاي علي العلوي : فيكتب فيه سنة 1954 أروع قصيدة عرفها الملحون التضالي ... إنها «حورية» ، والمرأة هنا رمز للحرية والانعقاد :

★ أَنَا اللَّيْ سَبَبَاتِ الْقَلْبِ وَغَفْلِي وَدُوحِ دَاتِي حُورِيَا

عَنْهَا نَمُوتُ بِهَا نَحْيَا يَمْتَى نَعُودُ ... ؟ يَمْتَى يَا لَخْوَانِ ★

اتفقنا على اعتبار هذه «لرما» هي الاولى من بين سائر «مرمات» الشعر الملحون ، وأن هذا الوزن أول «قياس» في هذه «لرما» بقي أن أضيف أن هذا «القياس» يقوم على عشر حركات في الصدر ومثلها في العجز .
«القياس الثاني» من «لرما المثنية» يقوم على تسع حركات في الصدر ومثلها في العجز ويسمى «قياس مشرقى» ، لأنه ليس من إنشاء أهل الملحون ، وإنما هو أحد الأوزان المحلية في الأدب الشعبي بالمغرب الشرقي ، وسوف يأتي معنا ذكره عند تناولنا لبعض المصطلحات التقنية : «لشرقى» «لعروبي» «لطيلمات» «السارحة» «السراية» وما شابه . ويبدو أن ولد بوعمر ، هو أول من كتب في «قياس مشرقى» ...

☆ هَذَا وَهَنِّي رَتَّحْ وَرَتَّاحْ يَا الْمَلْحَاحْ

عَشَّشْ وَعِشْ .. وَعِيشْ فَارِقْ أَشْحَاحْ ... ☆

طبعاً لا نستطيع ذكر كل ما في هذا الوزن من قصائد ، ولو بالعناوين .. لأن عدد قصائده تريبو عن الالف قصيدة ، وباستعراض بعض ما لشاعر أو اثنين من قصائد في طبع المشرقى ، تتبين استحالة الاتيان بكل ما كتب فيه الشعراء ، من عصر ولد بوعمر الى زماننا هذا ، فمثلاً سيدي عبد القادر كتب فيه : «دُرَّتْ الْكَوَاكِبْ»

☆ يَا مَشِيْمَمَ لَعَوَاتِقْ يَا سِرَاجَ الْاَهْدَابْ

يَا الشَّمْسُ الْمَحْجُوبَا دُرَّتْ الْكَوَاكِبْ ☆

وكتب فيه «المزيان»

☆ جَدُّ وَعَطْفٌ وَشَفَقٌ بَرَضَاكَ يَا الْمَزِيَّانْ

عَفَّ وَسَمَحَ لِيَسِيرَ هَوَاكَ يَا لَهَاجَرَ ☆

وكتب فيه «التايب»

☆ لَعَبٌ مِّنْ غَيْرِ شَطَارًا فَوْقَ رُؤُسِ حَرَبَاتْ

هَكَذَاكَ ابْنَادَمْ مَثَلَتْ فِي عَشْرَتُو ☆

وكتب فيه «الدار»

☆ أَشْ مِنْ عَارٍ عَلَيْكُمْ يَا رَجَالَ مَكْنَّاسْ

مَشَاتْ دَاوِي فَحَمَاكُمْ يَا أَهْلَ الْكِرَايمِ ☆

وكتب فيه « الشافي »

★ يَالشَّافِي بِحُكْمَتِكَ حَالُ كُلِّ مَضْرُورٍ

★ شَفِي عَلاَئِلُ دَاتِي مَنْ دَ الْوَجَاعُ نَبْرًا

وكتب فيه « إدريس الأكبر »

★ يَا حَفِيدَ الْمُصْطَفَى يَا الْفَوْتَ لَهُمَامُ

★ غُثْنَا يَا مُوَلَايَ إِدْرِيسُ يَا لِكُرَائِمِ

وكتب فيه « التوسل »

★ يَا الْوَاجِدَ بِالصُّرْخَا عِنْدَ ضَيْقَتِ الْحَالِ

★ جَلَّ مُوَلَايَا عَنْ شَبَّةِ الْمَثَالِ عَالِي

وكتب فيه « مدرسة الصوفية »

★ تَاجِرُ بَغِيرٍ بِضَاعَةٌ بِالْفُضُولِ يَتَهَامُ

★ كَيْ دَخَلَ يَخْرُجُ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوِمُ

وكم من مديح للاولياء ، وكم من اجتماعيات ...

ونجد - ودائما على سبيل المثال لا الحصر - السي التهامي لدغري يكتب في "قياس مشرقى" «العرصة» :

★ يَا لْعَرِصَةِ صَوْلِي صَوْلِي بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ

★ سَاكُنُكَ سَيِّدِي وَلَدُ السَّاكُنِينَ طَيْبًا

وقصيدة "الربيع"

★ جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَصَلَ الرَّبِيعُ بِرِضَاهُ

★ مَا بَقِيَ غَيْرَ اللَّهِ وَرَاهُ لِلنَّزْهَا

وقصيدة : "الجفن"

★ مَا لَ جَفْنِي يَبْكِي بِالدَّمْعِ لَيْلَ وَأَنْهَارَ

★ مَا لَ جَفْنُ حَبِيبِي سَاحِي مَنِ الدَّمُوعِ ★

وقصيدة : "لام مرشوق"

★ لَا يَعِيدُ لِفِرَاقِ الْمَعْشُوقِ يَا لِعَشَاقِ

★ بَعْدَمَا عَنَقْنِي تَعْنَاقَ لَامَ مَرَشُوقِ ★

وفي هذا الوزن كتب متيرد أصدق قصائده العاطفية ، ولا أقول الغرامية أو الغزلية لا العاطفية ... كما سنرى في فصل الاغراض والموضوعات :

★ فَاطِمَةُ شَرَعَ اللَّهُ مَعَكَ بَيْنَ الْأَرْيَامِ

★ وَأَشْ الْحَبِيبُ يَكَا فِي بِالْجَفَا حَبِيبُ ★

ولشعراء آخرين قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة ، بل الشعراء الذين ذكرتهم لهم قصائد أخرى لم أذكرها ، إن هذا الوزن بالذات يسمونه : "لحويط لقصير" ، لانه من السهولة والبساطة ، بحيث يستطيع أن يكتب فيه الاقل من ناظم ، فضلا عن الناظم الممتاز ، والشاعر الفحل .

"أقياس مشرقي" في الملحون كالرجز في الشعر الفصيح ، وليس من بين شعراء الملحون من لم يكتب فيه خمس قصائد أو ست ، بل إن منهم من لم يكتب طوال حياته إلا في هذا الوزن مثل لهويتر ، والحاج اعمار ، فما عرفنا لاي واحد منهما أية قصيدة في أي وزن آخر .

"القياس" الثالث من لمرما المثنوية "كتب فيه عبد القادر العلمي" حجوبة "8 + 12" :

★ شَفَقِي مَنِ حَالِ اللَّيِّ هَوَاكَ تَدْبُلُ لَوْنُو وَسَفَرَتْ وَرَقْتُو يَا حَجُوبَا ★

★ تَعْلَمِي وَتَحَقِّي بَيْنَ عَوْضِكَ مَا كَانَ حَبِيبَ ★

كتب فيه التهامي لدغري "الصبوحى"

★ غَنَمَ صَبُوحِي يَا نَدِيمَ وَسَطَابِ رَضِيعِ الْكَاسِ وَالْأَطْيَارِ فِ مَفْنَاهَا ★

★ لَا تَرْتَا يَا سَاقِي وَكَبْ وَرَا رَبِّي سَمَاحَ ★

وكتب فيه "الدبجور"

★ شَوْفَ الشُّكَايَا ، شِي شَكَا بَحْبُو ، شِي بِالْفُرْقَا ، وَشِي بَعَشَقُو وَغَرَامُو ★

★ شِي مَنِ الْجَفَا ، شِي جَايِبَ الْهَدِيَا يَرْحَلُ وَقِيمَ ★

وكتب فيه : لغويي " المرسول :

★ خَبَّرْنِي يَا مَرْسُولُ عَنْ سَرَّاجِ أَعْيَانِي وَأَشْمَعَنْ أَنَّهُارَ نَظْفَرٍ يُوصَالُو ★

★ عَرَّاضُ الرِّينِ أَنَا عَيْدٌ وَمَوْلَايُ الْفَتَّانِ ★

وكتب فيه : " الجيلالي لعقيقي " " الخللان "

★ خَلْخَالَ عَوِيشًا دُرَّتْ الْبَهَا فِي مَكْتُوبِي يَا وَلَيْفَ دَرَّتُو وَمَشَالِي ★

★ كَيْفَ الْمَعْمُولُ إِلَى اتْسَالِنِي مَوْلَاتِ الْخَلْخَالِ ★

وكتب فيه " العيساوي الفلوس : " الدملج "

★ دَمْلِجْ زَمِيرُو سَابِغِ الشَّقَرِ كَانَ فِ : جِيْبِي يَأْهَلِ الْهُوَى وَمَشَالِي ★

★ بِأَشْ أَنْجَاوَبْ مَنْ اللَّيِّ اتْسَالْ عَنُو سَابِغِ الْإِشْفَارِ ★

وكتب فيه : " مولاي قدور البلغيثي " زبيدة "

★ صَلِّ بِحُسْنِكَ وَبِهَاكَ يَا كَمَالَ سُرُورِي سُودَ النَّيَّامِ وَلَفِي زُبَيْدَةَ ★

★ اللَّهُ يَزِيدُكَ يَا سُرُورُ رُوحِي عَزًّا وَتَمَجِيدَ ★

لا أريد أن أقول وأعيد : - مع كل مجموعة من كل قياس - عبارة " وقصائد أخرى كثيرة لعدد من الشعراء وحسبي أن أسجل هنا للمرة الأولى والآخرى .. أنني لا أستعرض من قصائد كل "قياس" ، إلا بمقدار قطرات قليلة من بحر زاهر ، فالقصد ليس الاحاطة بكل ما في "القياس" من إبداعات ، وإنما التعرف فقط على "لزمات وقياساتها" .

القياس الرابع ، ونحن دائما مع لمرما المثنية 8 + 9

فيه " هنية " للزمووي :

★ أَنْتِ الْخَطْفَانِي مَنِّي يَا لَا لَاهِنِيَا ★

★ رَفَّقِي بِحَالَتِي وَتَهْلَايَ وَحَاسَنِي مَعَايَا ★

فيه ابتهالات ل : ولد أوزين :

★ مَوْلَايَ جِيْتْ قَاصِدْ بَابِكَ نَرْجَاكَ يَا لَغَانِي ★

★ لَكْرِيمْ مَايَزِدْ الطَّالِبْ ، جُونُو مَعَا احْسَانُو ★

فيه قصيدة "الحب" لابن سليمان :

★ أَنَا الَّذِي شَفَقَانِي قَلْبِي بِالْحُبِّ يَا أَهْلِي ★
★ وَالْحُبُّ طُولُ عُمْرِي مَتَى مَا صَايَبَ الْمُقَالَ ★

فيه للتهامي لدغري "الغاليا"

★ أَنِّيَا مَزَاوَكْ مَنْ ذَا الشَّرْبَا الدَّاهِيَا ★
★ لَقِيتُ الصَّدْرَ حُوزِينِي وَتَكَائِسِي عَلِي ★

وفيه للحاج إدريس "الياسمين"

★ فُوحِي بِطِيبِ لَمْحَاسِنَ يَامَشْمُومَ كُلِّ زَيْنَ ★
★ أَنَا فَ عَارَ ذَاكَ الْخَدَّ الذَّهَبِي وَمَسَكَ خَالَكَ ★

وفيه ل: بلعيد السومسي :

★ جَنَّانُ السَّبِيلِ الْجَلَسَا يَأْمَنُ بَغَا الزَّيْنِ ★
★ يَمْرُحُ الْأَهْذَابُ أَوْتَرَتَاخَ جَوَارْحُو شَوِيَا ★

القياس الخامس 8+8

كتب فيه المغراوي ثناء للملك العلوي مولاي اسماعيل :

★ هَزْنِي رِيحُ الشُّوقِ وَقَلْتُ فِيكَ يَا سَرَّ فَهَانِي ★
★ عَلَى اسْلَامَا يَسْعَدُنَا بِالْمَقَامِ فِي فَاسٍ مَعَانَا ★

وفيه لابن سليمان : الوردة :

★ لَا تَلُومُونِي فِي ذَا الْحَالِ جِيتْ نَشْهَدْ وَتَوَدِّي ★
★ يَا عَدُولِي فَ : الرُّوحُ سَبَابِي خَالَ فَ وَرْدَةَ ★

وفيه للفقيه لعمرى "السلبية" - كما سماها شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي " :

☆ شَوْفَ وَسَكْتَ وَسَمْعَ تَبَقَا عَزِيزَ غَايَتَ لَمْعَرَا ☆

☆ وَلَا تَقُولَ عِلَاشَ؟ وَكَيْفَاشَ؟ بِأَشَ؟ وَلَسَانَكَ حَفَزُو ☆

وفيهِ للمداني التركماني " الحقيقة "

☆ يَا لَلْأَيَمِّ خَلِّي الْعِبَادَ كُلَّ وَاحِدٍ فِي حَالُو ☆

☆ الشَّهَادَا بِاللَّهِ وَبِالرُّسُولِ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

وفيهِ للحاج أحمد الغرابي " الشريعة "

☆ يَا لِدَاْعِي بِالْعُرْفِ صَنَعِي لَهْلَ الْعِلْمِ فَمَا قَالُوا ☆

☆ الشَّهَادَا مَنْ غَيْرِ أَعْمَالٍ لَيْسَ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

القياس السادس 9 + 8 كتب فيه " الازمودي "

☆ شَاهَدَتِ النَّارُ عَنْ خُدُودِكَ وَعَلَى الْوَجْنَا نَظَرَتْ جَنَّا ☆

☆ شَاهَدَتِ الْمَوْتُ فَ: الْعَيُونُ أُولَفِي امْهَانِي ☆

فيه لمولاي بلغيتي " اصيل "

☆ رَاحَتِ شَمْسُ الْعَشِيِّ وَطَاحَتِ خَلَاتُ انْوَارِهَا تَهَبُّلُ ☆

☆ يَا سَاقِي بِالْكَبِيرِ غَدْرٌ وَمَلَاهُ كَبَالَا ☆

فيه ل : بوعزا " الكاوي "

☆ أَنَا الْكََاوي بَكِي مَخْفِي ، وَالْكِي فَ: الدَّاتُ مَا بَرَّالِي ☆

☆ مَنْ بَعْدَ مَا كَوَيْتَ وَبَرَيْتَ جَرَّاحِي طَالُو ☆

فيه للحاج أحمد الغرابي " مديح نبوي "

☆ صَلُّوْا عَلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ مُحَمَّدَ خَاتَمِ الرِّسَالَا ☆

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالرُّضْوَانُ عَلَى آلُو ☆

القياس السابع : 7 + 8 *

كتب فيه الامام الحسيني العراقي :

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆

☆ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاءُ ☆

كتب فيه المصمودي "يامنا "

☆ قُولُوا لِيَا مَنَا تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆

☆ مِينَا .. يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعُ اللَّهِ ☆

وكتب فيه بجيوات "الجيران "

☆ يَا شُومَ لِيَعْتِي شَيْ يَصْبِرَ جِيرَانِي ☆

☆ جِيرَانِي لَقَدَرُ عَيْبٍ لِلْجِيرَانِ ☆

وكتب فيه بوزيان "المحبوب "

☆ مَحْبُوبُ خَاطِرِي مَنْ فَقَدُ وَعْدَإِي ☆

☆ عَمْدَإِي لَحَبِيبٍ مَا انْعَمَ بِوَصَالِ ☆

وكتب فيه الحاج إدريس بنعلي "الصاحي "

☆ يَا صَاحُ لِيَمَنَّا وَأَنْتَ عَاشَ صَاحِي ☆

☆ وَيَرَايِقُ لَعْدَامُ طَافِحًا بِالرَّاحِ ☆

وفيه لابن علي ولد أرزين "الشعائل الحمدي "

☆ أَجِي تَشَاهِدُ السَّرَّ الْمُحْمَدِي ☆

☆ وَشَعَائِلُ شَلًّا تُحَدِّثُهَا لَعْدَادُ ☆

القياس الثامن : 8 + 4

كتب فيه متيرد "لبابة "

☆ طَارَ بَجْفَاكَ صَوَابِي ☆

☆ يَا لِي تَهْتِي بِنِي كَثِيرٍ لِبَعْتَايَا لُبَابَا ☆

وفيه شوقية لولد أرزين :

☆ الصَّلَاتُ عَلَى النَّاقِي ☆

☆ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ جَدُّ الْأَشْرَافِ مَنْ جَانَا بِالْحَقِّ ☆

وفيه لابن سليمان "سلطان المشور"

☆ يَا هَلْ الزَّيْنُ الْفَاسِي ☆

☆ صَافِرُ مَجْمَعِكُمْ وَيَا بَعُوا السُّلْطَانَ الْمَشُورَ ☆

وفيه للتهامي لدغري "حصان"

☆ سَأَلَ عَوْدِي عَنْ وَعْدِي ☆

☆ بَيِّنَاتٌ يَرِنِّي وَيُضِلُّ مَعَا اللِّجَامُ مَسْكِينٌ أَيْكُذُّ ☆

القياس التاسع 6 + 7 كتب فيه بنسليمان "غصن الخيزران"

☆ كُنْتُ وَبَاقِي فَانِي ☆

☆ يَا رَاحَتُ الْخَوَاطِرِ يَا غُصْنُ الْخَيْزَرَانِ ☆

وكتب فيه النجار "المعجزات"

☆ نُورُ الْحَقِّ السَّامِي ☆

☆ صَلَّى عَلَيْهِ رَبِّي وَعَلَى الْوَسْلَامِ ☆

واسيدي عبد القادر العلمي "البستان"

☆ سَعْدُ الْكَلْبِ الْهَانِي ☆

☆ سَعْدَاتُ مَنْ فَأَلُّوْا مَرْتَاخَ مَنْ الْحَانِ ☆

وفيه حالة العمري :

☆ زَخْرَفَ رَوْضَ جَنَانِي ☆

☆ وَشَمَنْ جَنَانَ فِيهِ اللَّيْ فِ قَلْبِي الْآن ☆

"القياس" العاشر 6 + 11 لعل أول قصيدة فيه هي ل: بن حساين الحفيد

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَى الصَّادِقِ التَّائِي ☆

☆ مُحَمَّدٌ أَشْفَعُ الشَّافِعِ إِمَامَ الْإِنِّيَا رَاكِبَ الْبَرَاقِ ☆

وفيه لسيدى عبد القادر العلمي :

☆ قَالَ الْمَرْيَانُ صَيْفٌ لِي زَيْنِي ☆

☆ وَمَدَحَ امْحَاسِنِي كَيْفَ يَمْدَحُوا نَاسَ الْفَرَامِ بِدُورِ الْحَسَنِ ☆

وفيه للحاج إدريس "خمرية"

☆ مَنْ دَرَا يَكْمَلُ فَرْجِي وَسَلَوَانِي ☆

☆ وَيَعُودُ فِي مَكَانِي سَاقِي غَانِي ضِيَاعِيَانِي ذَاتَ الْحَسَنِ ☆

كان عليّ أن أكتفي بهذا القدر من "لَمَرَمَا" الْمُثْنِيَّةِ وَقِيَاسَاتِهَا" إلا أن الخاطرة التي خطرت في خاطري تستلزم الاتيان بطائفة أخرى من "قياسات" هذه "لرما"، ولو بنموذج واحد لكل قياسي، حتى لا أسجل هذه الخاطرة... إلا وأنا في غاية الاطمئنان عن نتائجها.

القياس الحادي عشر 5 + 6 والنموذج "رد الولها" ل: ولد بوعمر

☆ أَهْلَ الْبَنَاهَا حَمًا قُورَدَ الْوَلْهَا ☆

☆ مَنْ شَعَا .. مَنْ شَعَشَعُوا الْكَامِلَ الْبَنَاهَا ☆

القياس الثاني عشر 3 + 6 والنموذج لابن سليمان

☆ أَمَا مَنْ كَلَّظَمَ ☆

☆ صَحَّتْوَ كَانَتْ لُوْهِي الطَّامَا ☆

القياس الثالث عشر النموذج لسبيدي حلال العلوي

★ رَضَعْتَ الْغِيَالَ فَتَدِّي ★

★ وَكَبَّرْتَ فَ: الْقَلَامِي فَ: الدَّأ ★

القياس الرابع 5 + 7 النموذج من شعر ولد أريزن

★ صَلَّيْ عَلَى النَّبِيِّ فَ: اللَّيْلُ أَوْ النَّهَارُ ★

★ تَنْظُرُ وَبِالْبَصَرِ أَوْ بِلَبْصِيرَا ★

القياس الخامس عشر 5 + 8 النموذج من شعر اليوسفي

★ أَنَا اللَّيْ نَظَرْتُ غَصِينِ الرِّيحَانِ ★

★ فَتَحَ الْوَرْدَ الْفَيْلَالِي عَلَى فَنَانُو ★

القياس السادس عشر 6 + 8 والنموذج للتهامي لدغري

★ شَدُّ أَسِيدِي رَمَانُكَ ★

★ بِيَدِيكَ زَوْجُ مَنِّكَ لِيَهْ أَشْ عَلِي ★

القياس السابع عشر 6 + 7 والنموذج من شعر الناصري

★ أَنَا لَغَرِيبٍ فِي بِلَادَاتِ النَّاسِ ★

★ مَفَارِقُ وَطَانِي وَحَبَابِي مَعَاوَنَاسِي ★

القياس الثامن عشر والنموذج من شعر مولاي عبد الرحمان بوقطيب ، وهو من الاوزان الواقعة بالنظر الى

نوع إيقاعاته " 4 + 4 "

★ شَعَلَاتُ فَ: خَلَوْتِي مَنَارَا ★

★ وَاللَّيْلُ فَ: حَلَكْتَ اللَّيَالِي ★

وكذا القياس التاسع عشر $11 + 11$ " والنموذج من شعر مولي الحبيب العبار :

★ الزَيْنُ الزَيْنُ مَا نَدُوذُ لَوْ كَانَ يَطُوقُنِي لَمَحَالُ ★

★ ياكوينا اللي خطفت .. أو من فوق لعود ديك مولات الخال ★

هو أيضا من الاوزان الراقصة التي تشيع المرح في النفوس ، فتنتقل من "التحيرا" أي التواجد مع الايقاعات الحضارية ... إلى شيء من الترويح مع أوزان الايقاع الراقص ...

" القياس العشرون " والنموذج من شعر بلماوني $4 + 6$:

★ زِدْ فْ : لَمَحَاجِي حَاجِي ★

★ مَا عَلَحَجَا مُحَاجَا ★

القياس الواحد والعشرون $4 + 5$ والنموذج من شعر ناصر الدكالي

★ سَالُوَهَا لَاشْ غَادْ يَالُو ★

★ سَالُوَهَا لَاشْ تَابَعَاهُ ★

وتختتم هذه الاوزان بما يسمى "عمودي" $6 + 6$ والنموذج من شعر الجيلالي متيرد .

★ هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَبِيعِ الْخَيْرِ ★

★ مَوْلِدُ حَبِيبِنَا أَحْمَدُ شَارِقُ الْأَنْوَارِ ★

هذه بعض "قياسات" "لرما المثنية"، و "لرما المثنية" وكل قياساتها سواء منها ما ذكرت أو ما لم أذكر ... لا تمثل إلا ربع ثلث الملاحون . أي أن مدرسة الملاحون تستطيع أن تقابل بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بل وتضاعف عددها ب : "قياسات" "رما" واحدة فقط هي "لرما" "الاولى" لرما المثنية .

وقد سبق القول أن فنون القول في الملاحون ثلاثة : الشعر العمودي ويسمى "لمبيت" والشعر المتحرر نسبيا ويسمى "مكسور جناح" والنثر الفني ، وقد أطلق عليه إسم "السوسي" وسبقت الإشارة أيضا إلى أن الشعر العمودي في الملاحون "لمبيت" يتكون من أربع "مرمات" ، و "لرما المثنية" التي استعرضنا "قياساتها" واحدة من أربع ، وبها وحدها تقابل مدرسة الملاحون سائر بحور الشعر العمودي وزيادة ، أما الثلاثة أرباع الباقية من "لمبيت" أعني "لرما الثلاثية" و "لرما الرباعية" و "لرما الخماسية" فهي تقابل كل شعر الفروع والاعصان من موشحات ، واجزال ، وطلاطق ، وما شابه .

ولا يفوتني أن أذكر هنا " أدب الطفولة " ، ففي الاستسقاء مثلا ... وعندما يردد الكبار " اللهم أسق عبادك وبهيمتك ، وأنشر

رحمتك ، وأحيي بلدك الميت .

يردد الشباب والفتيان

هَـا السَّبَّوْلَا عَطَشَانَا غَيْثَهَا يَا مُوَلَانَا

ويستجيب المجيب جل جلاله ، ويرحم عباده بالامطار ، وتعم الفرحة ويتسابق الاطفال إلى ساحات الاحياء ... وهم يرددون :

أَشْتَا تَا تَا تَا تَا
أَوْلَادُ الْحَمَامَاتِ
الْمَعْلَمُ بُوَزْكَرِي طَيْبُ لِي خُبْرِي بَكْرِي

أو يرددون :

أَشْتَا صَبِّي صَبِّي وَالرِّزْقُ عَلَى رَبِّي

وهي كلها مرددات على وزن واحد ... ولا يتغير الوزن إلا إذا انخرط الجنس الآخر (البنيات) بلعبة (حيناً)

أَحِينَا أَلْمَحِينِينَا
حِينَا صَبَاتُ عَلِنَا
حِينَا فَايْنُ بُوَعْرَا
حِينَا مَشَا لِلْسُّودَانِ
حِينَا نَجِيبُ اللَّبَانِ

أما ربات البيوت ... لهن أيضاً أذبهن النسوي الذي يعتمد الصدر والعجز فقط .

الْعُودُ الْمَرْبُوطُ الرَّيْبُ قَدَامُو مُوَلَايَ الْحَسَنِ يَزِيدُ فَا : يَامُو
بِينَا وَبَيْنَ الْجَامِعِ رِيحَتُ الْجَاوِي وَأَيَا مُوَلَايَ عَبْدَ اللَّهِ يَا الْكََاوِي
هَكَذَا خَلَاوَةُ أَمَالِيهِ الْمَلْحَا وَالسَّرُّ حَلِيهِ

ويظهر وزن الاطفال : أَشْتَا تَا تَا تَا مرة أخرى ، في مظاهرات الافراح بمناسبة رجوع محمد الخامس طيب الله ثراه

مَلِكُنَا وَاحِدُ مُحَمَّدُ الْخَامِسُ
الْإِسْتِعْمَارُ إِلَى قَبْرِهِ بَنُ يُونُسَ إِلَى عَرْشِهِ

وأدب الطفولة كالادب النسوي ، كلاهما يحتاج الى عناية خاصة ليس هذا مكانها على كل حال . وقبل أن أنتقل الى "لرمات" الموالية ... لابد من الإشارة إلى أن من ضروب المستحيل محاولة تتبع نشأة الأوزان ، ورصد تطورها ، وارتقائها ، وتحولاتها من نمط إلى آخر . وكل ذلك يتم في فصل من كتاب :

نستطيع أن نثبت مثلا أن مولاي الشاد - وهو من الذين شاهدوا نهاية الحكم السعدي ، وقيام الدولة العلوية الشريفة - أنشأ هذا الوزن :

رِيَّاحُ الْيَنْبُوعِ هَبَّتْ فَ: هَازُ الْأَرْضِ وَخَيْرَهَا نَبْعُ

وأن ولد بو عمر ... حوله إلى "رباعي" بإضافته لشطرين آخرين في قصيدة "بأها"

غَارُو الْبَوَاهِي مَنْ بَهَا مِنْ لَا لَبْهَاهَا شَبِيهٌ
مُولَاتِي بِأَهَا زِينَهَا صَانُو سِرِّ الْجَاهِ

ويكتب الشعراء في وزن مولاي الشاد الذي يعتمد الصدر والعجز فقط كما يكتبون في وزن "بأها" الرباعي الاضطراب إلى أن يأتي بنعلي ولد أرزين - في العقد الثالث من عهد السلطان العلوي المصلح مولاي سليمان - فيحول الرباعي إلى ثلاثي في قصيدته "أطلال المدن"

لَوْ كَانَ تَنْفَرَمَ يَا حَمَامَ انْفَرَمُوا الْمَدَا الْفَايِتَا
وَاللِّي شَفَقْنَا فِي زَمَانَا مَا شَافُوهُ انْجَالُ

ويأتي لحبابي في عصر الحسن الاول ، فيعود بالوزن إلى ماكان عليه أيام ولد بو عمر، ولكن بإضافة حركات في الشطر الثاني والشطر الرابع تلانمه جدا جدا .

قُولُوا الْخَنَائَا يَا تَرَى فَ: الْعَاهِدُ تَبْقَى ثَابِتَا
صَانَتْ بِحَمَالَهَا حَيَاتِي رَاحَتْ رُوحِي الصَّائِلَا عَلَّ لَبْدَرُ بَنْعُوتُ

ويأتي بن ريسول ، وهو من المتأخرين ، يتلمذ عنه شيعي وأستاذي وولي نعمتي سيدي إدريس العلمي رحمه الله ، فعاد بالوزن إلى عصر نشأته الاولى ، وكما أراده مولاي الشاد :

يَا مَنْ هُوَ مُسَلِّمٌ فَ: النَّبِيَّ وَوَلَادُ وَقَوِي امْحَبَّتْكَ

أستطيع أن أثبت مثل هذه التحولات في كل أوزان الملحون ، إنما ليس في فصل من كتاب أريده "بداية الطلب" بالنسبة

للباحثين والدارسين ، و "نهاية الارب" بالنسبة للمولعين والمفرمين ... وكتاب هذا شأنه لا ينبغي لمصنفه أن يفرق في موضوع على حساب الموضوعات الاخرى ، خصوصاً وأنها كثيرة ومتشعبة أي الموضوعات ، وتلزم الاحاطة بها جميعها ولو باختصار شديد .

"ب" (لرما الثلاثية وقياساتها) :

ثلاثية لان البيت الواحد يتركب من ثلاثة أشطار : "الصدر والعجز ، والدليل" بخلاف لرما السابقة التي كان البيت في كل قياساتها ... يتركب من "صدر وعجز ... فقط

القياس الاول كتب فيه مولاي عبد الله واحساين "وصايا لقمان" * (9 + 9 + 9)

أَرَأْسِي نُوصِيكَ كَيْفَ وَصَى وَلَدُ لُقْمَانَ وَنَتَّ تَصْغَى كَيْفَ مَا صَغَا وَلَدُ لَيْيَانِي

وَتَوَصَّى بِوَصَايَتِي الْمَرْوِيَا قَوْمَ آخَرِينَ

وفيه للتهامي المدغري قصائد كثيرة اذكر منها "حكاية زنجية"

مَا اعْظَمَ ذَاكَ الْيَوْمَ فَاشَ صَدُوْ نَاسِي وَمَشَاوَا تَرْكُونِي نَوَاحَ فَ : الرِّسَامُ قَلْبِي كَاوِي

يَحْسَنَ عَوْنُ اللَّيِّ امْضَاوَا نَاسُوْ مِنْ بَعْدِ كَوَا

وفيه للسعداني قصائد وقصائد اذكر منها "المشموم"

جَاتْ لِعُنْدِي مَا عَرَفْتَهَا فِيدِيهَا "مَشْمُومٌ" أَوْ مَشْمُومٌ انْضَرَّتْ فِي وَجْهِهَا بَنِيَامِي

وَاحِدَ لِلتَّقْيِيلِ زَايِدٌ عَلَى النُّضْرَا وَالشَّمْ

وفيه لبنعلي المسفيوي "الطومويل" الثانية.

سَعْدِي زَارْتَنِي حَبِيبَتِي الْغَزَالُ أَمْ اَدْلَالُ وَتَتَزَمَّنَا بِالْجَمِيعِ وَرَكَبْنَا طُومُوْبِيلُ

وَتَسَارِينَا بِالْجَمِيعِ فَالِدُنْيَا عَرْضُ وَطُولُ

وفيه للحاج أحمد الطرابلسي مديح نبوي :

يَا عَيْنَ الرَّاحِمَةِ الرَّاحِمَةِ يَا قُرَّةَ الْاَنْيَامِ يَا قُرَّةَ الْاَنْيَامِ جُدْلِي يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ

يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ وَالْفَضْلَ يَا عَيْنَ الرَّحْمَةِ

"القياس الثاني" من "لرما الثلاثية"

فيه للحاج أحمد بنمسعود الازموري "قطومة"

شَفَّتْ الشَّمْسُ وَشَفَّتْ الْقَمَرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي خُدُودِ غَزَالِي قَطُومُ
شَمْسُ الْحُسْنِ أَلَالُ الطَّامِ رَوْنَقُ السَّرِّ عَنْ جَمَالِكَ يَاطَامُ

وفيه ل: التهامي لدغري "النحلة"

صُولِي يَا شَامَةَ الضَّرِيفَةِ وَزَاهِي وَغَنِّي وَدَنَدَنِي نَغْمِي عَلَى الْاوتَارِ
مَا مَتَلَّكَ فَضَّةٌ وَلَا اَتَبَرَ يَا بَنْتَ الْمَلِكِ فِيكَ مَعَةٌ وَتَجَارَةٌ

وفيه للحاج ادريس "الكاس"

أَسَاقِي لَمْدَامَ صَبَغِ نَحْكِي لَكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ كَاسِ رَحِيقِ الْمَسْطَارِ
قَصَّةٌ وَعَجُوبَةٌ وَتَرْجَمَةٌ صَارَتْ لِي الْبَارِحُ اَمْعَا جَلَّاسِي

وفيه لادريسي العلمي "مديح نبوي"

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا الْمَاحِي مُحَمَّدٌ يَا شَرِيفَ الْأَسْمِ سَيِّدَ لَمْلَاحِ
يَا مَنْ بِكَ النَّاسُ فَرَحَةٌ مَنْ شَهِدَ بِكَ نَالَ رَبْحًا وَصَلَّاحًا

"القياس الثالث"،

فيه لابن علي ولد أرزين "زنوبة"

يَا بَدْرُ مَا غَطَّاكَ حِجَابُ فِي دُجَايَا شَمْسِ النَّهَارِ السَّعِيدِ يَا زَنْوَبَةَ
شَاقِقُ اَنْشُوفِكَ يَا زَيْنَبُ

وفيه للحاج ادريس "حبيبة"

يَا لَلِي زَيْنُكَ زَيْنٌ عَجِيبُ عَالَجِينِي بِرُضَاكَ أَرْوَحُ رَاحَتِي حَبِيبَةَ
مَا ابْحَالَكَ عِنْدِي مَحْبُوبُ

وفيه للحاج أحمد الغرابلي "العمرية الصوفية"

كَبُّ لِّلْسَاحِي كَاسُ الرَّاحِ يَا لِسَاقِي رَادَفٌ لُّوْلَا تَكُونُ فِيكَ جَحَاحَةٌ
حَضَرُوا فَ : الْغَيْبَةُ يَرْتَاحُ

القياس الرابع من "المرما الثلاثية..."

فيه لمحمد بن سليمان

نُبْكِ عَلَى دُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَةِ الْقَبْرِ
بَدَلٌ يَارَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَةِ

وفيه ل : التهامي المدغيري

أَلَا لِلْأَزْهَرِ أَزْهَرِي وَزَهَارُو بِكَ رِيَاضِي فَأَيْحُ الزَّهَرِ
صَوْلِي صَوْلِي يَا غَزَالِي زَهْرَةٌ

وفيه لنفس الشاعر

أَنَا عَشِيتُ الْجُمُعَةَ شَابَ شَبَابِي مَلَكْتَنِي عَزَبَةٌ وَشَابَةٌ
مَنْ شَاهَدَهُمْ مَا اسْخَى بِشَبَابِهِ

وقريب منه " اثلاثة زهوة ومراحة " لنفس الشاعر

اِثْلَاثَةُ زَهْوَةٍ وَمَرَاةٌ بِهِوَاهُمْ مَا أَنَا سَاحِي
رُكُوبُ الْخَيْلِ وَالْبَنَاتِ وَكَيْسَانُ الرَّاحِ

"لمرما" "الرباعية" وقياساتها

تتدرج في هذه "لمرما" كل القصائد التي يشتمل البيت الواحد منها على أربعة أشطار غير متوازية، أي أن الأشطار الأربعة التي يتكون منها البيت الواحد ، لا بد وأن يكون فيها الشطر الطويل والشطر الأطول ، والشطر القصير ، والشطر الأقصر . ذلك لأن القصيدة المتوازية الأشطار ، وإن كانت رباعية فمكانها "لمرما المثنات" وليس "لمرما الرباعية" أقرأوا معي مثلاً هذا البيت من قصيدة الحاج أحمد الغرابلي .

صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْعِصَاةِ الْهَادِي يَا عَيْنَ التَّعْظِيمِ وَالْهَدْيِ
يَا مُحَمَّدَ خَاتَمِ الرِّسَالَةِ يَا نُورَ اَتَمَّادِي فَصْلَاتِكَ سَطْوَةٌ وَفَايِدَةٌ

فهذا البيت وإن تركب من أربعة أشطار ، لا يعتبر إلا "مثنى" متكرر إذ أن الوزن كما تلاحظون واحد : الصدر الاول على وزن الصدر الثاني والمعجز الاول على وزن المعجز الثاني ، وكذلك الحال في قصيدة الشهادة ل : بن مخلوف .

مُحَمَّدُ يَا نُورَ تَعْدِي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ أَبَدًا
عَدَا النُّحْلَةَ الَّتِي اتَّسَدِي تَعْمَلُ شَهْدَةً فَوْقَ شَهْدَةٍ

وكذلك وصية الحاج ادريس :

لَطْفَ اللّٰهِ يَغْمُ يَا لِسَاهِي وَطَلْبُ رَبِّي سَلَامَتُكَ
إِلَى رَدَّتِي تَغْنَمُ أَوْ تَعْلَامَا بَيْنَ النَّاسِ دَرَجَتِكَ

وللشاعر الصوفي الكبير الحسني العراقي في هذا المثنى المتكرر :

جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبَشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ
انْكَى الْحُسُودَ وَظَفَرَ بِالْعَزِّ الدَّائِمِ وَاصْبَحَ يَتَمَخَّرُ فِي ثِيَابِ هَنَاهُ

وله ايضا في "المثنى" المتكرر ، وعلى وزن آخر

انْسَى بِحَبِيبِكَ كَلَّشِي وَجَمَعَ فِي ذَاتِهِ هَوَاكَ
وَشَكَرُ مَعْبُودِكَ مَنْ ضَحَى بِالْقُدْرَةِ يَهْدِيكَ

كل هذه القصائد وغيرها مما شاكلها ... هي من "لمرما المثنوية" أما "المرما الرباعية" هي التي يشتمل البيت الواحد من قصائدها على أربعة أشطار غير متوازية كما سبق القول . وإليك نماذج منها للدلالة عليها .

"لمرما الرباعية وقياساتها"

القياس الاول : حب حبيب الرحمان ... للجيلالي امتيرد

صَلُّوْا عَلَى الْعَدْنَانِ مَنْ جَانَا بِالْبَيَانِ
فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ طَهَ مَفْتَاَحُ الْكُونِ

القياس الثاني : "مديح نبوي" للنجار

جَلَّ الصَّلَا مَهْدِيَّةٌ عَلَى النَّبِيِّ مَزْدِيَّةٌ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ وَأَنْصَارُو
وَعَلَا الْأَسْبَاطُ وَعَلَى الشُّرَفَا الْأَحْرَارُ وَعَلَى الرَّهَرِ بَنَتْ الرَّسُولُ وَعَلَى هَزَامِ الرُّومِ

القياس الثالث : ... حجویة "لابن على تركوب الخيل والبنات وكيسان الراح

يَا لَلِي زَيْنِكَ فَاقِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْبَرْقُ فَالْأَحْبَابُ صَلَّتِي بِحُرُوفِ عَجَابِ
صَبِيغُ لَجَوَابِي عَالَجِينَا بِالزُّورَةِ يَا لَرِيمِ حَجُوبَةِ

القياس الرابع : "الشهدة" ل: بنسليمان

يَا صَاحَ زَارِنِي مَحَبُّوبِي يَا مَسْ كُنْتُ صَائِمٌ شَهْدَةٌ قَطَعْتُ وَجَنِيْتُ الْوَرْدَ كَالْوِ كَلَيْتَ رَمَضَانَ
مَهْجُورٌ كُنْتُ مَدَالِي يَا حَبِيبَ الْخَاطِرِ يَاكَ الْمَرِيضُ يَقْطُرُ ؟

القياس الخامس : "طامو" لعبد القادر العلمي :

طَامُو يَا بَهِيَجْتَ الْخَدَادَةَ يَا لِحُرَّةِ الْمَنَكَادَةِ يَا غَايَتِ التَّمْجِيدِ
دِيرِي لِعَاشِقِكَ مَرَادُو يَنْكِ بِكَ كُلَّ حَسُّودِ

القياس السادس : "قاضي العشاق" ل: التهامي المدغري .

أَقَاضِي قَصَّةَ جَرَاتِ لِي مَعْتَاهَا مَا جَرَاتِ لِحَدَفَ : نَاسُ لِفَرَامِ
مَحَبُّوبُ لِيكَ دُعَانِي وَحَلَفَ لَأَمْنُ إِنِّي

القياس السابع : "خدوج" ل: بنسليمان .

من يوم ريتها دراجة ماوسنت داجي
ونالطلوع هلالها نرتجي رانا في عار للاخدوج

القياس الثامن : "المحبوب للحاج فضول .

محبوب القلب زارني يا مَسْ يَا عَشْرَانِي وَأَصْلَنِي الرَّسَامُ وَنَكَى جَمَعَ الرُقْبَابِ

صَايِلْ مَايِنْ قَرَانُو سِيدِي بُووَجْنَة مَنَكَلَة

القياس التاسع : فارحة ل : التهامي لدغري

دَاسِيْنِي تَحْتِ الْخَلَالِ بَيْنْ دَرُوْعَكْ لَمَلَاخْ وَالْأَلْبَة وَالْـدَوَاخْ
وَنَهِيْدَاتْكَ تَفَاخَة خَفْتْ ايشُوْفُونِي عِيُونُكَ يَجْرَحُونِي يَا فَاْرَحَة

القياس العاشر : "الدواخ" لابراهيم السوفاني .

دَوَاخْ غَزَالِي طَـ____حْ مَنْ جِيْبِي فِيْهْ صِلَاْحِي
كَيْفْ اَنْدِيرْ إِلَى اَشْسَالْنِي مَوْلَاتْ الدَوَاخْ حَبِيْبَة قُوْتْ الرُّوْحْ

هذه عشر نماذج من "قياسات لمرا الرباعية" اثبتتها للدلالة على القياسات الرباعية الحقيقية . والتي هي غير متوازية الاشطار

طبعاً لم أسجل كل قياسات لمرا الرباعية ، لاتفادي التطويل ولم أشير إلى القصائد التي هي على وزن القصائد التي هي على وزن القصائد التي أثبتتها والتي تعد بالعشرات .

"لمرا الخماسية وقياساتها"

لمرا الخماسية هي "لمرا" الاخيرة في "ملحون الابيات" الشعر العمودي في الملحون وقياسات لمرا الخماسية هي آخر قياسات هذا القسم من اقسام الملحون الثلاثة :

1 - لمبيت 2 - مكسور جناح 3 - السوسي

فبالمرمة الخماسية وقياساتها ننهي قسم "لمبيت"

القياس الاول فيه للجيلالي امتيرد "الطير المفقود"

طِيْرْ اَمْشَالِي وَلَا عَرَفْتُهُ فِينْ مَشَى سَابِغْ الْاَشْفَارْ
فَدَفَدْ بَجَوَانَحُو وَطَارْ تَجْمَعْنِي بِهِ يَا الْمَوَالِي
طَالَتْ بِالْوَحْشْ غِيْبَتُو

وجاء التهامي لدغري ، فكتب فيه "فارحة المنشوية" ولكن بالتزام تام بالقافية في كل شطر من الاشطار الخمسة التي يتكون منها البيت الواحد

سَلَّتْكَ بَبْهَاكَ يَا الرَّايْحْ مَالَكْ سَكْرَانْ دُونْ رَاَحْ
وانا عقلي معاك راح بَايْتْ مَنْ لِيَعْتَ الْجَرَايْحْ
سَاهَرْ وَالنَّاسْ رَايْحَة

ثم عاد وكتب فيه وينفس الالتزام : "زايدة"

أَنَا الْمَشْرِى بِلَا مَزَايِدَ وَاللَّائِمَ فَا : الْمَلَامَ زَادَ
بِمَلَامُو حَرَمَنِي الزَّادَ كَفَ اللُّومَانِ لِيْنِ زَايِدَ
يَبْلِيْكَ بِحُبِّ زَايِدَةَ

وكتب الشعراء الكثير في هذا القياس وبالالتزام تام بالقافية في سائر الاشطار الخمسة ، لكن عندما جاء الحاج ادريس تساهل في القافية ... وعاد با "القياس" الى نمط "الطير المفقود" للجيلالي متيرد .

أَنَا فِي عَارِ قَامَتِكَ يَا رَأَيْتَ الْهَمَامَ فَا : اللَّطَامَ
لُوجِيْبَةً لَا لِلَا الطَّامَ رَفَقِيْ بِي وَحَنَ وَعَطَفَ
يَا أَبُو دُوَّاحٍ فَاطِمَةَ

الشطر الاول لا يخضع لقافية ، وكذلك الرابع

وعلى هذه الشاكلة عاد فكتب فيه :

أَسَادَتِيْ أَوْلَادَ طَطَّةَ بَرَضَاكُمُ عَالِجُوا الْحَالِ
يَا نَاسَ الْجُودِ الْإِفْضَالِ أَنَا فِي عَارِ لَالِ
فَطِيْمَةُ الرَّاهِنِ رَا الطَّاهِرَةَ

بل هنا تساهل اكثر فاكتر على كل حال لا أريد أن أستمر مع هذه الاشياء التقنية التي قد لا تهتم بها الا قلة قليلة من الناس وأكتفي بهذا الجرد لقياسات لوما الخماسية .

القياس الثاني من لومة الخماسية

هَاجُوا الْإِفْكَارَ اللَّائِمَ يَبْلِيْهِ يَبْلِيْهِ بِالْهَجَرِ مَنْ لَا ذَاقَ الْحُبِّ مَا عَذِرَ
جَايَحُ نُونٍ قَرَارَ مَا هَزُو رِيْحِ جَمَارَ زَاْفَرَةَ

السلوانية لبلقاسم ، وفيه أيضا قامت لَعْلَامَ وقصائد أخرى

القياس الثالث فيه لابن علي : "خروج"

يَا قُمْرِيَّةً لَبْرُوجُ يَا يَقُوَّةَ فِي تَاجُ يَا الرِّيمُ خَدِيجَةُ

زُودَنِي يَا نَعْتَ الدُّرُوجُ يَا بُوَسَالْفُ خَدُوجُ

القياس الثالث من "لرما الخماسية" فيه للكنوز "الرقاس"

عَوْلُ يَا رَقَّاسُ بِالرُّضَا وَحَتَّالُ لُوصُولُ بُوَشْفَرُ قَتَّالُ لِيهَا حَتَّالُ

حَسَنُ بَهَاهَا الْعَانَسُ الْبَتُولُ مَا لُومَثِيلُ

بهذه "لرما" نكون قد تعرفنا على شكل الملحون العمودي ، ويسمى "لبييت" بقي لنا أن نتعرف على شكل كل من القسم الثاني "مكسور جناح" والقسم الثالث "السوسي" لتفرغ من الشكل ، وننتقل إلى المضمون ، ونبدأ بـ : "مكسور جناح" إنه لون من ألوان فن الملحون ، أشبه ما يكون بالشعر الحر أو الشعر المرسل في عصرنا الحاضر ، لا يتركب من أبيات كما هو الشأن في الملحون "لبييت" وكما تعرفنا عليه فيما سبق ، بل أن كل قسم من أقسام قصائده وكأنه بيت بذاته ، فهو أي مكسور جناح ، وحدة عروضية تشمل المقطع الشعري كله .

"شكل مكسور الجناح"

الْحُبُّ وَالْهَوَى وَالْعَشْقُ وَنَارُ الْغَرَامِ

مَنْ حَالَتْ الصَّبَا فَ : عَضَايَا قَامُوا

كُلُّ وَاحِدٍ دَارَ مَقَامُ

فَ : مَهْجَتِي وَضَحَى بِحَسَامُ

امْعَا اسْنَامُ

هنا ينتهي مكسور جناح ، إذ أن ما سيأتي بعده هو من الشعر العمودي "لبييت"

يَطْلَعْنَ وَيَزِيدُ فَ : الْجَرَّاحُ اَعْدَامِي فِي غَرَادَ هَذَا الدَّامِي

غَيْرُ مَلَكْتُ عَقْلِي بِجَمَالِهَا وَغَلَقْتُ عَنْوَةَ بَابِ الْمَرَامَةِ

وكذلك لازمة القصيد ... لابد وأن تكون من الشعر العمودي "لبييت" .

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبْقَى حَايِرَ وَنْتَ مُسْلِيَّة رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطْمَةِ

فمكسور جناح إذن ... يتحرر من سائر قياسات لمومات السالفة الذكر ، ويتخلى عن رتابة القافية الثابتة ، لكن في البداية فقط ، أما النهاية : نهاية كل مقطع ، لابد من الرجوع إلى الاصل ، هكذا :

عَيْنِيكَ زَوْجَ كِسَانٍ مِنْ عَتِيقِ الْمَدَامِ
مَنْ ذَاقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ يَصْبَحَ هَايِمَ
وَالْفَطْرُفَ : الْخَذَ النَّاسُفَ
وَرَدَّ عَكْرِي تَحْتَ صَوَارِمِ
فَاحِ نَاسِمِ

وَالْمَعْطَسُ طَيْرٌ طَارَ لِي بِمَنَامِي بَيْنَ الْوَرُودِ مَسَامِي
وَالسِّنَانُ صَفَا مِنْ حَبِّ الْغَمَامِ وَالْجِيدُ غَزَالَ خَشَى مِنَ الرَّمَا

هذا مقطع من قصائد مكسور جناح ... بدايته تحرر من الوزن الرتيب والقافية الثابتة ، ونهايته رجوع إليها معا . وسوف لا أكتفك قارئني الحبيب أن هذا الوزن الثلاثي - سواء الذي في آخر المقطع أو الذي في اللازمة .

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبْقَى حَايِرَ وَنْتَ مُسْلِيَّة رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطْمَةِ

هو قياس "من قياسات" لمرما الثلاثية .. ولقد كتبت فيه قصائد وقصائد قبل أن يتحول إلى "مكسور جناح" ... بل قياسات كثيرة تلك التي تحولت إلى "مكسور جناح" من كل لمومات التي استعرضناها معا فيما سبق .. من ذا الذي يصدق أن "لغزِيل" للسي التهامي هو على وزن "جل الصلا مهدية" للنجار ؟ ... حتى أهل ملحون العصر الحاضر لا يعرفون مثل هذه الدقائق .

اقرأوا معي هذا المقطع من قصيدة لغزِيل ل : التهامي لدغري لنلاحظ جميعا ... كما لاحظنا ونحن نقرأ ذلك المقطع من فاطمة للحاج ادريس ... أن بداية المقطع مكسور جناح ونهايته قياس من "لرما الرباعية" يعرف بقياس : "جل الصلا مهدية"

حَالِي اَعْلَا الْغَزِيلُ يَا لَايْمَ نُونُ حَالُ
 سَهْرَانُ طُولُ دَاجِي نَرْتِي مَنَحُولُ
 فِي غَلَالِ هَوَايَا مَوْحُولُ
 سَاخَفِينُ غَضَايَا لَاحُولُ
 عَادَمُ الْحُولُ
 مَنَحُولُ كَمَ مَنْ حُولُ
 فِي حَالَتِي اَمْبَدُّ
 غَيْرُ اَنْسُولُ

الى هذا الحد ، وينتهي جانب " مكسور جناح " من المقطع ، ويبدأ ما يسمى "الرواح" أي الرجوع الى الاصل ، الى الشعر العمودي :

عَلَى الْغَزِيلِ يَتَشَرَّغِي بِالصَّنُودِ عِيَانِي	بَاقِي صَغِيرُ نُونُ صَيَامُ أَوْغْلَانُ
خَلَاتِي خَلَاتِي هَمِيمُ هَايْمُ عَقْلِي مَشْطُونُ	وَحَلَاقِي مَذْهِيَّةُ
السَّائِلُ شَافَتْ عَيْنِي غَزِيلُ سَبَّانِي	اشْعَلْ فَ : الصُّشَا نَارُ اِبْلَا دُخَانُ
مَبْقَانِي مَبْقَانِي اَعْلَا لَهِيْبُ الْخَدِّ الْمَكْنُونُ	وَالْعَيْنُ السَّرْدِيَّةُ

وهذا الوزن هو من أوزان ، أي من قياسات لمرما الرباعية ، وفيه قصائد كثيرة من بينها "جل الصلا مهدية" واثبتت لازمتها هنا قصد المقارنة .

اعْلَا النَّبِي مَزْدِيَّةُ وَعْلَا الْاَزْوَاجُ وَأَنْصَارُ	وَعْلَا الْاَسْبَاطُ وَعْلَا الشُّرَفَا الْاَحْرَارُ
وَعْلَا الزُّهْرَا بَنَتْ الرَّسُولُ وَعَالِي هَزَامُ الرُّومُ	جَلَّ الصَّنْ لَمْ مَهْدِيَّةُ

على كل حال "مكسور جناح" هو لون من ألوان التطوير التي وقعت في الأوزان العمودية الرتيبة . وأرى شخصيا أن هذا أول تغيير يقع على الأوزان التقليدية القديمة فيكسر فيها رتابة الوزن من جهة وينقلها من قافية ثابتة الى قافية متحركة من جهة ثانية ، كان ذلك في عهد "بوعمر" وهو القائل :

"الاشعارُ ف : لَعْقُولُ لِطَيَارُ"

وَالْقَفُوزَةُ ف : الْقَافِيَاتُ"

و"المَرَمَاتُ"

او "الاقْيَاسَاتُ"

على أن هذا التحرر الكامل الشامل الذي دعى إليه بوعمر ، لم يقبل عليه الناس برمته ، فكانت هذه الوحدة العرضية التي تشمل ماهو مكسور جناح من كل مقطع ، وكانت هذه القافية المتحولة أي التي يسمح للكاتب بتغييرها متى شاء ، إنما لا بد من أن تكون على كل حال ... وشروط منها أن لا تخرج لازمات مكسور جناح على مرمات الشعر العمودي : "لبيت" وكذلك الرواح ... أي نهاية المقطع ... ومنها أن لا تنتهي القصيدة من مكسور جناح إلا ب ... "سارحة" ... والسارحة كما سيأتي الحديث عنها هي مجموعة أبيات على وزن اللازمة لا تقل عن عشرة أبيات ، وقد تبلغ المائة بيت ... ومنها ... ومنها ... ومنها .

وهكذا لم يتحرر الملحن من قيوده القديمة كما أراد له "بوعمر" وإنما "زاد قيدين على قيود" كما قال "متيرد"

وقد جاء بعد أزيد من مائة سنة مرت على ظهور "مكسور جناح" ، وسيأتي معنا ذكر "متيرد" إذا ما وصلنا إلى "السوسي". وعندي أن الجيلالي متيرد أحس بتجربة بوعمر ، وصِلَتْهُ وَتَفَاعَلَهُ معها ، وعقد العزم على إحيائها، بل وفعل، كما سيأتي بيان ذلك في معرض الحديث عن "السوسي" . أما الآن ، فلا يزال أمامنا تصنيف "مكسور جناح" فتعالوا بنا إليه .

سبق القول أن من شروط طبيعة العمل في قصائد ... مكسور جناح أن لا تخرج اللازمة عن "مرمات" الشعر العمودي في الملحن ... وكذلك نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة أيضا والمتتبع للقصائد مكسور جناح ، لا بد وأن يلاحظ أن سائر مرمات الملحن العمودي حاضرة في مكسور جناح ، بل لا يمكن تصنيف قصائد مكسور جناح ، إلا بواسطة ، ومن خلال اللازمة "درواح لقسم" والسارحة ، أي الجوانب الخاضعة للوزان القديمة .

أما ما تحرر منه فقد تحرر وأنتهى أمره .

ولكي لا أطيل ساكتفي بتقديم نموذج أو اثنين فقط من كل "مرما" من "مرمات" مكسور جناح .



* لمرما المثنية *

فيها قصيدة " عيشة " لابن علي :

اللازمة صدر وعجز .. أي فراش وغطا على حد تعبير أهل الملاحون :

★ مَالِكُ يَا لُفْزَالَ تَايَهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

هذه هي اللازمة ، وهي كما لا شك لا حظ القارئ الكريم ...

من أوزان الشعر العمودي ... لكن عندما يبدأ المقطع يبدأ بوحدة عروضية ، هكذا :

- مَاكَانَ لِي فُ : ظَنُّنِي لَوْ تَفَرَّقْنِي نَعِيشُ .

- صَبَرْتُ مَا كَفَى وَقَوَى تَشَوَّاشِي .

- حَالَتِي لَا حَالَةَ رَأْشِي .

- هَكَذَا نَبَغِي لِلْوَاشِي .

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور جناح من المقطع ، ليبدأ الرواح ... والرواح هو الرجوع إلى الاصل .

★ بَعْدَ أَنْ كُنَّا لَامَةً مَعَاشِرَةً وَحَنَّا زَوْجَ عَلَى فَرَّاشُ ★

★ نَسِيتِي لِمَحَبَّةِ السَّابِقَةِ وَاللِّي فَاتُ مَشَى ★

★ مَالِكُ يَا لُفْزَالَ تَايَهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

ومن هذه لمرما ايضا " غيبة للحاج إدريس " :

- أَلَا لِلْأَغْوِيَّةِ حُبُّكَ وَهَوَاكَ سَاكُنُ الذَّاتِ

- الذَّاتُ فَانِيَةٌ مَا تَقْوَى لِلْتِيهِ

- وَالْعَقْلُ بِغَرَامِكَ حَزَنِيَّةٌ

- لَأَشْ عِلَّ لَجَمَارَ رَمِيَّتِيه
- رَحْمِيَهْ بِقَبْلَةٍ يَا الْهَاجِرَةَ قَبْلَ يَفُوتِ الْفُوتِ
- يَاكَ تَعْرِفِيَهْ الْأَلْعَائِيْدُ عِنْدَكَ مَ—وَزُوْتُ
- حَاضِي شَرْطُ الْأَدَبِ لَيْسَ يُ—وَتَا
- اَرْضَاهُ فِي رِضَاكَ وَهُوَ قُوَّتُهُ مَعَاحِيَا تُو
- تِيهِي وَتِيهَكَ اِيْوَاتِي
- بِشَهَادَتِ الْقَدِيْدِ وَالْغَبَةِ وَالْجَبِيْنِ وَالْقَبِيْتِ

— اللازمة —

★ قُولُوا الْاَلَاغِيَّةَ مُوَلَاتِي ★
★ جَدُّ بُوَصَالِكَ عِلَّ لَعَشِيْقَ يَامَ الْغِيْثِ ★

* لمرما الثلاثية *

اختار لمكسور جناح من "لمرما الثلاثية" .. قصيدة مليكة للعاج احمد الغرابلي :

.. اللازمة :

★ اَرَايَةُ الْمَلَكَةِ يَا مُوَلَاتِي الْمَالِكَةِ ★ لِيكَ الْعَبْدُ وَكُلُّ مَا مَلَكَ ★
★ لَا لَنَا مَلِيكَةَ حَمَايَةِ الْمَلِيكِ ★

جانب مكسور جناح من المقطع :

- يَا مَنْ طَلُوْعُ ——— لَلَاكَ
- يَفْجِي ظِلَامَ الْاَخِ ——— لَلَاكَ
- نَحْكِي شَمْسُ ——— لَلَاكَ

- لَلَّهْ جُودِي بُوَصَّاكَ
- نَتَكِي بِزُودَتِكَ عَدَّاكَ
- لَنِّي غَلَامٌ حُسْنٌ جَمَّاكَ
- قَبْلُ الصِّيَامِ يَا مَلِيكَةَ وَأَنَا غَلَامٌ مَمْلُوكٌ
- وَمَنْ الْفَرَّاقُ مَهْلُوكٌ

الرياح ... أي الرجوع الى الاصل ... إلى أوزان الشعر العمودي

★ إلى تَزُودَنِي تَتَعَاثَا ذَاتِي الْهَالِكَةَ ★ لَوْ تَجَفِّي قَلْبِي يَوَاصِلُكَ ★

★ وَيَلَا دَرْتِينِي بَقَى الْعَارُ عَلَيْكَ ★

* لمرما الرباعية *

نختار لهذه " لمرما " كنموذج " خناتة " ل : لعبابي

★ قُولُوا لَخَنَاتَةِ يَا ثَرَى فَ : الْعَاهِدُ تَبْقَايُ ثَابِتَةً ★

★ مَنْ صَانَتْ بِجَمَالِهَا حَيَاتِي ★

★ رَاحَتْ رُوحِي الصَّائِلَةَ عِلَّ لَبْنَرُ بَنَعُوتُ ★

هذا الوزن كما هو الشأن في كل قصائد مكسور الجناح ... وكما سبقت الإشارة الى ذلك ... كانت فيه قصائد عمودية كثيرة قبل أن يطرأ عليه هذا التغيير الجزئي ويتحول الى مكسور الجناح ..

من القصائد الاصلية " المرسم " لابن علي ولد أوزين :

★ أَنَا وَالْمَرْسَمُ يَا حَمَامَ مَنَالَتْنَا فَ : الزَّهْوَانْتُ ★

★ الْمَرْسَمُ يَبْكِي عَلَى الشَّمَاعَةِ ★

★ وَنَتَ تَبْكِي عَلَى النَّثَا وَأَنَا عِلَّ لُفْرَا لُ ★

هكذا كان شكل هذا الوزن ، أبيات رباعية الاشطار ، من بداية القصيدة الى نهايتها ، لكن عندما تحول الى " مكسور جناح " أصبح على هذا الشكل :

- قُولُوا اللَّائِمِي يَعْذِرُ مَنْ ذَاتُ فَنَاتٍ

- بِهِوَى الْقَاصِرَةِ مَنْ صَدَّ جَفَاهَا

- التَّائِبَةُ عَنِّي بَيْنَاهَا

- السَّالِبَةُ عَقْلٍ مَنْ يَرَاهَا

- وَلَا تَهْـأَـمَهَا

- قَوْلُ غَدَاهَا

- عَلَى فَوَاهَا

- بَيْنَاهَا شَاطِئَةُ دَهَانِي

- وَنَطَقَ قَلْبِي بِحُبِّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ صَمُوتٌ

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور الجناح من المقطع ليبدأ الرجوع إلى الاصل

★ نَارِي حَتَّاتَةٌ وَلَا صَبْرَ صَبْرِي فَ: العُشَّاقُ مَنْ عَنَّا ★

★ وَصَابِرٌ مَنْ صَمِيمٌ ذَاتِي بَغْرَامِكَ يَا لَجَافِيَةِ بَعْدَ أَنْ كُنَّا خُوتَ ★

* لمرما الخماسية *

نأتي بالنموذج من وزن قصيدة "سلكك بالله يا الطالب" طبعاً لانأتي بهذه القصيدة كنموذج لانها من الملحون "المبيت" أي

العمودي ، ونحن نريد "مكسور جناح" وعليه فسنأتي بالنموذج من وزن :

"سلكك بالله يا الطالب" بعد ان تحول إلى مكسور جناح

★ اعْطَفْ لِي مَالِكِي بَعْطَفَةٍ ★

★ وَالْعَطْفَةُ مَنْ اَوْصَافُ سَيِّدِي كَامِلُ الْاَوْصَافِ ★

★ مَاسِرَ الرِّينِ غَيْرِ عَطْفُو ★

★ وَالْعَطْفَةُ سِرٌّ فَ: اللَّطِيفَةُ ★

★ وَالْحَالُ اِنْصَافًا ★

هذه هي اللازمة ... وعلى وزنها الخماسي الاشطار قصائد كثيرة ولكنها في مكسور الجناح تتحول الى هذه الشاكلة .

- مَا كَانَ لِي فِي ظَنِّي يَنْعَمَ لِي بِأَ الْعُطُوفِ

- وَتَأَفُّ مَاضِي قَصُرَتْ فِ : حَقُّو

- وَلَا عَرَفْتُ فِ : يَوْمَ بِحَقُّو

- وَلَا عَطِيتُو شَيْ مِنْ حَقُّو

- جَا السُّأَقِي

- جَاوَا أَرْفَاقِي

- عَلَى تَفَاقِي

وللبقية مفهومة مما سبق ... يختم المقطع ببيت خماسي الاشطار على وزن اللازمة ، وبه يعود الى الاصل ... هذا هو مكسور الجناح ... مجرد تغيير طراً على بعض الاوزان الاصلية ... فاكسبها بعض الخفة والرشاقة ...

واستمرت الكتابات في المدرستين معا : مدرسة الملحون العمودي ومدرسة مكسور الجناح الى أن جاء الجيلاني لمتيرد في عهد الملك العلوي سيدي محمد بن عبد الله ... ففعل مثل ما فعل "بوعمر" أي حاول تحرير الكتابات الملحونة ليس من قيود الوزن الرتيب والقافية الثابتة فحسب ، ولكن من قواعد مكسور الجناح أيضا فهل نجح امتيرد فيما فشل فيه بوعمر من قبل ؟ أبدا ... بل أضاف بمحاولته تلك ... مدرسة ثالثة اصطلح الناس على تسميتها فيما بعد بالسوسية ...

★ حَرَّازُ كَافَرُو نَصْرَانِي ★

★ شَتَّوِي وَصِيفُ كَايْرَعَانِي ★

حَاضِي حَرِيسَ ، كُلَّ مَاكَانْتَنِي يَرِييُو ، وَخَزُوبُو عَدَاوَا عَنْ خَزُوبِي وَالْبَابُ اللَّي افْتَحَتْ لِيهِ ايسَنُو .
حَرَامَ مَا ابْغَايْتَعَامَا ، حَتَّى حَبِيبُ مَا هُوَ عَنَّا . مَتْلِي .. يَكْرَهْنِي مِنْ قَلْبُو وَجَوَارْحُو وَدَاخِلْ دَاوُو
وَيْلَا ايشُوفْنِي يَتَكَحَّلْ بِمَحَاوَرِ الْعَمَا وَيَزِيدُ كُتُوبُ اَوْثَاقُ وَتَوَلَّيْ تَقَلَّ مِنْ الرِّصَاصِ عَنَّا ، شُوفَةُ
وَحْدَةَ يَكْرَهْنَهَا فِ : خِيَالِي ... يَسْقَلْ جِبْهَتُو ... يَعْكُدُ الْعَبْسَةَ فِ : خَلَقْتُو ... وَيَوَالِّي قَلْبُو ظَلَامَ
وَأَقْسَى مِنْ صِلْدِ الصَّمِّ لَيْسَ يَرْطَابُ وَلَا يَلْيَانُ ... مَا يَحَنُّ وَلَا يَشْفَقُ مِنْ عَيْيدِ رَبِّي .. وَعَرَفْتُو مَنْ
زَمَانَ دَامَرَ مَتَمَادِي مِنْ سَلَّاتِ الْكُفَّارِ .

اللازمة

حَرَّازٌ لَا لِلْأَرْسَامُو جِيثُو قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ ، هكذا أنشأ الجبلاي

امتيرد هذا النمط من فن الملحون .. وهكذا كتب فيه كل الذين جاؤا من بعده

بدا الشاعر المقطع ببيت شعري موزون مقفى :

★ حَرَّازٌ كَافِرٌ وَنَصْرَانِي ★

★ شَتَّوَى وَصِيفٌ كَايْرَعَانِي ★

هذا البيت الاول من كل مقطع .. في كل قصائد هذه المدرسة .. دائما على هذا الوزن .. لكن ماسيأتي بعده ما هو إلا نثر
نعم فيه سلاسة ... ولا يتمثر انسيابه ، وبين الفاظة تناغم، ولكنه لا يخضع لنغمات إيقاعية تركيبية معينة كتلك التي في
الملحون العمودي، ولا لوحدة عروضية متفق عليها، كالتى في مكسور جناح ... اللهم إلا ما كان من مطالع المقاطع وخواتمها
... ونهاية القصيدة ولازمتها فلا بد لكل ذلك من أن يكون من الملحون العمودي ... تماما كما هو الحال في مكسور الجناح ، وكما
سبق تبيانه ، بل لا يمكن تصنيف قصائد هذه المدرسة : مدرسة السوسي ... إلا بانتساب اللازمة ...

قد تكون اللازمة ثلاثية ... فتتنسب إلى "لرما الثلاثية" وقد تكون رباعية ... فتتنسب إلى "لرما الرباعية" وهكذا ... فمثلا كنا مع
الشاعر الذي أنشأ مدرسة السوسي في أول حراز كتبه فيها ... وكانت اللازمة هكذا :

★ حَرَّازٌ لِلْأَرْسَامُو جِيثُو نَصِيبٌ قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ ★

★ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ ★

فهى إذن تنتسب إلى "لرما الثنية"

وفى "الزطمة" وقد كتبها على نفس النمط .. أى فى المدرسة الناشئة : مدرسة السوسي ... نجد أن اللازمة ثلاثية أى
تتنسب إلى : "لرما الثلاثية" .

★ جَانِي بَشَارُو جَانِي يَاكَ عَطَانِي صَحَّتْ الْخَبَارُ أَوْشَرْنِي بِالْوَصَالِ ★

★ هَاهُوَ صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

هذه هي لازمة الزطمة ... أما المقطع ... فهو ككل مقطع من كل قصيدة في هذه المدرسة مدرسة السوسي

★ هَاهُوَ صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

★ مَحْبُوبِي صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

☆ قَرَيْتُو نَجَبَرَفَ : الْجَوَابُ أَمَحْبُوبِي يَا رُوحَ رَاحَتِي : يَا مَنْ لِيكَ الرُّوحُ شَائِقَةٌ ☆

حِينَ أَيُوصَلُكَ . يَارَبِّيعُ قَلْبِي . مَرَسُولِي قُمْ ... لَا تَغِيْبُ ، وَاجِي حَتَّى

أَنْشَأْهُدَكَ وَتَشَاهِدَنِي ، بَارَتَ الْحَيَالُ أَبْدَيْتَ أَنْخَمُ ..

وهكذا وهكذا الى أن ينتهي المقطع ب : "الروح" أي بالرجوع الى الاصل ... الى الوزن والقافية ... بعد أن كنا مع النثر الفني الجميل السلس ... الذي لا يخضع في انسياقه لا لوزن ولا لقافية ... ولا تظهره إلا تقطيعات النطق السليم ، وكيف ينبغي أن يكون في فن القول الدارج ... وهذا ما نسميه في حضيرة الملحون "لفصالة" أي ... فن الالقاء ...

وكنتي بالجيلالي امتيرد رحمه الله .. كان قد رأى بفراصة المومن أن شاعر الملحون ... سيتحول مع السنين والاعوام ... الى ذلك المثقف العضوي الذي ينقل المعرفة من مبدعيها ... ليوضحها ، ليبسطها ... وبالتالي لينقلها الى عامة الناس ... بلغتهم ، بتعبيراتهم بما عرفوا من معاني ، وما ألفوا من تمثلات ... ولذلك ابتكر جازاه الله بكل خير . هذا النمط الذي تيسر معه الحكمي ، واستقام به السرد ... وتجمع لنا فيه مع مرور الايام ، والسنون والاعوام ... الشيء الكثير والكثير جدا جدا من ألوان المعرفة وفنون الثقافة ... كما سيلمس القارئ الكريم في فصل المضامين .

نعم إن الجيلالي امتيرد أراد لهذه المدرسة "مدرسة السوسوي" ، غاية اليسر ، ومتمته البساطة ... فانت لا تجد داخل المقطع أي أثر للقافية لا ثابتة ولا متحركة ... بل وحتى السجعة لا يقبلها إلا إذا كانت عفوية ، تأتي من تلقاء نفسها أما أن تبحث عنها ... وتجري وراءها فلا . لكن الذين جاؤا بعد الجيلالي امتيرد حتى الآن ، فعلوا في هذه المدرسة : مدرسة السوسوي ، مافعله الذين كانوا قبل الجيلالي امتيرد في مدرسة مكسور الجناح .

كما سيلحظ القارئ الكريم من خلال النصوص الكاملة ... التي سننشرها بين يديه في فصل المضامين ، والتي سنراعي في اختيارها أن تكون مستوعبة لكل اشكال ... وأنواع ... وألوان ... المدارس الثلاث "لبيت" "مكسور جناح" "السوسوي" وحسبي الآن أن أسجل أن مدارس الملحون الثلاث ، قد اكتملت نشأتها ، وبدأت مدارج الترقى ، على عهد السلطان العلوي المصالح المصلح ، سيدي محمد بن عبد الله ، أي أن كل الذين جاؤا بعد هذا العهد ... عهد سيدي محمد بن عبد الله الى يوم الناس هذا ، وإن كانوا ابتكروا وأبدعوا ، ولونوا ونوعوا ، فمن داخل هذه المدارس الثلاث ، "لبيت"

"مكسور جناح" "السوسوي" ووفق أصولها وقواعدها .

نعم توجد مدرسة رابعة ... هي مدرسة الاغنية الملحونة ... وليس القصيدة الملحونة ... الاغنية ... المقطوعة الخفيفة التي تقتصر الى أن تصل في أدائها الى دقيقتين ... وإذا طالت فلا تتعدى الخمس أو الست دقائق . إنها "السراية" ورحم الله من أطلق عليها هذا الاسم : "السراية" فهي سرب من الاوزان يتلاحق بسرعة فائقة وفي انسجام يديع رائع ... ومع أنني لا أريد أن أجهضها بإشارة عابرة في هذا الكتاب الذي أردته للقصيدة الملحونة مبنية ومعنى وليس للاغنية ... مع ذلك أضع بين يدي القارئ نموذجا أو إثنتين من هذه "السرايات" أي الاغنيات الملحونة ... على أن أفرد لها ماشاء الله من صفحات بعد فراغي من هذا الكتاب مباشرة ... وسيعلم الناس أن عاجلا ، أو أجلا أن الاغنية الملحونة التي كتبت قبل ما لا يقل عن ثلاث مائة سنة هي

أحسن بكثير مما يكتب اليوم ... بل لا وجه للمفاضلة ، أو المقارنة بين الاغنية الملحونة القديمة ، والاغنية الشعبية المعاصرة

★ اَعْلَاشْ اَمَحْبُوبْ خَاطِرِي تَجْفِينِي ★

★ اَلْجَافِينِي وَعْلَاشْ الْجَفَا ★

★ حَبِيبَتِكَ مَنْ خَاطِرِي وَلَا رَدَّتْنِي ★

★ وَلَا وَصَلْتَنِي قَاصِيَتْ مَا كَفَى ★

★ خَالَفْتِي فَ : الْوَعْدْ بَاشْ وَأَعْدَتْنِي ★

★ وَكَاتَمْنِي يَا شَارِدْ الْعَفَا ★

قَالَتْ نَاسْ الشَّعْرْ قَوْلْ وَأَفِي

زَيْنْ بِلَاتِيهِ صُورْتُو تُعْدَا فْ

وَالْخَيْرْ صَاحِبُو يُغْرَافْ

★ عْلَاشْ ؟ عْلَاشْ ؟ عْلَاشْ ؟ يَا الْجَافِي ★ زِدْتِي قَلْبِي شَغُوفْ ★

★ مَا ظَنَنْتُكَ بِالْخَيْرِ مَا تَكْـفَـافِي ★ يَـامْـسْـرَـاجَ الحُرُوفْ ★

★ وَاللّٰي نَـاـوِي بَزْيَارْتُو يَـوْـأَفِي ★ مَا كَـاـيَـرْتُو الخُوفْ ★

★ خَلَيْتِي عَيْنِي مِّنَ الشَّقَقْ شَوَّافَا ★ نَعَايْنِ الـرَّأْفَةِ ★

★ مِّنْ صَاحِبِ الْعَفْوِ ★

★ يَجْمَعُ شَمْلِي بِكَ خَاطِرِي يَتْعَافَا ★ الضَّرْ يَتَشَافَا ★

★ رَبِّي يَخَفُّو ★

★ تَكَبَّتْ فَ : اغْضَانْ نَارَكِ النَّازِفَا ★ أَبْدَيْتْ فَ : الْأَفَةِ ★

★ وَعَدِي نَصْرَفُو ★

★ يَامَا أَفْوَانِي كَانَرُوجْ كَالْحُوتْ بَلَامَا فِي مَعَاظِنْ وَنَشْفُوا ★

وَبَحْبُكْ الْأَعْضَا سَخْفُ ————— وَ

★ ذَنْبُ الْعَشِيقْ وَأَعَزَّ مَا زَالَ يَنْوَرِيكَ

★ أَيَا جَافِي خُوفِي عَلَيَّ ————— كْ

★ وَأَفِينِي وَأَفِينِي وَكَمَلْ الْمَقْصُودْ

★ وَاللِّي جَوَادْ يَاكَ نَجْ ————— وَدْ

★ لِلَّهِ وَاشْ قَلْبُكَ حَجْرَةٌ ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَيْدَةٌ . كَلَّيْتُ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

خَلَّيْتُ لِيكَ مَوْلُ الْجُودِ

هذه هي "السراية" وهي كما - أسلفت - سرب من الاوزان يتسرب أمامك في انسجام بديع ويسرعة فائقة .. وهذا السرب من الاوزان ... يختار بعناية من كل أقسام الملحون الثلاثة ... لمبيت "مكسور جناح" "السوسي" ... وهكذا فإن كل "سراية" على حدة، لابد وان تشمل كل مدارس الملحون الأنفة الذكر ... وكمثال لذلك هذه "السراية" ، فقد بدأ صاحبها - ونحن في حضيرة الملحون - لا نعرف أصحاب السرايات كما نعرف اصحاب القصائد ... ذلك أن أصحاب القصائد يوقعون قصائدهم ، أما أصحاب السرايات ... فلا . ربما استطاع بعض النبهاء التعرف على بعض أصحاب السرايات بأشياء معينة، سوف أشير إليها في فصل المضامين مقلت إن هذه "السراية" بدأها صاحبها بثلاثة أبيات على وزن من أوزان "لرما المثنية" في الملحون لمبيت ... أي العمودي ... ثم أردف للآبيات العمودية الثلاثة وحدة عروضية، كتلك التي في "مكسور جناح" ، ثم جاء بوزن من : "لرما المثنية" يختلف عن الأول فصاغ فيه ثلاثة أبيات أخرى ، ثم انتقل بنا الى "لرما الثلاثية" في ثلاثة أبيات ... وأردف وحدة عروضية ثانية ... وختم بنثر فني يقوم على السجع .. كما هو الحال في "السوسي"، وقد سبق تبياناه .

لِلَّهِ وَاشْ قَلْبُكَ حَجْرَةٌ ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَيْدَةٌ . كَلَّيْتُ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

وهكذا تكون أقسام الملحون الثلاثة حاضرة في كل "سراية" ، ومبالغة في الايضاح أضيف النموذج التالي : . . . وأترك القارئ الكريم يلمس بنفسه هذه الحقيقة : حقيقة أن كل "سراية" على حدة لابد وان تشير في شكلها الى كل مدارس الملحون الثلاث: مدرسة الملحون العمودي ، "مدرسة مكسور الجناح" ، "مدرسة السوسي" .

وبهذا النموذج أنهي الحديث عن شكل "السراية" أي الاغنية الملحونة القديمة ، أما المضامين ... أما القيم : الشعورية منها أو التعبيرية ... أما ما فيها من تجارب إنسانية حية ، أما أسراب الصور .. والرؤى .. والخييلة ... فكل ذلك مكانه "فصل

المضمون "وليس" فصل الشكل .

★ شَايْنُ كَتَبَ الْعَالَمُ عَنْ جَبِينِ ابْنِ آدَمَ ★

★ مَا يَمْحِي وَعَدُو مَلَامَ ★

★ قُولُوا لَذَاكَ الْـلَّـلَايِمُ سَلَّمَ تَمْشِي سَالَمَ ★

★ مَنْ طَفَنَ سَيُوفَ النِّيَامَ ★

★ مَا بَهْضُوكَ عَوَارِمَ مَا لَسَعُوكَ صَوَارِمَ ★

★ مَا دَقَّتِي كَاسُ الْمَدَامَ ★

★❖★

★ مَا بَاتَ رَقِيبُكَ مَنْ ضَنَّاكَ خَايَفَ ★ مَا نَاكِتِي حَسُودَ ★

★ مَا حَزَّتِي بِيَدِكَ سُودَتِ السَّوَالِفَ ★ مَا عَنَّقَتِي نُهُودَ ★

★❖★

- عَايَشَ هَايِمَ -

- وَاهِيَا الْـلَّـلَايِمَ -

- يَكْفُوكَ الْيُومَ -

- لَا تَعُودَ ثُلُومَ -

- وَلَا تَبُوحَ بِالْمَكْتُوبِ -

- أُمَامَنَ امْنَالِكَ لَامُؤَ -

- التَّبَلَاوَا بِالْفَرَامَ وَهَامُوا -

- وَبَقَاوَا لِلْهُوَى خَدَامُؤَ -

- وَرَضَاوَا سِيرَتَ حَكَامُؤَ -

- يَسْتَاهَلُّوَا الْـلَّـيَ لَامُؤَ -

سَعْدَاتْنَا نَهَارَ تَجِينَا .. تَوَقَّتْ الْهَلَالُ وَتَزْهَيْنَا .. وَبَطَّاسَتْ

اَشْتِيَّةُ تَسْقِينَا .. طَلَعَتْ الْبَدْرُ مِينَةَ ..

هذه هي الاغنية الملحونة ، أو "السراية" ، كما سماها الاوائل ... أما طبيعة العمل فيها .. أما الخصوصيات التي تختلف بها عن القصيدة ، فذلك ماستتطرق إليه في الفصل القادم إن شاء الله ، أما الآن .. فتعالوا بنا لنعالج ما تبقى لنا من شؤون الشكل في فن الملحون "مطيلعات" مثلا . أو "عروبيات" . أو "سارحة" .. أشياء صغيرة من هذا القبيل ولكن لابد من التعريف بها ولو باختصار شديد لأنها تمس الشكل في جوهره .

يقولون : "مطيلعات" ويقصدون بالاصطلاح تلك الابيات الخفيفة التي تتخلل جل القصائد ، وتكون عادة في غير وزنها ... الابيات التي يقصدون بها تكسير الرتابة وتقادي الملل ، هذه الابيات المخالفة لوزن القصيدة ، والتي أرادوا بها الترويح ، حتى لايسأم المستمع ، يجعلونها عادة في بداية كل مقطع من القصيدة . ومن هنا جاءت التسمية : "مطيلعات" .

نقول بالعربي الفصيح مثلا "مطلع القصيدة" أو "مطلع السنة الهجرية" . جاء أهل الملحون الاوائل الى لفظ "مطلع" فنطقوه بالتصغير وقالوا : "مطيلع" ، وبما أنهم سوف لا يقصدون به البيت الواحد ، بل أبيات قد تصل الى ثلاثة ... أو أربعة أو حتى خمسة جمعوه فقالوا "مطيلعات" إشارة الى أن هذه الابيات لابد وأن تكون أصغر من أبيات القصيدة وأخف . وأقدم أثر عثرنا فيه على "مطيلعات" هو للمصمودي ، ويرجع تاريخ المصمودي الى عهد الملك العلوي المولى اسماعيل ...

☆ قُولُوا لِيَا مَنَّةَ تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆ مِينَةَ يَا مِينَةَ مَعَكَ شَرَعُ اللَّهِ ☆

هذه هي لازمة أقدم قصيدة وجدنا فيها هذه "مطيلعات" ومطلعها :

☆ مِيرَ الْفَرَامِ خَرَقَ حَشَايَا وَدَهَانِي ☆ جَرُّ عَنِّي كَيْسَانَ مَن هَمُومَ بَلَاءَةٍ ☆
☆ حَتَّى حَرَارَ قَوْتِي وَالنُّومَ جَفَانِي ☆ يَأْنَأَسِي لَأَمَنَ يَفِيدُنِي بَنَوَاءَةٍ ☆
☆ وَاللِّي هَوِيَتْ مُحَالٌ يَكُونُ فَوَانِي ☆ بَدَلْنِي بِالْفِيرِ لَا حَنِي مُورَاءَةٍ ☆

قصيدة المصمودي هاته ، هي على هذا الوزن من بدايتها الى نهايتها ... لكنها وإبتداء من المقطع الثاني تظهر فيها أبيات ... في غير هذا الوزن ... وفي غير هذه القافية أيضا .

☆ صِيْفَطْتُ لِلْفَزَالِ بَرَاتِي ☆ مَرْسُولِي مَشَى نَهْرَاتُو ☆
☆ قَرَأَهَا حُرُوفَ آيَاتِي ☆ قَبِضْتَ الْكِتَابَ رَمَاتُو ☆
☆ قَالَتْ لَوْ بَصُومَ سَنَاتِي ☆ بِي لَا ضَفْرُفَ : حَيَاتُو ☆

ويعد هذه الابيات الثلاثة ... يعود الى وزن القصيدة وقافيتها .

☆ مَنْ ذَا النَّهَارَ مَا يَتَّصِرُفَ مَكَانِي ☆ وَلَلِّي لَا عَنَدُوكِي أَنْتَاوِيَاهُ . ☆

..الى آخره

ولكي أوضح أكثر ... أقدم لك المقطع الثالث ب " مطيلعاته " لتكشف بنفسك الفرق بين " لطيلعات " والوزن الاصلي في كل مقطع من القصيدة :

☆ ف : الْحَيْنَ قُلْتُ يَا مَرْسُولِي ☆ تَرَكَ النَّوَاحَ وَرَجَعَ إِلَيْهَا ☆
 ☆ شَكِي لَهَا .. وَكُنْ فَضُولِي ☆ لَا بُدَّ حَاجَتِي تَقْضِيهَا ☆
 ☆ بَادِرْ لَا تَكُونْ مَلُولِي ☆ وَنَا بِشَارَتِكَ نَعْطِيهَا ☆
 ☆ وَلَلُّ لَعَنَدُولِي بَكْتَابِي ثَانِي ☆ نَقَرَّ بَابَ الدَّارِ صَابِهَا تَرْجَاهُ ☆
 ☆ بِالشُّوقِ بِأَكْيَا بِالْأَمْعِ الطُّوفَانِي ☆ وَكْتَابِي مَحْلُولٍ فَيَدَهَا تَقْرَاهُ ☆
 ☆ مَرْسُولُ مَا لَكِي قَالَتْ هَذَا جَانِي ☆ أَهْلًا بِسَلَامٍ وَتَأْيِيَةً لِلَّهِ ☆

ربما أتينا بالنص الكامل لهذه القصيدة عند بحثنا ل : لشعر المراسلة في الملحون " المهم أن "لطيلعات" ظهرت أول ما ظهرت في العصر الاسماعيلي ... ومن ذلك العهد وهي تتنوع وتترين ، شأنها في ذلك شأن سائر أشكال فن القول في الملحون ، نبحث عنها عند سيدي عبد القادر العلمي ، فنجدها في الساقبي مثلا ثلاثية .

يَا مَنْ دَرَى نَتَلَقَّا بُونَجَلَاتُ غَسَاقَا
 وَكَيُوسُ مَذَامِي يَنْدُقُ
 صَالٌ بَطْنِيْعُ شَفَاقَا وَأَطَافَا وَلَبَاقَا
 يَخْجَلُ مَنْ شَوْفُ الرَّمُوقِ
 وَحَنَّا زُوجَ رَفَاقَا وَالْخَمْرَ دَفَاقَا
 فَ : دَوَاخِلُ غُمُقِ الْغَمُوقِ
 فِيكَ الشُّوْفُ غَشَاقَا وَبُوصَالُكَ نَتَرَاَقَا
 رَافَا يَا شَمْسُ الشَّرُوقِ

هذه هي "لطيلعات" ولا بد أن يفتتح بها كل مقطع ... ابتداء من المقطع الثاني من القصيدة ... وهي بطبيعة الحال ليست على وزن القصيدة ... والقصد أن لا تكون على وزن القصيدة ... إذ الغاية منها تكسير الرتابة باستمرار ... حتى لا يتسرب الملل لا للملقي ولا للمتلقي وتحل "لعروبيات" محل "لطيلعات" في بعض الاوزان ، و "لعروبيات" هي على هذه الشاكلة .

هَلْ يَأْمَنُ دَرَى هَمُومٍ قَلْبِي تَتَجَلَّى لَمَّا يَتَذَرَّقُوا وَجَاعِي وَيَزُولُوا
مَا تَبَقَى تَاكِبَةٌ عَلَى قَلْبِي دَبْلًا وَالْقَصْدُ الَّذِي طَلَبْتَ تَضْفَرُ بِوُصُولُوا
نَسْتَيْقِظُ لِلْسُرُورِ مَنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ لَا حَاسِدٌ لَا رَقِيبٌ نَخْشَى مَنْ قَوْلُوا
نَحْمَدُ رَبَّ السَّمَاءِ وَنَسْجُدُ لِلْقَبْلَةِ وَنَقُولُ الْيَوْمَ عَادَ صَادَفَتْ قُبُولُوا
عَانَتْنِي قُوَّتُو وَصَارَحْنِي حَوْلُوا

وبانتهاء "لعروبي" ب : "الرَدَمَا" ... أي الشطر المفرد ... يعود الشاعر الى وزن القصيدة الاصلية :

مَا اِنْتَأَشِي غَايِبٌ نَرْجَاكَ يَا الْجَلِيلُ وَلَا اِنْتَأَشِي عَاجِزٌ تُعَذَّرُ يَا الْمَوْلَى
قَرِيبٌ حَاضِرٌ نَاضِرٌ مَعْطَى حَسَانِكَ جَلِيلُ تَقْدَرُ تَشْفِي مَنْ ذَاتَ الْعَبْدِ كُلَّ عِلَّةِ
الْبِدَانِ ضَعِيفَةٍ وَالْحَمَلِ جَايِرٍ ثَقِيلِ وَالْخَلَائِقِ مَا تُعَذَّرُ حَالُ مَنْ التَّبَلَا

إلى آخر المقطع .

إلا أن "لعروبيات" - وقد استوردتها الحواضر من البوادي وبالضبط من نواحي الغرب - لم تستعمل فقط كمطيلعات خفيفة للتنويع داخل القصائد ، وإنما استعملت أيضا كأوزان لمقطوعات قد تطول الى أن تصل لمائة بيت ، وقد تقصر حتى لا تتعدى البيتين أو الثلاثة ... وهكذا أصبحت "لعروبيات" هي المجال الرائع لصياغة المعنى الجميل ، والتمثيل البديع والخاطرة العجيبة ... ومع أن هذا الفصل لا يبحث المضامين ، وإنما يبحث الشكل ...

مع ذلك لا بد من تقديم نماذج من "لعروبيات" التي تتداول بين الناس وحدها وليس داخل قصائد ... اقرأوا معي مثلاً هذه الخاطرة .

مَنَلْتُ الْعُمُرَ فِي كَلَامِي لِلْكِبَةِ وَالْكِبَةُ رَأَتْ زَاوُطُوهَا مُورُ الْخَيْطِ
أُورَاسُ الْخَيْطِ خَرَجُوهُ مِنَ النُّكْبَةِ السَّدَايَا نَاوِيَا فَ : الْغَزْلُ يَشِيْطُ
مَا فَطَنَاتِ إِمْتَى وَصَلَهَا رَأْسُ الْخَيْطِ

هذا هو "عروبي" ينتهي بانتهااء الفكرة ، أو الضاطرة ... أو الانفعال المفاجئ ، أو الحالة الشعورية الطارئة . لا يجرأ الى مقاطع لا يحتاج الى لازمة ... ليس عليه أن يأتي بعدد معين من الابيات .

تَمَلِّي تَمَلِّي بِصِيرَتِي قَلْبِي يَنْسَخُ مَا فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ طُولُ الدَّاجِ نَسِيخُ
وَالْفَكْرُ قَرَاوِمًا قَرَاهُ بَدَأَ يَرْسَخُ عِلْمُ الْبَشَارِ فِي عَمَاقِي عِلْمِ رَسِيخُ
مَنْ طَلَّ عَلَيْهِ لَازِمٌ يَنْفَسَخُ وَيَسِيخُ

ليس في جبلي من لم يستمع الى هذا الوزن وهو في المهد ، أو على ظهر أمه ، أو في أحضانها .

رَأْرِي رَأْرِي .. يَا سَكَّاتِ الدَّرَارِي سَكَّتْ لِي أَوَّلِيدي ... يَا نَعَمَ الْبَارِي
النُّوْضُ انْشَوْفُ لَأَشْ مَحْتَاجَةٌ دَارِي

كان يستعمل هذا الوزن في كل نواحي الغرب ولا يزال ، في توديع العروسة وهي تغادر خيام أهلها متجهة إلى خيام زوجها ... وتتخلله كلمة "يو" وحرف "تا" يتكرر وفق نغمات ايقاعية متفق عليها .

وَأَخِيَمْتُ بُوْكَ الْغَادِيَا خِيَمْتُ بُوْكَ وَأَصْدَيْتِي خَلَاصُ وَأَشْ جَرَاوُ عَلَيْكَ

على كل حال استعمل هذا الوزن لهذا الغرض ... كما استعمل للامداح النبوية ، ومناقب الهادي بنعيسى ... ومن أراد أن يستمع الى شيء منه في عصرنا الحاضر ، فليذهب في المولد النبوي الى "مكناس" ويقصد ضريح سيدي بنعيسى ، ويبحث عن حلقات "غريباو" في فناء الضريح ... وسوف يستمع الى إبداعات في هذا الوزن ، وكيف تلقى أصوات شجية من الجنسين تخفقها العبرات ... وتتلاحق فيها الشبهات .

هذا وإن "عروبيات" في بعض جوانبها ، لمن أصدق المراجع وأوثق المواثيق في مجال التاريخ لشعراء الملحن والتعرف على بيئة كل واحد منهم ، وظروف حياته ، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد .

ذلك لا نهم اختاروا أن يتراسلوا فيما بينهم ، ويسألوا عن أحوال بعضهم ، بهذه العروبيات ، وليس بالقصائد أو السرايات ، بل أن بعضهم جعل من "عروبيات" ... شبه مذكرات ، يسجل فيها الاحداث والوقائع سواء منها التي عاشها هو ... أو التي عاشها غيره ، وشاهدها أو حدثه عنها .

خلاصة القول أن سجل "العروبيات" يبق هو السجل الحافل بأعرب المفاجآت ، وأروع المعاني والتأملات ، وامتنع الطوائف ... والمستملحات ... والدعابات ... ويحتاج وحده الى أكثر من كتاب لتوثيقه كما ينبغي ... التوثيق بل أن منظومة واحدة من منظومات المطولة كأبجدية بوخريص ، أو نورانية مريفق تحتاج الى كتاب :

أَلِيفُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمُ نَائِرٌ لِلْأَاءِ بِهِ اسْتَفْتَحْتُ قَرَبَ أَمْنٍ هُوَ نَائِي

لَاتَنَّا عَلَّ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ امْرَأِي

بَالِكَ تَبْقَى فَرِيدٌ بَيْنَ النَّاسِ غَرِيبٌ اتَّغَرَبُ يَالْخَوُ الْغُرْبَا لَغْرِيبًا

وَنَتَامَا بَيْنَهُمْ لَمَوْنَسٌ لَحْيِيْبٌ حَاضِرٌ وَتَتْ فِ عَزَّ حَالَاتُ الْغِيَا

هَبْ نَسِيمُ الصَّبَاحِ بَرَاوِيحٍ طَيِّبَا

وهكذا تمضي أبجدية بوخريس من حيث الشكل : حرف الالف بيت واحد ودل حرف الباء بيتين ودل ... حرف التاء بثلاثة أبيات ودل ، وهكذا يمضي الرقم في التصاعد ... الى أن يصل في حرف الياء الى أزيد من ثلاث مائة بيت ... أما مضامين المنظومة فهي لا تكاد تغفل عن أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا ، ولكن بشاعرية رفيعة جدا جدا ... لكم يعجبني عندما يوظف الامثال العامية في هذه المنظومة الجميلة :

النَّفْسُ الْخَامِدَا أَشْ كَاتَعْمَلُ بِهَا ؟ الْيَدُ الْبَارِدَا عَلَى الزَّنْدِ كَوِيهَا

لَا تَحْفَرْشِي لَخُوكَ حَفْرًا فِي جِيهَا أَنَا خُوفِي عَلَيْكَ لَا تَوْقَعْ فِيهَا

أما .. السارحا .. هي باختصار : الخاتمة التي توضع لا بداعات ... "مكسور جناح" و "السوسي" والتي لابد وأن تكون من أوزان "الملحون العمودي" : "لبيت" .

ذلك لأن إبداعات "مكسور جناح" وإبداعات "السوسي" - كما سبق وأن رأينا - تبتعد في شكلها عن "الملحون العمودي" ولكنها في النهاية لا بد وأن تعود إليه بأبيات مطولة تسرح ، وتسرح حتى لا تكاد تنتهي .

وأجتزئ المقطع الأخير من "طير بنسليمان" وهو من "مكسور جناح" والسارحة التي تصل القصيدة بأوزان الشعر العمودي ، وما اخترت قصيدة "الطير" بالذات إلا لأن .. "السارحا" التي تأتي في آخره هي أقصر سارحة من بين سائر "سوارح" "مكسور جناح" حسب ما بلغ علمي .

المقطع الأخير من طير بنسليمان

مَنْ لَا يَكُونُ فَارَسٌ مَا يَنْخُلُ لِلزَّحَامِ

قُولُوا لِمَنْ دَعَا بِالْعَلَمِ الْمَوْهُوبِ

يَعْتَبِرُ ... وَيَقْصُرُ .. وَيَتَوَبُّ

جَايَحَارِبُ مَا طَاقَ حُرُوبِ

رَاحَ مَقْلُوبٌ

رَضًا لَهْرُوبٌ

وَنَظْفَى مَصْبَاحُ

السَّفِيهِ الْوَعْدِ الْمَفْضُوحِ

الى هنا وتنتهي الوحدة العروضية التي قام عليها المقطع ... لتبدأ السارحة وهي في أحد أوزان "لرما المثنية"

كُلُّ حَرْبٍ عَقِيدَ الْعَلْفَا دَرَاوْنِي صَبَّاحُ فَ : الْوَعْدَا رَاكِبٌ شَلَوْ جَمُوحُ

كُلُّ مَنْ شَالَا وَيَحُوهُانَ بِالْعَمَرِ وَسَلَاحُ كَانَ عَاشٌ نَتَرَكُو مَشْبُوحُ

بِالشَّجَاعَا يَشْهَدُ لِي كُلُّ مَنْ فَخَرَبَ .. سَلَاخُ فَ : الْعَرَبُ ، وَسُودَانُ وَشَلُوحُ

الطَّالِبُ طَيْرٌ عَلَا مَعَا الْاَطْيَارُ وَرَاحُ فَيَدْنِي وَأَشُّ الْيَوْمِ يَزُوحُ

ذلك هو شكل السارحة ... وهذا هو مكانها ، تختتم بها عادة ... ابداعات "مكسور جناح" و "السوسي" وهكذا يمكن القول : أن "السارحة" صلة من الصلوات الثلاث ، التي توصل "مكسور جناح" و "السوسي" بالمدرسة الام ... مدرسة الملحون العمودي كما تركها بنحسين وجماعته "الرواح ، اللازمة" وأخيرا ، "السرحة" ، سنرى في فصل الاغراض أن ... سيدي عبد القادر سوف يكسر هذه القاعدة ، ويطالع على الناس بإبداعات "مكسور جناح" من نون سارحة ، بل وسيأتي بعده بنسليمان بإبداعات من "مكسور جناح" . ليس فيها ... لا "رواح" ولا "لازمة" ولا "سارحة" ولكن الشعراء الذين جاؤا بعدهما وصفوا إبداعات الاول ب : "المقروطة وإبداعات الثاني ب .. الصياديا .. وعلا بالمثل الشعبي القائل : أجديد يلوجدا ، والبالى لا تفرط فيه ، تركوا مدرسة بنحسين حاضرة باستمرار ، لا في مدرسة ولد بوعمر "مكسور جناح" ولا في مدرسة "متيرد" "السوسي" أي تعاملوا معها حتى الآن من داخل "لرمات" و "القياسات" ولعل آخر اصطلاح يهمننا أمره هو : "القياس مشرقى" وهو "القياس الثاني من "لرما المثنية" وشكله هكذا .

هَبَّتْ رِيَاخُ الْفَيْثِ عَلَى غَصَانِ الْاَنْوَاحِ سَرَّهَا يَسْرِي سَرَى الرَّاحُ فَالْجَوَارِحُ

سبق القول : أن هذا الوزن من أحد أوزان الشعر الشعبي المحلي في المغرب الشرقي . لا أعرف على وجه التحديد متى استقام نظم الملحون في هذا الوزن ، كل ما أعرفه هو أن المصمودي كتب فيه أكثر من قصيدة وكذلك المغراوي ، وكلاهما عاصر السلطان العلوي الحازم ، مولاي اسماعيل الذي كان يعاصره الى جانبهما ، بل ويلزمه في العمل والترحال الشاعر الفحل ... بوعثمان .. ، وهو الذي كتب في مديح مولاي اسماعيل ، مالا يقل عن الف بيت من الشعر . كلها على هذا الوزن الذي تبنته مدرسة الملحون ، كما تبنته مدارس أخرى سوف يأتي معنا ذكرها أو ذكر بعضها على الاقل ... إنما قبل ذلك لا بد

من تسجيل بعض النماذج من شعر هذا الوزن ... الذي جاء منه "قياس مشرقى" وسوف نختار النماذج من شعر رائد المدرسة ... أبو سعيد بوعثمان

يقول عن نفسه :

أَنَا نَا بَغْتَ الزَّمَانَ فِ جِيلِي فَدُ
حَامِلٌ رَأَيْتُ هَلْ الشَّعْرُ أَرْيَابَ الْمَجْدِ
شَاعِرٌ عَصْرِي حَقٌّ لَكِنْ خَانَ السَّعْدُ
بُوعَثْمَانُ مَغْصٌ لِلْجَاحِدِ فَ : الرِّيقُ
لَلدَّرِ إِلَى غَصْتِ مَالِي حَدٌّ رَفِيقُ
وَاللِّي خَانُوا السَّعْدَ عَاجِزٌ وَأَشْ يَطِيقُ

يقول في مديح السلطان مولاي اسماعيل :

مُولَايَ اسْمَاعِيلُ الاسْمَاسِيفُ النَّصْرُ
غَيْثًا لِّلْمَلْهُوفِ يَا كَنْزَ الْمَدْطَرِ
انْتَى السَّفَرِ الْجَامِعَا الْحَكْمَا كَالدَّهْرِ
سَيِّفِكَ سِرٌّ ، وَمِيَمِكَ أَمَانٌ مِنَ الْمَكْرِ
مَنْ بِهِ رَحَا الْحَرْبِ فَ : الْمِيدَانُ تَدُورُ
يَا جَابِرٌ مَنْ شَافَتْ أَرْمَاقُو مَكْسُورُ
فِيكَ عُلُومٌ وَبِكُلِّ مَحْمُودٍ مَذْكُورُ
وَعَيْنُكَ عَفْوٌ وَلَا مَكَّ الْيَأَنَا وَسُرُورُ

ويقول في أخرى عن مولاي اسماعيل أيضا :

يَا عَنَّتْرَهَا حِينَ تَنْتَهِيَا لِلْحَزَمِ
يَا حَجْرًا سَعْدٌ جَادِبُ الطَّائِفِ لِلنَّمِ
يَاسِيفُ يَمَانِي يَشُقُّ صِلَادَ الصَّمِ
يَا قَسُورَ فِي زَهْرَتُو لِّلْسَمْعِ اهْزَمِ
يَا حَاتَمَهَا فِي غُلَاوَتِ سَعْرِ السُّومِ
يَا بَذَرَ زَهْرَلَاخٍ مِنْ قَبْلَا مَتْمُومِ
يَا رَمَحَ ارْدِينِي عَنْ أَعْدَاتِكَ مَشْوُومِ
يَا زَهْلُولَ رَقَطِ إِلَى يَنْحَازِ غَشُومِ

ويقول في أخرى عن السلطان مولاي اسماعيل كذلك :

أَنْتَ الدَّرَا الْوَاسِطَةُ فِي عَقْدِ الْمَهْوِ
يَلْقَى سَيِّتٌ مِنْ خَطَا عَفْوِكَ بِالْمَحْوِ
سَيِّفِكَ يَهْلِكُ مَنْ تَعَدَّى الْوَلَا الْعَفْوُ
نُورِكَ فِي جِيدِ الزَّمَانِ الشَّهْبُ شَعِيلُ
يَصْفَحُ حَلْمَكَ عَنْ كِبَا يَرْغَى الْقِيْلُ
يَسْبِقُ بَطْشَكَ وَبَيْنَ مَالٍ مَعَاةٍ يَمِيلُ

حَتَّى صَارَ الذَّنْبُ عِنْدَ حَسَانِكَ حُلُوً مَا يَخْشَى مَكْرَكَ مِنَ الْجِيرَانِ تَزِيلُ
أَنْتَ مَتَوًّا الصَّفْحُ فَ: الدُّنْيَا وَالْعَفْوُ مَا تَحْرَمُ مِنْ فَيْضِكَ الْقَاضِي كَالنَّيْلِ
وَالنَّاكَرُ عَلَيَّ يَسْأَلُ اصْطِحَابَ النَّحْوِ يَعْرِفُ جُمَانُ الْمَعَانِي بِالتَّقْصِيلِ
لَا عَدَمَتِ شَخْصِكَ مَرَاتِبُ دَارِ الزُّهُوِ وَلَا فَقْدَاتِكَ عَيْنُ فَنَهَارٍ وَفَ اللَّيْلِ

وأخرى ... وأخرى ... وأخرى إنما المطولات السبع ، وكما تركها بوعثمان غرد الشعر الشعبي في كل زمان ومكان .
نعم لشاعرنا الممتاز أبو سعيد بوعثمان قصائد كثيرة ومتنوعة إنما كلها على هذا الوزن ... الذي تحول إلى أيقاعات
حضارية ملحونة وسمي لمشرقي ...

هَاجَ فِكْرِي وَالسَّائِكُنْ هَاجَ يَا الْحُجَّاجُ لَا تَصْنَعُوا حَتَّى تَدِينُونِي مَعَاكُمُ

وهذا الوزن لم يتسرب إلى الملحون وحده ، بل نجده في نواحي كثيرة من أرض المملكة : في ناحية صفرو : "المنزل" تبهاليل
ويسمى "غيوان بن يازغا"

كَانْخَمْتُ وَلَكَيْتَ الرَّأْسُ كَاغْ خَاوِي كَانْمُوتُ وَسُلْطَانُ الزَّيْنِ كَايْدَاوِي



كَانْخَمْتُ وَلَكَيْتَ الرَّأْسُ فِيهِ لَفَوَاتُ شَحَالُ مَنْ كِيَا فَيَا دِي عَيُونُ لَبَنَاتُ



نجده في طرب الآلة :

يَا لَوَالَعُ بِالزَّيْنِ إِلَى سَخِيْتِ بِسِي غَيْرُ صَبْرٍ قَلْبَكَ دَبَا يَفْرَجُ اللَّيْ

بل نجد هذا الوزن الذي يسمى "لمشرقي" حتى في الاغنية الشعبية المعاصرة .

الْحَبِيبُ اللَّيِّ وَالْفَتُوْ مُشَا عَلِي مَا نَوِيْتُوْ بَعْدَ الْعَشْرَا يَكُونُ غَدَارُ

والاغنية لمحمد فويتح .

وأنا إذ أقول بقول شيوخ الكرام في انتساب هذا الوزن إلى المغرب الشرقي لا أطرح رأبي ، ولا أريد أن أتناقش على الأقل
في هذا الكتاب .. والا .. فيمكنني أن أثبت بما لا يقبل الشك : أن هذا الوزن يعود تاريخه إلى قيام النولة المرابطية ، وأن أهل
مراكش ، وأهل فاس وأهل تازة كتبوا الجزل المغربي الجيد في هذا الوزن عند قيام النولة الموحدية ، وفي عهد عبد المؤمن بن

علي بالذات ، ثم أن التعامل مع الأوزان المغربية ، سواء في الملحون ، أو في غير الملحون ، لا ينبغي أن يبدأ إلا بعد عملية مسح شاملة لكل النغمات الإيقاعية التركيبية التي تتبنى عليها الألفاظ بلهجة هذه الناحية أو تلك ، لتشكيل هذا السلم من الإيقاع أو ذاك .

أعطي ألف قصيدة لمن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال : هل الجليلي أمثيرد هو الذي فتنه وزن قبيلة "أبني احسن" الذي يتغنى به على إيقاعات "المقس" و "البندير" أو هي "الطارا" .

الصَّلَاتُ عَلَى النَّبِيِّ وَنَافِي قَلْبِي حَلَاتٌ وَأَمَنْ لَّيْبَغِيكَ يَا لِهَادِي مُوَلَاكَ

ايشْتَوُ شَتَاتُ

☆☆☆

اشفر اللِّي عليه سَمَاوَا النَّاسِ زَمَانْ بُوَشْفَرْ اشْفَرْ اللِّي شَحَالْ مَنْ وَاحِدْ شَدَّ عَلَيْهِ

بَالْفَدْرْ

اشفر اللِّي شَحَالْ يَقْتُلْ وَشَحَالْ يَقْصِفْ الْعَمْرَ مَا نَا مَنْ فِيهِ مَا نَحَادِيهْ مَنْ صَغْرِي التَّا

لَلْكَبْرْ

☆☆☆

بين الصدر والعجز ترديد جماعي "وَأَكَالُ الدِّي يَاوْدِي"

قلت : هل "متيرد" هو الذي أعجبه هذا الوزن من "أبني احسن" فاختاره لقصيدة "الطير"

طِيرْ امشَالِي وَلَا عَرَفْتُو فِينْ مَشَا سَابِغْ الْاَشْفَارْ

تَجْمَعْنِي بِهِ يَا الْمَوْلَى طَالَتْ بِالشُّوقِ غِيِيْتُو

كما أن عند ابن حسن ترديد جماعي هو "وَكَالُ الدِّي يَاوْدِي" بين الصدر والعجز ... كذلك عند أمثيرد جملة اعتراضية هي "فَدَقْدُ بَجَوَانَحُو وَطَارْ" وأعيد السؤال هل "متيرد" هو الذي اختار وزن "ابن حسن" لقصيدة الطير أم أن "ابن حسن" هم الذين اختاروا وزن "الطير" لشعرهم الشعبي المحلي ؟ كل ما أعرف هو أن "ابن حسن" وأهل الملحون لا يزالون يبدعون في هذا الوزن إلى يوم الناس هذا ، بل أن أهل الملحون نوعوا فيه و لونوا .

أَنَا الْعَشِيرِي بَلَا مَزَايِدَ وَاللَّيْمَ فَالْمَلَامَ زَادَ : زَايِدَا "للتهامي لدغري

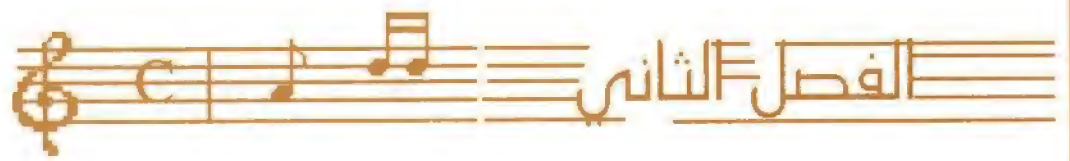
سَلَّتْكَ بَيْهَاتُ يَالرَّايَحِ .. مَا لَكَ سَكْرَانُ نُونُ رَا حَ :فَارْحَا" لنفس الشاعر

أَسَادَتِي أَوْلَادُ طَهْ بَرَضَاكُمُ عَالِجُوا الْحَالِ :الاشراف" للحاج إدريس بنعلي

دَابَا يَعْقُو اللَّهَ عَنِّي وَتَعُوذُ مَلَا زَمَ الْفَجَرِ : "الخمسة أوقات" ل : أحمد الراس بل أن جدور الوزن الذي أقام عليه الجيلالي امتيرد الحراز . والذي يستعمله حتى الآن من أراد أن يكتب في موضوع الحراز ... هو من "العيطة الحوزية" ولا أقول : المرساوية ، أو الحصبأوية ، وإنما الحوزية لقد استمعت الى "الشيخة بريكا" سنة 1942 تغني "طالق المسروح" للتهامي لدغري ، وهي من السوسسي ، أي من النثر الفني في الملحون - ولكن بطريقة العيطة ، لا على طريقة الملحون ، ويعد ذلك بسنة . أو هي سنة ونصف ... استمعت الى الشيخة العرجونية تغني "الهادي يَا الْهَادِي" بطريقة العيطة ، وهي أيضا ملحونة وطى وزن طالق المسروح فابدعت كما لم تبدع الشيخة بريكا .. مع حنكتها وتجربتها وتمكنها من العزف على الكمان ، كذلك قال "حماد النشار" وهو أستاذ "المرشال" في العزف على الكمان ، ولماذا الرجوع الى الوراء وبيننا المهدي بلعباس يغني سائر إبداعات النثر الفني على أنغام وإيقاعات العيطة الحوزية الى يومنا هذا ، وإذا مات - متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر - مات آخر أمل في إعادة ربط الصلة بين الملحون والعيطة كما كانت من قبل .

يكفي هذا القدر من الايضاح فيما يتعلق بالشكل في فنون القول الملحون ، وننتقل الآن الى المضمون .





اغراض الملحون

* أغراض الملحون *

أغراض الملحون عشرة :

التوسلات الالهية ، والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية "الريبعيات" ، العشاق ، الساقى ، الترجمة - لغراض الهجاء - الرثاء . وتتفرع عن هذه الأغراض ، أو عن بعضها على الأقل - موضوعات وموضوعات ، ربما ضاعت هذا العدد ، مثلا نجد في التوسلات الالهية موضوعات أخرى مثل "الحيرة" و "الغربة المعنوية" و "لفزالوت" وفي الامداح النبوية نجد "الشعر الملحمي" الطويل النفس "بدر" ، "حزين" ، "الخدق" ، أما الوصايا .. فكلها مفاجات .. أما الريبعيات .. فهي شعر الطبيعة في الملحون ، وفيه كل ما في الطبيعة المغربية من بدائع الحسن ، وروائع الجمال .

وتبقى كل هذه الأغراض ، وما تنبني عنها من موضوعات قديمة جدا جدا بالنظر الى ما آل إليه أمرها في الملحون المعاصر ، وقد اتجهت اتجاهات أخرى بل وظهرت أغراض وموضوعات لا عهد لنا بها في الملحون القديم .

فمن قصيدة "للاكا" وقد كتبها الفاسي المراكشي الحاج الحسن بنشقرون سنة 1936 ، الى قصيدة "اليتيم" وهي التي كتبها "المراكشي السلاوي عبد المجيد وهي" سنة 1976 .

في هذه العقود الاربعة ، ظهرت أغراض وموضوعات ، تضاعف الأغراض والموضوعات القديمة أضعافا مضاعفة . فعرشيات مولانا محمد الخامس التي افتتحها الحاج الحسن بنشقرون بقصيدة "للاكا" ، وصلت في عيد العرش الفضي 1952 الى أزيد من أربع مائة قصيدة ، استنسخها جميعها "عبد الواحد العصفوري" وكان يقرأ منها - في حضرة شيخنا رحمه الله - بعض القصائد من حين لآخر .

أما منفي مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه ، فحدث عما كتب فيه من ملحون نضالي ولا حرج ، وحسبي أن أسجل هنا أن القصر الملكي بالرباط ، قد تحول في أيام المنفى إلى أطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُورُ وَالتَّفَافُحُ " على حد تعبير العيساوي الفلوس

كَابَيْكِيُوا اشْجَارُومَعَ أَطْيَارُومَ وَأَرْهَارُ وَلَا عَيْبَرُ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس ، من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : تواركة - قصد .. اليكاء على الاطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُورُ وَالتَّفَافُحُ " على حد تعبير العيساوي الفلوس

كَابَيْكِيُوا اشْجَارُومَعَ أَطْيَارُومَ وَأَرْهَارُ وَلَا عَيْبَرُ فِيهَا .. كما قال سيدي علال العلوي .

على كل حال كان الشعراء أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عواصم الملحون من تافيلالت ، من مكناس

من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة ل : تواركة - قصد .. البكاء على الاطلال

جَيْتَكَ يَا قَصْرَ الْمَاجِدِينَ صَبَّتَكَ خَالِي مَقْفُورٌ
سَكَّاتِكَ جَابُونِي نَزْدَهُمْ لِلَّهِ وَأَيْنَ سَارُو ؟
وَأَعْطِينِي الْإِخْبَارُ

ويضل يتساعل في شجن ، تماما كما تساعل امرؤ القيس من قبل إلا أن الاطلال غير الاطلال ، والقصد غير القصد والخطب فضيع والامر جلل .

وفي هذه الفترة بالذات .. ظهرت قصائد أخرى في زعماء الحركة الوطنية من أمثال بلحسن الوزاني ، وعلال الفاسي ، وعبد الخالق الطريس .. بل وظهرت قصائد أخرى شبه أسطورية في وصف بطولات أبطال الغداء ، من أمثال : الزرقاطوني ، والفتواكي ، والحنصالي وغيرهم وغيرهم من رجال المقاومة .

صحيح أن بنعلي ولد آرزين عبر عن تضامن المغاربة مع العرب والمسلمين في حملات "تابليون" على مصر : "مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مَصْرَ" وصحيح أن من لا نعرف من هو - لان القصيدة فيها بتر لا تخلو منه نسخة من نسخها - كتب في نهج العلوم والمعارف العربية من مدينة الاسكندرية : "تَهْنِئُوا نَحَائِرَ الضَّأْسِ".

ولكن ما كتب خلال هذه العقود الاربعة ، يفوق الحصر .

فقصائد "فلسطين" جمع منها الحسن اليعقوبي رحمه الله مائة قصيدة وقصيدة ، وقال معلقا "إنها تعدد حبات السبحة .

وقصائد الزعيم التونسي لحبيب بورقيبة : "هَرَبَ إِلَيْهِمْ مَنْ سُوْسَا" العربي لبرادعي ، مكناس .

"خَادُوهُ الْمَاكْرِينَ" مولاي قدور البلغيثي فاس

"لَعَقَابُ حَطَّ عَلَّ لَحْمَامَ" العربي معينو سلا

وقصائد جميلة بوحيرد - وقصائد "قراص الفضا"

استسمح ، فلقد أبعدت بعض الشيء عن الموضوع ، وعذري هو أن قصائد هذه العقود الاربعة هي السجل الحافل بكل إنجازات الوطنية الصادقة الحقة ، التي واكبها رجل الملحون ليس بمعاشيتها فقط ، ولكن بتحليلها أيضا .

وهي الديوان الذي يعبر بصدق عن تضامن الانسان المغربي - العربي المسلم ... مع الاخوة في العروبة - والاخوة في الدين فانا لم أذكر مثلا قصائد الدعوة الى العلم ، بما فيه التقنية .

اقْرَأُوا الْعِلْمَ صَغَارَ بِهِ تَدْرِكُوا لَمَزِيًّا
الرَّادِيَّ وَمَوْلَاهُ صَانِعُو بِالْعِلْمِ لِلْخَبَرِ
زِدْ جِتْهَدَ وَقَرَّ

ولم أنشر الى قصائد أيام الحرب "البون مثلاً".

نَاسَ السَّرِيْسَ يَا هَلِي صَبَارًا مَا تَخَافَ مَنْ دَوَّارًا بنمصر * مراکش

ولا قصائد "طيفوا الضو"

غَلَقَ الْإِبْوَابَ وَالشُّرَاجِمَ لَا تَتْرَكَ ضَوْكُ يَظْهَرُ
لَا تَمَطَّرَ عَنْكَ الْكُورُ

لم أنتبه الى ما آل إليه امر المرأة عند الشاعر المعاصر . ذلك لان شاعر الملحون القديم كان يتعامل مع "نؤوم الضحى" لكن شاعر الملحون اليوم يتعامل مع التي تراحمه في حافلات النقل الحضري صباح مساء ، لانها كادحة مثله وتتاضل الى جانبه من أجل الغذاء الافضل ، والتوسلات ، والامداد ، وشعر الطبيعة ، كل ذلك وغيره قد تحول ، ولكن الى أحسن ، الى أروع ، بل الى حيث لا يبقى أي مجال للمفاضلة . لذلك لم أدرج الموضوعات الحديثة ضمن الاغراض القديمة ، حتى لا يقع الخلط وحتى نستطيع أن نتعرف على ما كان في الماضي لنرى على ضوئه ما جد في الحاضر .

ف "حسينيات الملحون المعاصر" وحدها تحتاج الى أكثر من كتاب وكذلك "آدب المسيرة" والمؤتمرات ، أفريقية كانت أم عربية أم إسلامية .

على كل حال ، كل ما جد في فنون القول الملحون سواء في الشكل أو في المضمون سنتناوله إن شاء الله في الجزء الثاني من الكتاب بالطرح الذي يلائمه ويناسبه . أما الآن فإلى الاغراض العشرة .. وكما تركها القدماء .



"التوسل" ويجمعونه على : "توسلات"

إنه غرض من أغراض الملحن يشمل قصائد الندم والتوبة ، وقصائد التضرع والاستغفار ، وقصائد التسبيح والحمد ، وقصائد الشكر والامتنان .

وكم في هذه القصائد من مناجات روحية عالية جعلها الصديق غضة باستمرار ، وكم من ابتهالات قلبية رفيعة تركها الشوق طرية الى الآن ، وكم من بوارق ولوامع وسوانح وإشراقات ، وكم من سياحات تخترق الحدود ، وتحليقات تعلو فوق الوجود ، فيتلاشى الزمكان ويفنى الشاعر الولهان ، ولا يبقى إلا الملك الديان .

هذا هو : "التوسل" الغرض الأقرب الى الأرواح والقلوب ، من بين سائر أغراض هذا الفن المحبوب .. بل إنه رياض الأرواح والقلوب ، فيه تمرح وبه تنتشي .

وليس من بين فحول شعراء الملحن ، من لم يكتب في هذا الغرض ولو قصيدة واحدة على الأقل ... وحتى أولئك الذين لم يكتبوا في هذا الغرض قصيدة كاملة . وهم قلة نادرة . نجدهم يخصصون له أبيات في جل قصائدهم .

ف : "التهامي لدغيري" مثلاً لا نعرف له أي توسل ... ولكن قصائده العاطفية وقصائده في وصف الربيع لا تخلو من أبيات في "المناجات" يقول في بعض أبيات "زهراء" .

يَجُودُ وَيَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِي وَوَزَارُو
السُّتَارُ يَجُودُ وَيَسْتَرُ
مَا كَيْفَ سَتَرْتُو لَعَبْدُ وَسَتَرَا

ويقول في بعض أبيات "الربيعية"

وَأَجِبْ اِحْمَدُ وَتَشْكُرْ وَتَبَارِكْ اللَّهُ
عَلَى النِّعَايِمِ لَكثيراً رَبَّنَا عَطَاها

وفي بعض أبيات قصيدة "الجفن"

مَا عِلْمُ مَا بِي إِلَّا الْكَرِيمُ وَخَدُو
عَالَمٌ عَلَى حَالِي لَنُؤْخِرُ وَاحِدُ

أما الذين كتبوا قصائد كاملة في هذا الغرض ، منهم : ولد بوعمر

أَهْلَ الْبَهَا حَمَاقُو رَدَّ الْوَلَّهَا
مَنْ شَعَا مِنْ شَعَشُوعِ الْكَامِلِ الْبَهَا

ومنهم "الحمري"

زَخْرَفَ رَوْضَ جَنَانِي
وَشَمَسَ جَنَانَ فِيهِ اللَّيْلُ فِي قَلْبِي الْآنُ

ومنهم بنسليمان ، وسوف ندرج قصيدته : نَبْكِ عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْفَاتِي ، ومنهم "الكراري" النطق بالترقيق .

يَارَافَعُ السَّمَوَاتِ عَلَيَّ تَبُّ لَا تُحَافِدِيَنِي بِذُنُوبِي أَحْيِي أَوْزَارِي

ومنهم بنعلي المسفيوي ، وقصائده في "المناجات" كثيرة ، أذكر منها على سبيل المثال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخِيرَتُ الْإِسْلَامِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلَمًا مَشْرِفًا

ومنهم ومنهم ... إلا أن خير من أعطى العطاء الغزير في المتقدمين سيدي عبد القادر العلمي وفي المتأخرين شيخي الجليل سيدي إدريس العلمي

وسوف أرجي التعامل مع شيخي إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله أما سيدي عبد القادر العلمي فسافتح هذا الغرض ببعض قصائده سبق القول أن سيدي عبد القادر عاصر الملك العلوي الورع مولاي سليمان ، كتب في هذا الغرض :

يَا مَنْ أَبْلَانِي عَافِيَنِي يَا كَرِيمَ الْكُرْمَا غَيْثًا بَفَرْجٍ يَا الشَّافِي بِحُكْمَتِكَ حَالُ كُلِّ مَضْرُورٍ

مَنْ صَرَخْتُ لِحَمَاكَ قَرِيبَةً وهذه هي القصيدة التي سنبدا بها قصائد هذا الغرض :

"الصرخا" لسيدي عبد القادر.

ولعل من نافلة القول أن أقول : أن ليس في الملحون القديم كلمة لا تقوم على جذر عربي ... اللهم إلا النادر جدا ، والنادر لاحكم ... من هذا النادر مثلا :

"لبرا" أي "الرسالة" فهي من تمازيغت وأصلها "تابرات" وهي عند المصمودي .

صيفط للفرزال براتي "أو" فالطا" أي "خطا" وهي اسبانية يقول ح فضول في "المحبوب"

تَأْسُ اللُّيْرَضَاوُ قَالَطًا ، أما ماعدا هذا النادر ، فكل ألفاظ الملحون من أصل عربي ، وعنوان هذه القصيدة "الصرخا"

و"الصرخا" من الاستصراخ أي طلب الاغاثة السريعة ، وفي القرآن الكريم :

فَاسْتَصْرِخْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ... الآية أي استغاث به .

"عَشَقُ الْجَمَالِ طَبَعَ غَرِيزَفْ مَنْ هُوَ لِيْبِبْ"

عشق الجمال ... طبع غريز أي خلق متجدر في : مَنْ هُوَ لِيْبِبْ أي ذارقة وشفافية ، وهو هنا لا يخصص وإنما يعمم

عَشَقُ الْجَمَالِ جمال الطبيعة ، جمال الكائنات جمال الاخلاق ، جمال الخير ... جمال الحق .

عَشَقُ الْجَمَالِ طَبَعَ غَرِيزَفْ : مَنْ هُوَ لِيْبِبْ

وَيَحْسَنُ بِهِ وَسَطُ قَلْبِيْهُ (ديما معاه نعت احبيب)

كَالْمِسْكِ الدُّكِيِّ فِي جِيْبِ—وُ
وَمَوَالِفَا النَّفْسِ بِطَيْبِ—وُ
وَالْوَجْدِ رِيحِ غُ—لَابُ
مَتَّـرُوكٍ فِيهِ لَعَتَّـابُ
مَوْلُ الشَّرَابِ يُعْذَرُفُ حَالُ الْغِيْبَةِ دَائِعٍ بِهِ هَوَاهُ
مَا يَمِيْزُ دَاهُ مِنْ اَنَوَاهُ

الانبيهار ، الانجذاب ، التواجد ، الشكر ... على كل حال نقد القصيدة بهذه الكيفية ، ربما اتلف معالمها ... وعليه ... فسنعمل بقول القائل إذا ظهرت المعنى فلا فائدة في التكرار .. فلقد قرر في البداية أن عشق الجمال من المطابع التي لا يتصف بها إلا أصحاب الرقة ، والرهافة ، والشفافية ... والحب عنده نتيجة العشق ... فإنك تحب ما تعشق .. ومن ثم فقد انتقل من العشق الى الحب .

الْحُبُّ فَتَجَلَّ رَحِيْبُ قُوْ لَذَّةَ لِلشَّرِيْبِ
وَاللِّيْ صِفَاتٍ لِيْهِ اَنْشَوْتُ—وُ
وَدَرَكْ فَ : الْحَبِيْبُ شَهْوَتُ—وُ
تَبَنَّتْ حُجَّتُ—وُ وَدَعَوْتُ—وُ
وَاللِّيْ عَلَي الرِّضَا بَاتُ
يَنْسَى جَفَى اللِّي فَاتُ
رُوحُوْ هَنَاتُ
سَاعَتُ لَقْبُـوْلُ وَجِيْنَا وَالسَّرِّ لَمَنْ اخْفَاهُ
لَا غَنَّا شَرِيْبُ يَصْفَقَا مَاهُ

وبعد أن يخصص هذا المقطع للحب في أوقاته الهنية ... ينتقل في كل من المقطع الثالث والمقطع الرابع ، والمقطع لخامس الى أحلك ظروف الحب ... وهو يرمز بكل ما جاء في هذه الفصول الى القواطع ، والموانع ، والعقبات التي تعوق المساعي في

الطريق الى الله ، إذ أن المعنى العميق للتقصيدة ككل هو أن 'عشق الابداع إذا كان صادقا ، لا بد ، وأن يترتب عنه حب المبدع

مَغْلُوبٌ لِلْمَحَبَّةِ قَلْبُ الْمَرْأَةِ النَّجِيبِ

الْحُبُّ لِيَسْهُلَ كَمْ مِنْ صِفَةٍ

بَدَأَتْهُ اسْرَارُ لَطِيفَةٍ

نَهَّيَتْهُ اشْرَارُ عَصِيفَةٍ

مَنْ صَبَّحُوهُ تَلَّافٌ

يَمْسَا وَابَهُ عَرَّافٌ

امْعَاوَصَافٌ

سَرَّ الدَّعْوَةَ لِمَجِيبَةٍ يَلْقَى الْعَبْدُ مِنْهَا

وَمَنْ وَقَفَ سَعْدٌ وَغَمٌ اغْتَدَاهُ

بَحْرُ الْهَوَى رَكُوبُهُ فِيهِ السَّرُّ الْعَجِيبُ

مَعَ فَرَأَتْهُ وَكَلاَحُو

وَعَوَاصِفُو وَهَوُلُ رِيَّاحُو

وَزَلَّازِلُو وَرَعْدُ صَيَّاحُو

يَأْتِي بِشَيْءٍ الْاَفْرَاحُ

بَتَقَايَمُو الْاِلَى رَاحُ

بَابُ الصَّنَاحُ

مَنْ تَوَنُّوْ كُلُّ مُصَيِّبَةٍ يَلْقَاهَا مِنْ جَاهٍ

عَسَم

مَنْ بَلَغَ قَصْدُو صَابَ مَنَاهُ . غَمٌّ عَدَاهُ

فسم

زَوَابِجُ الْهَوَى فِيهَا الْهَيْنُ وَالصَّغِيرُ

مَنْهُمْ مَنْ يَجِي بِكَرْوِيٍّ

وَوَسَاوِسُ وَعَجَبُ خَطُّو

يَبْلِي النَّفْسُ بَعْدَ يَتَوِي

فِيهِمْ سَهْلُ مَرَطُوبُ

يَأْتِي ف : زِي مُحِبُّوبُ

يُطْفِي شَهْوبُ

كَانَتْ ف : الذَّاتُ لَهَيْبَةُ وَرَقِّي مَعْنَاهُ

حِينَ يَشْهَدُ تَصْدِيقُ مَنَاهُ

فإذا كان المقطع السادس من القصيدة ... انتقل بنا من عام الى خاص ... كيف هو مع الحب ؟ وماذا يحب ؟ ... وهل

هناء بلحظاته السعيدة أم عصفت به عواصفه ؟

لَبِنَا اللَّيْ افْتَنِّي سَوْقُو نُوْعُو غَرِيبُ

نَجَلَاتُهَا لُتُوفُ سَمَاهَا

ف : قُلُوبُ هَلْ الْحَالُ ضِيَاهَا

مَرْمُودُ الْبَصَرِ مَارَاهَا

سَنَاءُ لَامَعَ شَعَاهَا

خَطُّافُ كُلِّ مَنْ رَاهَا

وَيْلَا اخْدَاهُ يَزْهَدُ فِي كُلِّ كَسِيْبَةٍ وَالصَّادِقُ ف : هَوَاهُ

كُلُّ مَا يَتَمَنَّى يَلْقَاهَا

ويبدو في كل من المقطع السابع ، والثامن ، والتاسع ... وكأنه يخاطب نفسه ، ينصحها ... يوجهها ، يفتح أمامها آفاق المعرفة في طريق القوم

تَدْعِي الْحُبَّ وَتَحْصِي بَصْنُودَ الْحَبِيبِ
يَاسَعْدُ مَنْ عَلَيْكَ تَوَلَّى
لَوْ كَانَ مَرَّةً عِنْدَكَ يَحُلَا
مَا عِنْدَ الْحَبِيبِ الزُّلَّةُ . *حبيب ليس عندنا زلة*
مَنْ لَيْسَ جَانِبَكَ الْحَالُ
طَبَعُوفُ : كُلُّ مَا قَالَ
زَكِّي فَعَالَ مَنْ نَفْسُكَ بِهِ شَفِيبَةُ
كُنْ لَهُ عَنْ أَمْرٍ وَنَهَاهُ

فنسم

تَبِيهِ الْمَلِيحِ كَالسَّقْوَى لِلرَّوْضِ الْجَدِيدِ
تَدْفَعُ بَ : اللَّقَاحُ اشْجَارُ
وَتَفُوحُ بِالنَّسَامِ اَزْهَارُ
وَتَهِيحُ لِلنَّشِيدِ اَطْيَارُ
لَوْلَا غَزَالُ لَقْفَارُ
طَبَعُوشَرُودُ حَدَارُ
لَوْ كَانَ بَارُ - وَالرَّخْصُ عَلَيْهِ مُصِيبَةُ
يَلْدُ عَشَقُ وَيَصُونُ بِهِاهُ

قَاضِي الْمَزَاجِ مَا يَدِي خَبَرُ وَلَا يَجِيبُ
عَزَّ السَّلُوعُ عِنْدَ غُلَاهَا

فنسم جاف

وَتَهْـوَنَهَا أَيَّامَ أَرْخَاهَا
وَتَسَاوِمِ الْهَمَجِ مَشْرَاهَا
وَاللِّي اتَّكَاثَرُ ضَمَّاهُ
وَالْقَى حَبِيبَ وَسَقَاهُ
لَوْ مَا شَحَافَ مَا يَدِّي لِلْمَاطِيَةِ
وَمَنْ جَرِيَتْ عِيَاهُ
فُوقَ الْفَضَى تَايَةً بُوَاهُ

أما المقطع العاشر .. فسوف يعد تنافيه بما آل إليه أمره في عشقه :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيبُ
مَنْ اللَّي احْلَاتْ نَشَوَتْ شُرْبُو
وَسَرَاتٍ فِي نَوَاحِلِ قَلْبُو
شَيْبُو غَبَافُ سَطَوَتْ حُبُو

يا سلام .. هنيئاً لمن هذا حاله مع الله :

مَنْ اللَّي حَلَاتْ نَشَوَتْ شُرْبُو
وَسَرَاتٍ فِي نَوَاحِلِ قَلْبُو
شَيْبُو غَبَافُ سَطَوَتْ حُبُو

ومن الشطر الذي افتتح به هذا المقطع :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيبُ

وهذا الشطر : "شيبو غباف سطوت حبو" نستطيع الجزم بأن سيدي عبد القادر العلمي كتب هذه القصيدة رحمه الله في شيخوخته ، بل أنها القصيدة الوحيدة التي أثبت لنا فيها لحظات القرب من الله وأوقات الانس به ...

لَمَّا اجْتَأَى الْبَابُ
وَدَفَعَ عَلَيْهِ الْحِجَابُ
صَفَى جَوَابَ طَيْبٍ : لَفَاطٌ عَجِيبَةٌ
كَالْعَطْرِ يَعْبِقُ طَيْبٌ اشْدَاءُ

ويستخرج لنا الحكمة من ثمرات رياضات ، ونتائج مجاهداته :

مَنْ لَازِمَ أَرْضَى وَطَلَبَ لَا بُدَّ يَصِيبُ
وَاللَّيْ بَغَا يَغِيضُ حَسُوْدُوْ
يَتَّبِعُ بِالْمَهْلِ مَقْصُوْدُوْ
حَتَّى يَنْكُمِلَ مَقْصُوْدُوْ
مَا نَالَ حَدَّ مَا رَادَّ
إِلَّا أَتَقَعَبُ وَطَرَادَّ
صَوْتُ الرِّعَادِ يَتْرَكُ لِقُلُوبٍ رَهِيْبًا
يَنْبَشِرُ بِالْفَيْثِ أَمِنْ وَرَادَّ

إنها فلسفة سيدي عبد القادر ، وكما نلاحظها في كل قصائده الدينية والاجتماعية .

الفلسفة القائمة على "الصبر" و "التوكل" ، وأبادر الى القول أن الصبر عند الرجل ليس هو الدعة ، والتوكل ليس هو الاستسلام الصبر على مشاق الحرث مثلا ، والتوكل على الله في نتائجها ... صبر المريض على تجرع الدواء ، وعلى آلام الداء ، والتوكل على الله في الشفاء . على كل حال ، سوف نلتقي بسيدي عبد القادر العلي في الاجتماعيات ، وفي غير الاجتماعيات ، وسوف نتعرف عليه أكثر فأكثر ... أما الآن فما بقي لنا إلا أن نأتي على ما تبقى من هذه الرائعة .

عَزَّ السَّلُوعُ تَاجِرَهَا يَرِيحُ مَا يَخِيبُ
وَكُلُّ مَنْ لِيَيْبُ ، وَعُدْرِي
يَعْرِفُ مَا حَكِيَتْ فُ : شَعْرِي

خِلَافَ مَنْ غَشِيمٌ وَغَرِي
يَذَرِي نَفِيسَ الْأَدْرَارِ
مَا هَرَّ ، حَادَ بَصَارِ
صَافِي عِيَارِ بَارِي مَنْ كُلِّ مَعِيَّةِ سَرَّ الْعَبْدَ وَقَاءِ
مَنْ فَضَلَ مَوْلَاهُ اسْتَوْفَاءِ

اللزمة : مَنْ صَرَخَتْ لِحَمَاكَ قَرِيبًا وَمَقَامَكَ عِلَاءَ
حُبٍّ غَيْرُ لَا تَسْتَحْلَاءَ

هذا هو النص الكامل للقصيدة "الصرخا" فهي من "مكسور جناح" والصلة التي تصلها بالملحن السعودي ، نهاية كل مقطع بيت من "لرما الثلاثية .." وكذلك اللزمة.

وبترك سيدي عبد القادر في شيخوخته الوقورة ، وقد سكنت نفسه وإطمأنت ، على أن نعود إليه في الغرض الثالث من أغراض الملحن لنستمع منه وهو يلقي أصول الطريقة ، ونراه وهو يقف بمريديه بين الشريعة والحقيقة .
أما الآن ... فإلى الجيل الذي جاء بعد جيل سيدي عبد القادر العلمي مباشرة ، ونختار من إبداعات هذا الجيل ... نبكي على ذنوبي وصلات أوقاتي ... لمحمد بن سليمان ، وهي في "القياس الرابع من لرما الثلاثية" .

نَبْكِي عَلَى ذَنْوِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقَبْرِ
بَدَلُ يَارَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

هكذا بدأ بنسليمان هذه التضرعات ، ولعل من الأفضل أن نثبت النص الكامل للقصيدة ونتركها تقدم نفسها بنفسها الى القارئ ..

أَنَا اللَّي قَوَاتِ عَلِي حُجَاتِي وَمَدَحَتِ اللَّاعْمَرُ وَكَبَّرُ
وَعَنِيَتْ بَمَنْ بِهِ مَا يَتَعْنَى
وَفَخَرَتْ بِالْفَرَامِ مَقْصَرُ خَطَوَاتِي وَتَرَكْتُ إِلَي بِهِ نَفْتَخَرُ
مَنْ لَا يَتَمَنَّى مُحِبَّتِي نَتَمَنَّى

غَلَبَاتُ حِيلَتُو عَشْرًا مِّنْ حِيلَاتِي دَارُ السَّائِثُوسَيْفِ لِلْقَدَرِ

خَفَ أَمِنَ الْأَحْطَا وَيَرِقُ الْمُرْتَا

وَرَجَعْتُ بِهِ لِسْفَلَةٍ مِّنْ رَّفْعَاتِي وَمِنْ دَعَى بَعْنَايَتُو كُسْرَ

هَذَا الْحَالِ خُنِيتُ بِهِ مَعْنَى

☆☆☆

هَذَا الْهَوَى الْهَائِمَ زَائِدَ لِيَعَاتِي رَأَدَ قَلْبِي مَا بَقِيَ أَكْثَرُ

وَالْعَيْنُ أَمِنَ الشَّوْفَ مَا تَنْتَهَى

أَنَا أَيَحَقُّ لِي تَعْرِافُ حَيَاتِي وَتَبْدُلُ لَمَنَامَ بِالسَّهَرِ

مَا تَابِعَ لَا فَرَضَ وَلَا سُنَّةَ

كَثْرَاتُ سَيِّئِي وَقِلَالَاتُ حَسَنَاتِي وَسَجَنَتِي فَ: سَلَّاسَلُ الْقَدَرِ

شَيْطَانِي هُوَ سَبَبُ الشُّطْنَا

غَرِقَ مَرْكَبِي فَ: بَحْرَ مِّنْ سَيِّئَاتِي أَنَا الرَّأْيِسُ وَالْهَوَى ابْخَرُ

الْهَوَى فَتْنَا مَا بِحَالُو فَتْنَا

☆☆☆

بَتْنَا هَدِي نَبَاتَ نَهْيَجَ زَفَرَاتِي وَتَزِيدُ الْبُكَايَا عَلَى السَّهَرِ

مَا غَرَدَ مَتَلِّي حَمَامَ فَ: سَجَنَا

وَحَمَلْتُ مِّنْ ذَنْوِي شَلَا تَقْلَاتِي غَادِي بَيْنَ سَلَالِمِ الْوَعَرِ

مِّنْ تَعْبِي عَنْ رَاحَتِي تَتَدْنَا

وَنَصُومُ .. مَا حَسُنَتْ صِيَامُ . وَصَلَاتِي لَا شَفَعَ احْسَنْتُو وَلَا وَثَرُ

كَيْفَ اِيحْسَنْتُوهَا وَجُوهُ الْجَنَّةِ

لَوْ مَا اسْتَمَاعَتْو نَفَرَقَ فِي زِلَاتِي يَا رِزَاقَ الْحُوتِ فَ : الْبَحْرِ

عَبْدَكَ ظَنَ الْخَيْرِ تَمَّا وَمَنَا

☆☆☆

نَفْسِي امْعَا الْهَوَى وَالشَّيْطَانُ هَدَاتِي عَادَاوُ السَّانِي مَعَا الذِّكْرُ

شَدُّوا فَ : زَمَانِي سَبِيلَ الْمَحَنَةِ

اسْقَاوْنِي مَرَارَ ، وَتَابِعْ شَهَوَاتِي اللَّهُ اِيْعَافِينَا مِنْ الْخَمْرِ

كَثِيرِ الرَّوْعَا ... اَقْلِيلِ الْهَدَنَا

غَبَطْتُ فَ : الْهَوَى ، طَالَعُ فِي عَقْبَاتِي يَا عَالَمَ بِالسَّرِّ وَالْجَهَرِ

لَا تَجْعَلْ لَنَا عَقُوبَتَكَ تَتْرَكْنَا

وَمَصَائِبُ الزَّمَانِ .. وَمَصَائِبُ كَلْفَاتِي وَشُرُودُ الْفُرُودِ وَالْفُشَرُ

نَجِّنَا مِنْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

☆☆☆

مَنْتِي هَمَامُ نَرَاتُ بِي تُولَاتِي رَفَعُوا بِي فَ : قَبْتُ النُّصْرَ

نَزَعُونِي مِنْ بَعْدَ قَالُوا طَعْنَا

خَلَّوْنِي امْعَا الطَّيِّبَاتِ وَغُرَاتِي هَذِي هِيَ قَلْتُ الْوَقْرَ

مَا قَتَلُونِي مَا حَيَاوْنِي نَتَهَنَا

أَنَا أَرْمَيْتُ رَأْسِي فَا : الْبَحْرُ الْعَاتِي غَائِبٌ إِلَيْهِ سَنِينَ مَا ظَهَرَ
أَوْفَا : الْمَرْسَا تَجَارُ كَانَتْ سَنًا

حَتَّى سَفِينَتِي قَهَرَتْهَا مَوَاجَات وَالْبَحْرِيَّةُ كُلَّتِ الصَّبْرَ
نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامِ غَرَقْنَا

☆☆☆

مَا جِئْتُ لِلنَّجَامَا صِيْفَطْتُ ابْرَأَتِي وَعَلَا نَاسِي غَيْبِ الْخَبَرِ
وَحَبَابِي وَمَعَارِفِي تَتَمَنَّى

سَقَيْتُ مِنْهُمْ جَدَاوِلَ نُوحَاتِي فَاحْ أَنْسِيمِ الْوَرْدَ وَالزَّهْرَ
وَعَفَرَ ذَنْبَ اللَّيِّ اعْصَا وَرَحْمَنَا

وَرَحِمَ يَا الْمَوْلَى حَقَاطُ ابْنَاتِي قَالَ بَنَسْلِيمَانُ الْخَبْرَ
سَلَامِي مَبْتُو لِنَاسِ الْمَعْنَا

وَالْجَا حَذَّ اِيْصَدُقْ يَا وَيْلُودَعَوَاتِي وَقَلْبِيُوبَ : الْفَى يَنْزِيْرَ
مَا يَبْلُغُ مَعْنَى وَلَا يَتَكُنَّا

يَارْفَعُ السَّمَا تَغْفِرْ لِي زَلَاتِي بِجَاهِ الشَّيْكِ وَالْقُبْرَ
سَيِّدِي لَا تَجْعَلْ رَيْنَا يَهْلِكُنَا

☆☆☆

نَبْكِي عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقُبْرَ
بَدَلْ يَا رَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

انتهت رائحة بنسليمان في الابتهاالات ، ولقد كان على أن أجعلها قبل القصيدة السابقة لأحقق التدرج ، من هذه الحيرة ، ومن هذا الارتباك الى تلك السكينة ، وتلك الطمأنينة ، الى حظ الرجال بجوار الله ، ولكن لم أفعل ، فالشيخ شيخ والمريد مريد ... خصوصاً ونحن نقول في حضيرة الملحن : السابق فضلية ...

ونضيف قصيدة ثالثة قبل أن نقول كلمة وجيزة عن القصائد الثلاث .

وهذه المرة مع توسل الفقيه لعميري . ونبدأ باللائمة :

يَا الْمَوْلَى نَعَمْ الْمَتَعَالُ نُو الْجَلَالُ يَا الْمَعْبُودُ عَظِيمُ الشَّانُ فَ : الْمَعَالِي

☆☆☆

يَا الْمُغِيثُ الِّى نَرْجَاكَ ضِيقَتْ الْحَالُ	يَا الرَّحِيمُ رَحِمَ ضَعْفِي وَشَوْفَ حَالِي
غَيْثُ عَبْدٍ مَوْلَةٍ يَرْجَى تَرْوُلَ الْأَمْوَالِ	طَالَ مَا يَتَكَلَّبُ فَ : جَمَارُ لَا أَمْنِ هَالِي
كُلَّ حِينٍ يَنَادِي فَ : حَمَاكَ يَا الْفَقَّالُ	أَعْيَا يِقَاسِي وَأَمْوَالُو فَاقَتْ الْأَمْوَالِي
جَرَعُوا حَالَ الْوَقْتِ أَمِنْ الْمَرَايِرِ اشْحَالُ	وَالْخَلَائِقُ ، بِالْوَاقِعِ حَدَّ مَا تَبَّ هَالِي
أَهْلُ الصَّلَاحِ أَرْبَى غُرْبًا أَوْ أَمِنْ أَيْسَالُ	عَلَّ الْغُرْبَا فَ : زَمَانُ أَمِنْ الْأَفْضَالِ خَالِي

☆☆☆

يَا مُوْلَ الْجُودِ وَالْإِحْسَانِ أَمْعَا التَّقْضِيلُ	يَا غَنَانِي يَا كَرِيمَ فَكَ التَّوْحِيدُ لَا
عَجَلُ بَعْلَاجِ قَلْبٍ وَسَطُ الصَّنَدَرِ غَلِيلُ	وَعَنَقُ يَا ذَا الْجَلَالِ رُوحِي الْفَلِيلَةُ
وَالِّى يَطْفَى تَهْدًى ذَاتُو لَا تَمْهِيدُ	حَتَّى يَنْقَى يَشُوفُ نَفْسُهُ ادْلِيلَةُ

فِي حَيْصَا بِيصَ إِيْسَ تَنْفَعُ لَوْحِيلَا

تَضَرَّقُوا نَاسُ الْجَدِّ وَإِنَّ كُلَّ خَتَالُ	كَانَ يَرُصِدُ شَيْءٍ وَقْتُ يَسَاعِدُ الرَّدَّ الْبِي
وَيُغِيرُوا تَاهُمُ بَرَزُوا بِأُ دَعِينُ الْإِحْيَالُ	وَلَا رَعَاوُ الْحَرَمِ مِنَ الْأَحْقَادِ وَالْأَقْيَالِ بِي
وَيُغِيرُ بَرَزُوا دَعْيَا ظَهَرُوا فَ : خِبْتُ الْحَالُ بَانَ عَيْبُ الْخَتَالَا سَاعَتُ الْمَعَالِ بِي	تَشَاهَدُ فَعَايِلَهُمْ بِهِمْ مَا تَبَالِ بِي
تَشُوفُهُمْ فَ : الظَّاهِرَ تَحْسَابُهُمْ كُمْلُ	

بَرَدَهُمْ بِالْقُرَاءِ .. احْسَانَهُمْ لِلَّالِ كَانَ وَاتَرَنِي لِإِيَّةِ سَبَبِ بَانَ جَلِي

☆☆☆

الْوَقْتُ الْيَوْمَ جَابَ خَصَلَاتُ التَّرْدِيلِ مَنْ عَاشَرَ قَوْمَ صَارَ مَتَهُمُ بِالصَّيْلَةِ
الْإِي هُوَ رَدِيلُ يَنْدُو لَتَقْضِيلِ وَالْإِي هُوَ قُضِيلُ يَسْتَوِي تَتَخِيلُ
مَنْ لَافَهُمُوا حَدِيثَ مَا فَكَّهُوا تَرْتِيلِ وَلَا يَدْرِوْا لِلْمَقْضِي تَرْتِيلُ

وَكُلُّ شَتِيْمَةٍ فُ : حَقَّهُمْ جَاتِ قَلِيلَةَ

غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ وَلَا عِبَاوَا بَسَّالِ تَقُولُ مَا سَمَعُوْهُ شَيْ مَا فَاتُ فُ : الْجِيَالِي
يَعْبَرُوا عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا بَشَرًا لَاعْمَالِ مَا يَرْقُو النَّدِيرُ الْوَبْقُولُ وَالْإِي
وَهَلِ التَّقْوَى وَالِدَيْنِ اضْحَاوَا طَيِّ الْأَهْمَالِ وَهَلِ الْبِدْعَةُ وَالزَّيْغُ فُ : غَايَةُ الرِّقَالِي
جِيلُ نَاسُو تَرَكَوْا الْوَفَا نَسَاهُ وَرَجَّالِ وَيَدْلُوهُ ابْدَرَهُمْ مَبْخُوسُ .. جِيلُ خَالِي
أَوْفُ : الْحَدِيثُ الْقَابِضُ دِينُ فُ : كُلُّ الْأَحْوَالِ كِي الْقَابِضُ جَمْرًا يَأْمَنُ صَفَى اقْوَالِي

☆☆☆

★ وَالْإِي يَنْسَى عَهْدُ لَجْنُودُ فُ : تَضْلِيلُ ★ مَا مَلَّوْهُ شَيْ ضَلِيلُ فُ : قَطَارُ ضَلِيلَةَ ★
★ صَالُ بَ فَعْلُوْا زَادَلُو قَبْحُوا تَهْوِيلُ ★ وَيَقَى قَلْبُو مُحِيرُو فِي تَهْوِيلًا ★
★ أَنْوَى رَاسُو عَلَا وَصَابُو فِي تَسْفِيلِ ★ مَا طَاقَ الْعَوْمُ فِي بَحُودُو لَهْوِيلًا ★

★ لَا بُدَّ يَنْصِيرُ لِيَّةِ جَهْلُوا تَكْبِيلَةَ ★

★ يَا اللَّهُ اسْأَلْتُكَ وَنَتَ الْغِنَى الْمُتَعَالِ ★ رَدَّ هَازِ الْكُسْرَا بِالْخَيْرِ يَا الْعَالِي ★
★ جَدُّ وَغْنِي وَرَحْمَ ضِعَافُ فُ : وَسَطُ هَوَالِ ★ ضَاقَ بِهِمُ الْحَالُ فُ : دَنَيْتَ الْحِيَالِي ★
★ مَا يَلِيهِمْ غَيْرُكَ وَنَتَ عَلِيمُ بِالْحَالِ ★ يَا الْمُسْتَجِيبُ لِلْمُذْطَرِّ فُ : الْأَسَالِي ★

★ غِيثُ ضِعَافِ الْخَلْقِ الْغَايِبِينَ فُ: وَحَالُ ★ مَا انْوَصَفَهَا لِيكَ أَعَالَمُ الْأَحْوَالِي ★
 ★ كَيْفَ يُوصَفُ لِلرَّاقِبِ عِلَلُ الْحَالِ وَمَقَالُ ★ عَبْدُ جَاهِلٍ وَقَصِيرُ الْفَهْمِ مَنْ امْتَالِي ★
 ★ يَا مَنْ فَضَلْتُمْ عَمِيمَ وَالْأَحْسَنَانَ جَزِيلُ ★ عَالِجٌ وَشَفِي قُلُوبَ فَصْنُورٍ عَطِيلَةٍ ★
 ★ يَا مَنْ هَدَيْتُمْ لَهْلَ الْإِسْلَامِ التَّنْزِيلُ ★ الهم لِـيـه القلوب تقرأه وجيله ★
 ★ يَا بَاعَتْ لِلْخَلِيقِ رُسُوكَ لَفْضِيلُ ★ يَا جَاعِلَ سِيرَتَوْفَ : الْأَعْبَادَ فَضِيلًا ★
 ★ اهْدِي لِيهَا ابْصَائِرَ ضُنْحَاتٍ عَطِيلَةٍ ★

★ مَا دَرَا مَنْ شَهِدَ بَدْعَوْتَ كُلَّ مَرَسَالُ ★ بَيْنَ رُوحِ الْمَعْنَى فُ : مَنَائِعِ الْأَقْوَالِي ★
 ★ وَلَوْ يَعْرِفُوا هَذَا هِيَ تَغْيِيرُ الْحَالِ ★ كَيْ تَغْيِيرُ فِي كَمْ جِيَالُ بَ : الْفَضَائِلِي ★
 ★ يَا الرَّحْمَانُ ارْحَمْ ضَعْفَ الْخَلْقِ يَنْشَالُ ★ يَا الْغَفَّارُ غَفِّرْ لِعِبَادِكَ الزَّلَالِي ★
 ★ يَا الْخَلَّاقُ اخْلُقْ فِينَا الْخَيْرَ يَنْزَالُ ★ كُلُّ شَرٍّ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ يَا الْعَالِي ★
 ★ بِالنَّبِيِّ وَأَنْصَارُو وَمُهَاجِرِينَ الْافْضَالُ ★ غِيثُ هَذَا الْأُمَّةِ وَطَرْدُ كُلِّ ضَالِي ★
 ★ وَالصَّلَا وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَالُ ★ سَيِّدِنَا مُحَمَّدَ كَنْزِي وَرَأْسَ مَالِي ★

لا أدري كيف انتقل البيت الأخير ، من تتوسل لعمري هذا ... الى تتوسل العلمي الذي مطلعته : يَا الْوَاجِدَ بِالْمَرْخَةِ عِنْدَ ضَيْفَتِ الْحَالِ المهم ، كان هذا هو النص الكامل لتوسل الفقيه العمري ... ويتوسل الفقيه العمري تكون قد أتينا على المدارس الثلاث التي كانت تهيم على هذا الغرض ، قبل أن يأتي الى حضيرة الملحن ... الامام الحسيني العراقي ... وقبل أن نعرف ما جاء به هذا الامام الصوفي الجليل ... وانستطيع استكناه ما جاء به ، لابد من أن نعود الى القصائد السابقة .. ولو بسرعة فائقة ، فمثلا كنا في القصيدة الاولى مع رجل كابد الرياضات والمجاهدات أولا ... وعاشر أهل الطريق الذين عاصروه ثانيا ... وتوسع في الاطلاع على كتابات القوم من شعر شفاف بديع ، وثق فني رفيع ... وسير أهل الله الذين سبقوه ، وتراجعهم ثالثا ... فجاءت كل قصائده ... التي كتبها في السنوات الاخيرة من عمره ... طافحة بإشارات أهل الطريق ، وتعاليمهم ... ويطروحاتهم

الْوَجْدُ رِيحُ غَلَابِ

مَتْرُوكٌ فِيهِ الْعَتَابُ

مَوْلُ الشَّرَابِ يُعْذَرُ فَا : حَالُ الْغَيْبَةِ

دَايَعْ بِهْ فَوَاهْ

مَا يَمِيزْ دَاهْ اَمْنِ اَوَاهْ

☆☆☆

وَالسِّرْ اَمْنِ اخْفَاهْ

لَاغْنَا شَرْبُوْ وَيَصْفُوْ مَاهْ

☆☆☆

بِدَايْتُوْ اسْرَارْ لَطِيْفَةِ

نِهَايْتُوْ اشْرَارْ غَصِيْفَةِ

مَنْ صَبَّحُوْهْ تُلُفْ

يَعْسَاوَاْ بِهْ عُرَافْ

☆☆☆

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُوْنُوْ كُلْ مُصِيْبَةِ

بِدَايْتُوْ اسْرَارْ لَطِيْفَةِ

نِهَايْتُوْ اشْرَارْ غَصِيْفَةِ

مَنْ صَبَّحُوْهْ تُلُفْ

يَعْسَاوَاْ بِهْ عُرَافْ

☆☆☆

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُوْنُوْ كُلْ مُصِيْبَةِ

يَلْقَاهَا مَنْ جَاهْ

وَمَنْ بَلَّغْ قَصْنُوْ صَابْ مَنَاهْ

☆☆☆

سَنَاءْ لَا مَعْ شَعَاهْ

خَطَأُ كُلِّ مَنْ رَأَى

وَالَّذِي أَخَذَهُ يَزْهَدُ فِي كُلِّ كَسِيٍّ وَالصَّادِقُ فَ: هَوَاهُ

كُلُّ مَا يَتَمَنَّى يَلْقَاهُ

ونختم هذه المقتطفات باللحظة التي قال عنها الحاج محمد بلكبير المراكشي :

" لحظة الاشرار الكلي التام العام "

لَمَّا اجْتَأَى الْبَابُ

وَرَفَعَ عَلَيْهِ الْحِجَابُ

صَفَا جَوَابُ طَيْبٍ بِالْفَاضِ عَجِيْبًا لَوُكْتُمُو وَخَفَاهُ

كَالْعَطْرِ يَعْبَقُ طَيْبٌ أَشْدَاهُ

إننا في هذه القصيدة ... وفي "الفرج" نكون مع سيدي عبد القادر العلمي في عالمه الباطني ، ويحاول جاهدا أن يطلعنا على مشاهداته ، وأن يصفها لنا ، وإن كانت العبارة لا تسعف صاحبها في هذا المجال .

أما بنسليمان ... نكون معه سواء في هذه القصيدة أوفي :

تُبِّ يَا رَأْسِي لَا تَشْقَى فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ ... الْعَالَمِ الْمَمْلُوسِ .

☆❖☆

☆ أَنَا يَحِقُّ لِي تَتَعَرَّافَ : حَيَاتِي ☆ وَتَبْدُلَ لِمَتَّامٍ بِالسَّهْرِ ☆

☆ مَا تَابِعَ لَا فَرَضَ وَلَا سُنَا ☆

☆❖☆

☆ أَنْصُومُ ، مَا حَسَنْتُ صِيَامِي .. وَصَلَاتِي ☆ لَا شَفَعَ احْسَنْتُو وَلَا وَتَرْتُ ☆

☆ كَيْفَ يَحْسَنْتُوهَا وَجُوهَ الْجَنَّا ☆

☆ نَفْسِي مَعَ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ اَعْدَاتِي ☆ عَانُوا السَّانِي مَعَ الذَّكْرِ ☆

☆ شَتُّوْا فَا : زَمَانِي طَرِيقَ الْمَحْنَا ☆

☆ سَقَاوْنِي مَرَارَ التَّعَبِ فَ شَهَوَاتِي ☆ اللَّهُ يَغْفِرُنَا مِنَ الْخَمْرِ ☆

☆ خَيْرُ الرُّوْعَا قَلِيلُ الْهَذْنَا ☆

☆❖☆

على كل حال أخذنا سيدي عبد القادر الى عالم الباطن ، وعاد بنا محمد بنسليمان الى العالم الظاهر .
أما القصيدة الثالثة أعني قصيدة الفقيه لمعيري ، فهي أقرب الى الذهن منها الى الشعور ، قصيدة الحرفية ، حرفية الاية ،
حرفية الحديث ، حرفية مقولات الفقهاء .

☆ أَوْفَا الْحَدِيثِ الْقَابِضُ دِينُ فَا جَمْعُ الْأَحْوَالِ ☆ كِي الْقَابِضُ جَمْرًا ☆

☆❖☆

☆ حَتَّى يَبْدَأَ يَشُوفُ نَفْسُ الْوَحِيدِ لَا ☆ فِي جِصَا يَمِينُ ☆

ونحن لا مع سيدي عبد القادر ومن ساروا على نهجه بعده ، ولا مع بنسليمان ومن هذا حذوه حتى الآن ، ولان بن قاسم
لمعيري ، ومدرسته الدهنية ، نبقى مع الشعر الديني وليس الصوفي ، نعم فيه سياحات وتحقيقات هنا وهناك . بل ووظف
بعض كبار الشعراء ، رموز القوم وإشاراتهم ، أي أنه لا يخلو من مسحة من تصوف ولكنه في عمومته ، يبقى الملحون الديني
أما الملحون الصوفي ، فهو الذي جاعنا به الشيخ الامام الحسني العراقي ، تفمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جناته .

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ ☆

☆ اِنْكَا الْحُسُودُ وَظَفَرُ بِالْعَزِّ الدَّائِمِ ☆ وَأَصْبَحَ يَتَخَتَّرُ فِي ثِيَابِ هَنَاهُ ☆

هذه واحدة من القصائد الاربعة التي شق بها الامام العراقي ، الطريق للذين يريدون كتابة الملحون الصوفي

☆ طَابَ السُّرُورُ مَعَ الْبُتُورِ ☆ بَيْضُ النُّحُورِ ☆

قليدة

☆ غَنَمَ كَاسَ الرَّاحِ هَاحِيْبِيكَ زَارَ ☆

☆ وَيَنَاهَا بُسُورُ هَذِي يَا بُو النِّقَائِمِ ☆ مَا هِيَ الْأَبْرُوقُ سَرَّ ضِيَاءَ ☆

☆ بَيْضُ النُّحُورِ فِي كُلِّ مَا تَسْلَايِمِ ☆ تَتَدَيَّرُ الْأَنْوَارُ مِنْ شَعَا فَا : سَنَاهُ ☆

★ سَقِي وَنُورَ هُوَ الشُّورَ طُولُ الدُّهْرِ ★

★ سَاعَادَ السَّلَوَانَ فَايَدَتِ الْأَعْمَارَ ★

★ هُوَ الشُّورَ هُوَ وَالْهَائِمَ رَأَيْمَ مُرَادَ الْمُرِيدَ يَا هِنَاهُ الْقَاهُ ★

★ الْقَاهُ فِيهِ وَمَعَاهُ فِ : قَلْبُ الْقَائِمِ وَالْقَائِمَ مَأْقَامَ غَيْرِ بِهِ وَتَاهُ ★

★ صِلِ الشَّرَابَ النُّكَدَ غَابَ وَالزُّهْوَ طَابَ ★

★ وَسَرُوجُ الْفُرْجَاتِ شَعَشَعَتِ الْأَنْوَارَ ★

★ شَعَشَعَتِ كَالْتَرِيَاءِ فِي كُلِّ وَلَايِمَ مَنَى لِي عَادَ بَانَ سَرَ خَفَاهُ ★

★ وَشَحَالَ بَتَ مَنْ لَيْلًا سَابِحَ عَائِمَ بَيْنَ مَوَاجِ الضِّيِّ فِي فُضَا سَمَاهُ ★

★ رَشَفَ الْأَكْوَابَ أَمْعَا الْأَحْبَابَ عَيْنَ الصَّوَابِ ★

★ وَزَهَا فِ : أَيَّامَكَ لَوْ تَعِيشَ أَنْهَارَ ★

★ طِعَ الْمَلِيحَ وَعَصَا فِ : اللُّومَ اللَّائِيْمَ وَعَمَلُ فِ : زَمَانَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ ★

★ وَتَشَدَّ مَنْ أَشْعَارَكَ فِ : الْحُسْنَ الدَّائِمَ نَجْمَكَ صَارَ أَصَاحَ فَيَصْفُودُ سَمَاهُ ★

★ نَظَرًا مَنْ الْحَبِيبَ تَمَحِّي كُلِّ أَجْرَائِمَ أَوْ لَحْبِيبَ كَرِيمَ يَا لَلِّي يَرْجَاهُ ★

★ إِلَى مَارْضَا مَا تَنْفَعُ عَزَائِمَ لَوْ بَا عَمَالَ الْخَيْرِ كُلَّهَا تَلْقَاهُ ★

القصيدة على وزن "يأمنًا" للمصمودي ، أي من "لرما المثنية مع تصريف جميل في ما يسمى : "لطيلعات" ، أما من حيث معانيها ، فلا شك عندي أنها قدمت نفسها بنفسها إلى القارئ وانتهى الأمر ... علي فقط أن أثبت هنا أن هذا الامام الصالح المصلح ، هذا العلامة الجليل ، هذا الشيخ الاجل ، كان يطوف بثقله العلمي ، والمعرفي ، والثقافي على كل الطوائف ليعلمهم - كما علمنا - كيف يكتب الشعر الصوفي .

فالامام الحراق ، الشاعر العربي المفلق ، والزجال الاندلسي المبدع ، مقصد الموشحات ، وموشح القصائد ، على ما انتاه الله من علوم الشريعة ، وما فتح عليه به من علمه "اللادني" يأتي بكل تواضع الى حضيرة الملحون ، أو الى طائفة "حمادشا" أو "عيساوا" ، فيحفظ ، ويحفظ ، ويحفظ .

الى أن يتمكن من الأوزان الخارجية ، والايقاعات الداخلية ، ويتعوف على طبيعة العمل في هذا الوزن أو ذاك ، وسرعان ما تبدأ المفاجآت ... إذ ينشر بين الناس إبداعات يعرفون شكلها ، ولكن لا عهد لهم بمضامينها ..
فالناس مثلاً كانوا يعرفون وزن قصيدة يامنة .

☆ قُولُوا يَا أَيْمَنَّا تَهْلِيلُ الْعُتْمَانِ ☆ مِينَا يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعٌ ☆ **الله**

فقدما جاءت .

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆ وَتَحَلَّأَ بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاهُ ☆

للإمام الحراق تغنو بها على نغمات لمن يامنة للمصمودي ، ومن دون أدنى صعوبة بل هو يسر هذا الوزن أكثر ... يتصرف يعرفه أهل الملحون ، ولا مجال للحديث عنه الآن إنما الشيء الذي لا عهد لهم به ، هو بعض معاني القصيدة : مثل قوله :
"مُرَادُ الْمُرِيدِ يَا هَنَاءُ الْفَاءِ ... الْفَاءُ فِيهِ وَمَعَاهُ ..." أو عندما يقول مَنِّي لِيْ عَادِيَانُ سَرَّ خَفَاءُ على كل أصبحت لنا مدرسة رابعة هي مدرسة الحراق ومن روادها بعده ، "الازموري" "مريفق" "السي اسماعيل" "سيدي إدريس" "لهويتر" ، وغيرهم وغيرهم ، ويعد قصيدة "الاستبشار" ... أختتم إبداعات هذا الغرض ، بذكرى عيساوية لنفس الشاعر ، وهي بعنوان "الاستذكار" ، وأهيب بعشاق الشعر الصوفي الرفيع لا في حضيرة الملحون ولا في طائفة عيساوا ، ولا في طائفة حمادشا ، أن يحفظوا شعر الإمام الحراق وأن يتواجهوا به ، ليس فقط قصد إحياء الذكرى ، أو العرفان بالجميل ، ولكن لأنه غرة الشعر المغربي الشعبي في البعد الصوفي على الإطلاق .

قليدة الأستاذكار من فلك المرحوم محمد الحراف

☆ صَافِي الْحَبِيبِ تَضَفَّرَ بَيْنَهَا الْأَنْوَارُ ☆ وَتَحَوَّزَ مِنْ شَعَاهُ يَمَّاراً ☆

☆ بِهَا تَنَالَ مَا بَيْنَ الْخَلْقِ اسْتِرَارُ ☆ وَتَصِيرُ لِلنَّفُوسِ طَهَّاراً ☆

☆☆☆

☆ نَكْنُحُ رُوْحَ حَقِيقٍ لِلْقَلْبِ نَوَا ☆ يَشْفِيهِ مِنْ سَقَامٍ وَفَاسَمُوْ

☆ وَبِصَيِّتِهِ رُوْحُ بَغِيرِ السُّوَا ☆ وَيَلْذُ لَوْ فَجِيرِ امْتَامُوْ

☆ فِيهِ الْوَجُودُ كَلَوْ يَضُوَا ☆ مِنْ غَاسِقِ الْهَوَى وَظَلَامُوْ

☆ يَا سَعْدَ مَنْ مَسَا يَخْلَعُ فِيهِ اعْدَارُ ☆ وَيَدُورُ وَسَطَ قَلْبِ الدَّارِ

☆ يَنْشُدُ عَنْ حَبِيبٍ رَأَيْقُ الْأَشْعَارِ ☆ وَالْقَوْمِ مِنَ الْعَشَقِ اسْتِكَارُ ☆

★ يَا مَنْ ابْقَاوْصَالَ حَبِيبُـو ★ افْنَا تَشَوْفْ نُورَ الْحَضَرَا
 ★ وَعَلَا عَلَى لَأَكْوَانِ تَصِيْبُـو ★ يَفْنِيكَ عَنْهُمْ ابْنَطُـرَا
 ★ مَنْ كَانَ دَالِحِيْبُـو نَحِيْبُو ★ اَمَّا مَنْ كُلُّ بَاسٍ حَالُو يَبْرَا
 ★ شَمُوسٌ فِي اعْمَاقُوا تَشْرِقُ وَاَقْمَارُ ★ وَتَجِيْ كُلُّ وَقْتٍ بَشَارَا
 ★ مَنْ نَالَ صَدَقَ الْمَحَبَّا يَا حُضْرَا ★ يَمْسَى ف: كُلُّ حَالٍ مَنَارَا

★❖★

★ يَزُوْقُ ف: الْمَحَبَّا حَالُـو ★ وَيَبَانَ فِي اَوْصَافٍ اِيْمَانُو
 ★ وَيَشَاهِدُوا النَّاسَ جَمَالُو ★ وَالْوُخْفَاءُ طُولُ زَمَانُو
 ★ يَنْفَقُ عَلَى الْحَبِيْبِ اَمْوَالُو ★ وَيَزِيْدُ مَهْجَتُو وَيَدَانُو
 ★ دِيْمَا تَرَاهُ بَيْنَ اُودَادُ وَاذْكَارُ ★ عَنْدُو ف: كُلُّ وَقْتٍ عَمَارَا
 ★ يَخْشَى تَفَوْتَ عَنْهُ لَحْظَتٌ بَشَارُ ★ وَيَضِيْعُ لَوِ الْعُمْرُ خَسَارَا

★❖★

★ وَاللِّي لَيْبُ فَاطِنُ يَا صَاحُ ★ يَسْعَى فِي صِلَاحٍ مَقَامُو
 ★ وَيَبُوحُ بِالْفَرَامِ اُوَيْرْتَاحُ ★ مَنْ كَيْدِ الرَّقِيْبِ وَمَلَامُو
 ★ هَذَا الْهَوَى صَعِيْبُ اَوْ فُضَّاحُ ★ يَشْعَلُ ف: الْقُلُوبُ ضَرَامُو
 ★ بِه الْعَشِيْقُ يَتَكَلَّبُ فَوْقَ جَمَارُ ★ وَلَا تَفِيْدُ فِيْهِ اَحْزَارَا
 ★ لَيْلُو فِي غَرَامُو يَفْنَا وَنَهَارُ ★ وَمَحَبَّتِ الْحَبِيْبِ اَنْجَارَا

★❖★

كان بودي أن أضيف لهذا الشيخ الجليل على الأقل ذكرًا حموشية ، وأخرى "تواتيا" ، إلا أنني لا أزال في الغرض الأول ،
 وأمامي تسعة أغراض أخرى ... فمعذرة .

* الغرض الثاني من أغراض الملحون *

" المدح "

قال شيخنا الجليل رحمه الله : "مرت علي حتى الآن - وكنا يومئذ في شهر مارس من سنة 1950 - ثلاث سنوات وأنا أحصي قصائد المدح في الملحون ، فبلغ العدد إلى أربعة آلاف وثلاث مائة انتهت كلام الشيخ ، وأضيف إن أربعة أخماس هذا العدد هي لتبينا الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم مولده صلى الله عليه وسلم ، نشأته ، زواجه بمولاتنا خديجة رضي الله عنها ، تبعده في غار حراء ، نزول الوحي ، بدء الدعوة إلى الله ، تحدي الشرك والضلال وهجرته إلى المدينة ، وجهاد الرعيل الأول في سبيل الله ، وتحت لواء رسوله . معجزاته صلى الله عليه وسلم ، شيمه ، شمائله ، مكارم أخلاقه ، وكل ماله صلة بحياة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا وتشمله أربعة أخماس قصائد هذا الغرض وسراياته .

أما الخمس الخامس ... فهو لآل بيته الأكرمين ، وللخلفاء الراشدين وحتى بعض عموم الصحابة ككاتب ذي الفقاري ، ومعاذ بن جبل ، وخالد بن الوليد ، بل ويشمل هذا الغرض حتى سير الأولياء ، وكراماتهم ، والمجاذيب ، وما ينطقون به من إشارات ، وما يأتونه من خوارق العادات .. كل ذلك يسمى بكل بساطة : " المدح " .

سئل العيساوي الفلوس لماذا أخذوه إلى مخفر الشرطة فاجاب : " على قصيداً مدحت فيها بلحسن الوزاني " ف : الشعر النضالي إذن : " مدح والشعر الوطني : " مدح " ، والشعر الذي يعبر عن التضامن : " مدح " على كل حال إن هذا الغرض لفي حاجة إلى تصنيف جاد ، تستخرج منه ثمانية أو تسعة أغراض ، أما نحن فسوف نكتفي في هذا الفصل بشيء يسير من المدائح النبوية .. طبعاً سوف لا نخرج على المطولات التي قد يصل عدد أبياتها إلى ما فوق الثلاث مائة بيت ، وتعد بالعشرات ، وإنما نبقى مع القصائد التي لا تزيد عن الثلاثين بيتاً ، حتى نتعامل مع أكثر من شاعر واحد من جهة ، ونحقق التنوع من جهة ثانية . إنما قيل ذلك لا بد من وقفة تأمل ولو قصيرة . يقول الشريف بن علي ويحق :

☆ امدِّحْ النَّبِيَّ مَنْ تَمَجِّدُ الْخَالِقَ الْعَظِيمَ ☆ مَدِّحُ النَّبِيِّ مَنْ تُوصَفُ الدِّينَ بِالْمُكَارَمِ ☆

فالمدح النبوي عند أهل الملحون نوع من أنواع العبادة ، ذلك لأن المدح النبوي - وكما يقول الشريف بن علي - ثناء على الله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام من جهة ، وتعداد لما في هذا الدين من خيرات من جهة ثانية .. ويبقى الحب الخالص لهذا النبي الكريم ، هو الملهم لهذا المدح ، بل هو نبع هذا المدح .

يقول الكتوز :

☆ حُبُّ سَيِّدِي مَنْ حُبُّ اللَّهِ كَيْفَ تَنْسَاهُ ☆ وَاسْمُؤُ رَأْدَفُ اسْمِ اللَّهِ فَ : الشَّهَادَةُ ... ☆

من هذا المنطلق ينطلقون ، ومن حبه يكتبون :

يقول المصمودي :

★ مَنْ "الْكَمِيتُ" الْمَادِحُ النَّبِيَّ شَعَرُوا كَأَنَّهُمْ
 ★ لِلسَّيِّدِ "حَسَّانُ" الْفَضِيلِ وَشَعَارُوا كَأَنَّهُمْ رَاهَا
 ★ ف : الضِّيُّ أَوْف : دَجَاهُ
 ★ "الكعب بن زهير" لَيْسَ يَخْفَى وَلَوْ نَخَفِ
 ★ لِلْمَاهِرِ "مَهْيَارُ" أَوْ قَصَائِنُ ف هَلْ الْبَيْتُ انْشَاهَا
 ★ شَوْقُو لَيْسَ خَفَاهُ

ويقول الحاج أحمد الغرابلي

★ مَدَّ أَحْمَدُ الْخَطَّارُ فَالضِّيَا وَعَقَابُ الدَّيْجَانِ
 ★ نَعَمَ الْمَرْحُومِينَ
 ★ تَمْثِيلُ "ابن زهير" مَا خَفَى وَالسَّيِّدُ "حَسَّانُ"
 ★ وَابْنُ الْفَارِضِ "الْفَائِزُ" الَّذِي جَادَ عَلَيْهِ الْغَانِي
 ★ وَمَدَّحُ زَيْنِ الزُّيْنِ
 ★ وَالْجَزُولِيُّ "دَلِيلُ" وَرَخُوفُ صَلَاتِ الْعَدْنَانِ
 ★ وَالْبُوصَيْرِيُّ "خَلَّلَ" شَوَاهِدَ الْهَمْزِيَّا تَرْضَانِي
 ★ وَالْبُرْدَا تَبَيَّنَ

فأهل الملحون إذن يعرفون تاريخ المديح النبوي بإبتداء من حسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، وهما من المخضرمين ، الى قصائد مهيار في آل البيت ، الى ميمية ابن الفارض ، وبرة البصري وممزيتة ، الى دلائل الخيرات للجزولي ...
 وهذا يكفي. ولعل التلميح في هذا المجال يغني عن التصريح. نبداً النصوص الكاملة التي اخترنا لهذا الغرض بصوفية أمثيرد المراكشي في حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

حَبُّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ أَنْ خَمَرُنِي يَا الْخَوَّانُ
 وَسَقَانِي بِالْجَزِيِّ أَنْ يَا مَحَلَّاهُ بِتَحَرٍّ جُونُ
 خَادَ جَوَارِحِ الْإِبْدَانِ وَدَعَانِي يَا قُطَّانُ
 تَنْشُدُ قَلْبَ أَوْلَسَانِ بِحَلَاوَتِ كُلِّ لُسُونِ
 مَنْ فَتَرَقَ بِالْقُرْمَانِ وَتَجَلَّى عَمَلُ الْإِدْيَانِ
 وَعَبَقَ فِي كُلِّ وَطْنَانِ طَبِيبُ مَنْ جُونُ لَجُونِ
 وَضَحَ عِلْمَ الْفُرْقَانِ شَرَحَ أَوْتَفْسِيرَ بَيَّانِ
 خَشَعَتِ لَوْهَلِ الْإِيْمَانِ وَقَرَّتْ بِهِ عِيُونِ
 جَدَّ الْحَسَنِ وَالْحَسَنِ كَهَفَ الْجُودِ أَوْ الْحَسَانِ
 حُرْمَ الْبَيْتِ أَوْ الْأَرْكَانِ مَنْ دَعَتْ لِيهِ حُصُونِ
 مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْحَقَائِقِ وَالْتَحْقِيقِ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ فَضْلُهُ وَكَمَالُهُ
 جَيْدٌ ... وَأَفِي ... حَنِينٌ ... وَمَكْرَمٌ ... وَشَفِيقٌ السَّاقِي مَنْ الْحَوْضِ كَيْسَانِ مُصَالُو
 مَفْتَاخُ الدِّينِ صَادِقُ اقْوَالِ التَّصْدِيقِ يَا هَلْ لَوْصَالِ سَعْدِ سَعْدِي بُوَصَالُو
 مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ أَبْحَالُو
 نُورُ الْحَقِّ الدِّيَّانِ رُوحُ الرُّوحِ دَالِجْنَانِ
 رَحْمًا وَعَفْوًا هَانِ شَرَعَ الْوَرْدِ الْمَحْسُونِ
 تَعْظِيمُ الْقَدْرِ ، وَشَانِ سَيِّدُ عَجَامِ أَوْ عَرَبَانِ
 سَيِّدُ جَمِيعِ التَّقِيَانِ مَا حَمَلَتْ بِهِ بَطُونِ
 يُومُ الْفَرَزِ أَوْ الْفَتَانِ وَالصَّرَاطُ أَوْ مِيزَانِ

نَسَعَا اللَّهُ الْفَقْرَانَ	عَنِّي لَصَعَابُ تَهْوُونَ
فَ صَلَاتُوا يَا إِنْسَانُ	كَثُرَ جَهْرُ أَوْكُمَانُ
مَا فَ صَلَاتُوا نُكْرَانُ	وَالنَّكَرُ مَا مَلْعُونُ
هِيَ شَرْبُ اللَّهْفَانُ	هِيَ كَنْزُ اللَّحْقَانُ
هِيَ الْفَرْخُ أَوْ سَلْوَانُ	هِيَ الرَّاحَةُ وَسُكُونُ



طَه دُبَابَهَا أَنَهَارُ تَضْيِيقِ الْحَالِ	فِي يَوْمِ اللَّاتِفِيدِ مَخْلُوقِ انْدَامَا
مَا بَيْنَ لَانْتِيَا وَالْأَفْضَالِ الْأَرْسَالِ	كَابِدَرُ وَسِيمِ حِينَ تَعْظُمُ لِقِيَامَا
أَنَا لَهَا يَقُولُ طَيْبُ كُلِّ أَفْعَالِ	هَذِي بُشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا

وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنْ اللَّهِ أَكْرَامَا

طَبَّ يَعَالِجِ الْأَذْمَانُ	وَنَوَى يَشْفِي الْأَبْدَانُ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانُ	قَصْدُ كَمَالِ الْمُضْئُونُ
بَحْرُ الْوَدِّ الْهَتَّانُ	مَنْ لَا مَثَلُو سُلْطَانُ
الزَّائِدُ لِلْعَرْفَانُ	مَنْ عَلِمُو كُلِّ فَنُونُ
اللَّيْلُ سَرَى بِالسَّرِيَانُ	رَتَقَ لِلْسَبْعِ امْتِنَانُ
وَيَوْمَ أَحْرَمَ بِالْجَمْعَانُ	صَلَّى وَصَعَدَ مَامُونُ
تَمَّ دَنَاهُ الْمُنَّانُ	لَبَسَاطُفَ : عُلُو الشَّانُ
قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْطُرَانُ	وَيَنَاظِرُونُ عَيْنُونُ
تَمَّ طَلَبُ الْمَنَانُ	كَرَّمُو وَرَجَعَ فَرْحَانُ
لِقُرَيْشٍ وَصَفَ بَيْتَانُ	فَضَلَ الدِّينَ الْمُصِيتُونُ



أَحْيَيْبُ اللَّهِ لَا نَبِيَّ مَثَلُو مَحْبُوبُ السَّابِقُ فَ: وَلِ السُّطْرُ لِلْعَرْفَانِ
مَنْ قَبْلُ اللَّهِ يَزِيدُ خَيْرَاتُ بِهِ كُتُبُ كَمَا خَلَقَ أَوْ نَشَأَهُ نَعَمُ الْوَحْدَانِي
عَرَفُوهُ أَوْ كَذَبُوا وَجَعَلُوا هَلْ لَكُتُبُ وَأَشْ يَجْعَلُوا فَ طَلَعَتْ الْبَدْرُ السَّائِي

لَوْلَا مَا يَكُونُ شَيْءٍ مِنَ الْاَكْوَانِ

هُوَ مَحْطَمُ الْاَوْتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَالُ ثَانِ
لَوْلَا فَضَلُوا لَا كَانَ فَارَغَ وَلَا مَشْحُونُ
دِينِ الْمَوْلَى قَدْ سَانَ وَتَنَاشَرَ بِالتَّيَّانِ
وَجَعَلُوا هَلْ الْاَوْتَانِ هَزَمُوهُمْ هَلْ لَسْتُونَ
أَلَوْصَبَتْ الْبِيرَانِ اِيَعِيرُوا لِي جَنَحَانِ
وَقَدْ قَدْ بِالطَّيْرَانِ وَنَحْلَقُ بَيْنَ مَزُونِ
حَتَّى نُوَصِّلَ الْاَمَانَ وَنَقُولُ بِلَا تَوْنَانِ
دَاخِلَ حُرْمِكَ خُوفَانِ مَدَا حَكَ عَنْهُ هُونِ
لَعَقْلُ حَايِرٍ هَيْمَانِ وَنَاسَاهِي غَفْلَانِ
وَالْعُمْرُ مَضَى خُسْرَانِ طُولُ حَيَاتِي مَدْيُونِ



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدَمًا يَذْكَارُ وَمَا فِي عِلْمٍ مَنْ تَجَلَّى بِدَوَامٍ
بِهَا نَفْتَحُ وَنَخْتَمُ حَلَّتِ الْاَسْرَارُ تَتَوَيَّرُ وَسِرٌّ مِنَ الْمَبْدَأِ لَتَمَامٍ
هِيَ الرُّسْمَالُ وَالْفَضْلُ هِيَ التَّحَرَّارُ بَرَكًا وَزَكَاةً لِمَنْ قَوَا عَشَقُ غَرَامٍ
غَدَا يَوْمَ النُّشُورِ بِهَا نَرْحَامُ

يَا رَبِّي بِالسَّبْطِ أَنْ	وَالْفُرُوقِ أَوْ عَثْمَانُ
وَبِمُوسَى بْنِ عَمْرَانَ	وَسَلِيمَانَ وَهَارُونَ
يَوْمَ الرُّمُسِ أَوْ الْاَكْفَانِ	بَيْنَ الْمَلَكَيْنِ اثْنَانِ
تَبَيَّنِي فَ: السُّوْلَانُ	وَلَا تَجْعَلْنِي مَقْتُونُ
وَالْوَالِدَ وَالصَّبِيَّانُ	وَهَلِ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ
يَا غَافِرَ لِلْعُصِيَّانِ	غَفِرْ خَطَانَا وَذِيُونُ
الْجِيلَالِي سَتَعَانُ	بِكَ اَعْلِيكَ التَّكْلَانُ
وَالْمَادِحُ مَا يُوهَانُ	عِنْدَ رَوَاحُو مَضْمُونُ
وَسَلَامَ لَهْلِ الْاَوْزَانِ	وَالْفَقْهَاءُ وَالْعُرْقَانُ
وَعَلَا الشُّرْفَاءُ تَبْجَانُ	هَلْ لَفَرَايِضُ وَسُنُونُ



هذه إحدى غرر المدائح النبوية في الشعر الملحن ، وهي للشاعر الفحل ... الجيلالي امتيرد المراكشي ، وقد سبق القول : أنه كان في عصر السلطان العلوي سيدي محمد :

صَلُّوْا عَلَا الْعَدْنَانِ	مَنْ جَانَا بِالْيَيَّانِ
نَمَجِدْ مَوْلَ الْفُرْقَانِ	طَهْ مَفْتَاخَ الْكُونِ

جمع "متيرد" في "مداحيته" هاته بين مكرمات رسول الاسلام :

مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْحَقِّ — آيِقُ وَالْتَحْقِيقُ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ فَضْلُو وَكَمَالُو
جَيِّدٌ وَأَفْسِي حَنِينٌ وَمَكْرَمٌ وَشَفِيقٌ

وبين محاسن هذا الدين الحنيف :

طَبَّ يَعَالِجُ الْأَذْهَمَانَ وَدَوَى يَشْفِي الْأَبْدَانَ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانِ قَصْدَ كَمَالِ الْمَظْنُونِ

جمع بين حبه للنبي الكريم :

حُبِّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ خَمْرُنِي بِالْخَوَانِ
وَسَقَانِي بِالْجَرِيَانِ أَمْخَلَاهُ أَبْحَرَ جُونِ
خَادَ جَوَارِحِ الْأَبْدَانِ

وبين خوفه أن لا يكون في مستوى هذا الحب :

لَعَقْلٍ حَايَرَ هَيْمَانَ وَنَاسَاهِي غَفْلَانَ
وَالْعُمَرُ مَضَى خُسْرَانِ طُولَ حَيَاتِي مَدْيُونِ

إنما يعود فيستبشر ويبشر : أوليس هو الشفيع ؟ نعم

هُوَ دَبَابْهَا أَنْهَارٌ يَضِيقُ الْحَالَ فِي يَوْمِ اللَّ تَفِيدُ مَخْلُوقٍ أَنْدَمًا
مَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَفْصَالِ الْأَرْسَالِ كَبَدَّرَ وَسِيمٍ حِينَ تَعَظَّمَ لَقِيَامًا
أَنَا لَهَا يَقُولُ طَيْبٌ كُلُّ أَعْمَالِ هَذِي بَشْرًا لَنَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامًا
وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مَنْ اللَّهُ خَرَامًا

ويختم بالصلاة على النبي الكريم ... وقد سبق أن قال في المقطع الثاني :

مَا فَ صَلَاتُو نُكْرَانِ وَالنَّأَكْرَهَا مَلْعُونِ

وهذا رد صريح واضح على الذين كانوا يروجون لطروحات الفكر المعتزلي المتطرف في عصره ، وإن دل هذا البيت على شيء ، فإنما يدل على تصوف امتيرد في حب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

من الجيلاني متيرد الى الجيلاني الحقيقي

نَارُ الْبَيْنِ اللَّيِّ كَدَاتِ بَيْنَ ضُلُوعِي وَسَفْـآقِي
هَيْجَهَا قَبْلَ الصِّيَامِ فَ : أَعْضَايَا رِيحِ أَشْـوَاقِي
وَالْمُهْجَا وَالْدَّاتُ حَارِقَا وَتَرَكَ رُوحَ الدَّاتِ شَائِقَا

مَنْ شَوْقِي هَلُو دَمُوعُ عَيْنِي فَ : الْخَدَّ اسْتَوَاقِي
وَالنُّوْمُ احْلَفْ مَا يَرُومُ جَفْنِي ضَيَّ او اغْسَاقِي
شَلَا مَا قَاصِيَتْ فَ : الْمُحِبُّ وَالشُّوقُ وَيَاقِي
هِيَ عِنْدِي عَزَّ مَنْ الرُّوحُ اللَّيُّ بِهَا بِسَاقِي
وَحُسْنُ مَنْ مَالِي امْعَا اهْلِي وَاحْبَابِي وَارْقَاقِي
وَحَلَا مَنْ شَهْدُ الْجَبَاحِ ، وَطَيْبُ فِي قَلْبِ اَعْمَاقِي
لَايْنُ قَدَرُ اللَّيِّ اعْشَقْتُ عَالِي .. وَعَظِيمُ .. وَرَاقِي
قُوْتُ الرُّوحِ ، وَنُورُ لِلْبَصِيرَا .. وَضِيَاءُ لَمَاقِي

تعرفنا على "محبوب" الجيلالي امتيرد ... من أول جملة في قصيدته :

حُبَّ حَبِيبِ الرَّحْمَانِ خَمَرْنِي يَا الْخَوَانِ

لكن "محبوب" الجيلالي لم يقني ... مر المقطع الاول بكامله ولم نتعرف عليه ... كل ما في المقطع ... هو وصف لما يعانيه من هذا الحب الذي لازمه "قبل اصيام" أي من صباه وأن أقصى ما يتمناه هو ساعة لقاء ... وأن ساعة اللقاء هاته ... أعز من الروح ، وأغلا من القل ... وأحب من المال والامل والاحباب والرفاق ... وأحلا من العسل ، وأطيب من كل نسمة عطرة ... ويختم المقطع بقوله :

لَايْنُ قَدَرُ اللَّيِّ عَشَقْتُ فَالِي ... وَعَظِيمُ .. وَرَاقِي
قُوْتُ الرُّوحِ ، وَنُورُ لِلْبَصِيرَا ، وَضِيَاءُ لَمَاقِي
أَعْطَيْتُ النِّيْعَةَ الْمَالِكِي وَعَلَا حُسْنُ انْفَاقِي
غَيْرَ أَنَا وَاللَّهُ وَالسَّنَا مَنْ طَيْفُ الْيَشْنَرَاقِي
امْتَزَجَ طَبْعِي امْعَاةً وَظَهَرَ سَرُوفُ خَلَاقِي
يَعْدَلُ أَوْتَجُورُ هَذَا الْعَصْرَ حَسْبِي رُونَاقِي

مَنْ لَا ذَاقُ امْحَبْتُو شَقَا
مَنْ سَرُوْ الاسْرَارُ دَافَقَا
عَاهَدْتُو بَعْهُودُ وَأَثَقَا
كَانَتْ يَبْعَا حَقَّ خَارَقَا
وَأَفَقْنِي جَلَّ الْمَوَافَقَا
وَسَعَادَتِ رُوحِي الرَّايَقَا

عندما يصل الانسان الى هذا الحال من التجريد ، يصير حقا من الصوفية الكبار ، ولا أقول المتصوفة .

يَعْدَلُ أَوْ يَجُورُ هَذَا لَعَصْرٌ " لا يهم - حَسْبِي رَوْنَقٌ قِسِي وَسَعَادَتُ رُوحِي الرَّايِقَا

على كل حال ... القصيدة أكبر بكثير من أن تحلل في جزء من كتاب ... والمعل على القارئ الكريم - أن يقرأها بحضور تام ... فماذا باستطاعتي أن أقول عن هذا البيت ٩ ...

غَيْرِ أَنَا وَاللَّهُ وَالسَّنَا مِنْ طَيْفِ الْيَشْرِاقِ قِسِي كَانَتْ بَيْعًا حَقَّ خَارِقَا

والبيت الذي يليه :

امْتَزَجَ طَبِيعِي مَعَاهُ وَظَهَرَ سِرُّهُ فَ : خَلَا قِسِي وَأَفَقْنِي جَلَّ الْمَوَافَقَا

فتا لا أحلل القصيدة كما ينبغي التحليل ... ولا أتعامل مع النقد وفق أصوله ومناهجه ... بل أكتفي بإشارة هنا وأخرى هناك وأمر مر الكرام على كل المواطن التي تحتاج في تحليلها الى صفحات وصفحات ... لان طبيعة الكتاب لا تحتل ولان المدائح الحمديدية الملحونة تحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وليس الى عشر فصل في كتاب .

وَتَمَامُ مَنَايَا وَغَايَتِي وَنَهَايَتُ تَرَيَا قِسِي وَكَمَالَ النُّعْمَا اللَّاحِقَا

العطفَا لَمَدَاوَمَا بَجُودِكَ تَشْرِقُ فُ غَسَا قِسِي شَمْسُ الْحَقِّ ائْتَدُومُ شَارِقَا

لاشك قد لاحظت - عزيزي القارئ - هذا الالتفات المفاجئ ... من ضمير الغائب الى خطاب الحاضر ... يسمونه في حضيرة الملحون "تنبيه اللي غفلوا" ... وربما خصصنا له فقرة أو فقرتين في الفصل الذي نخصصه لفنون البلاغة في فن الملحون .

إِلَى يَتَجَلَّأُ بِهَآكَ كَانَفْنِي فِي تَمَحَا قِسِي بَشَاعُ اِنْوَارُو الْخَارِقَا

وِيلَا نَحْجِبْتِي بِنَيْهِ عَقْلِي وَبِهِيْجُ حَمَا قِسِي وَنَهِيْمُ فُ بَحُورُ غَامَقَا

حَطِيْتُ حَمُولِي فُ : بَابُ عَطْفِكَ مِنْ فَوْقِ اِنْيَا قِسِي لَايْنُ بَتَقْلَهَا الْوَاسِقَا

كَلْتُ وَبَعَادُ الْمَسِيرَمَا بَيْنَ ضَعْفَانِ رَفَا قِسِي وَمَسَارَبُ لَحِيَاتُ خَانَقَا

فِي بَابِ حَمَاكَ الْعَظِيمِ نَدَقِيْتُ وَتَادُ وَتَا قِسِي بِالسُّكِينَا وَالْمَلَايِقَا

وَجَعَلْتُ هَوَاكَ الْعَظِيمِ دُكَّارَ لِفُصْنِ وَرَا قِسِي وَتَمَارُ نَوَاحِي الْبَاسِقَا

انهينا المقطع الثاني ... وبدأنا في الثالث ... ولا يزال لا يتحدث عن حبه الكبير هذا الا بالاشارة والتلميح ...

سَقَانِي لَمَدَامَ ذَا الْمَحَبَّةِ أَمَّا مَنْ سَا قِسِي صُهْبَا مَخْتُومَا اَمْعَتَقَا

خَمَزٌ قَدِيمٌ بِلَا عَصِيرٍ مَا يَشْرَبُ بِعَرَاقِي
يَسْرِي سَرَى الرَّاحَ فَ : العَصَا وَطُلُوعُ السَّرْيَاقِي
لَمَحَبًا تَفْنِي رُسُومَ ذَاتِي هَذَا تَحَقُّاقِي
بِرَدِّيَا تَاجُ الْكَرَامِ صَهْدٌ مَشَاهِبُ تَحْرَاقِي
وَسَقِينِي حَتَّى نَشَاهِدَ الْمُتَحَجِّبَ فَ : رَوَاقِي
نَنْسَى مَا عَانَيْتَ مِنْ مَرَايِرَ فَ : عَذَابُ فِرَاقِي
بُجُودُ الْعَطْفِ اسْعِيدِ وَطُلُوعُ بَهَاكِ الرَّاقِي
بَعْدَ خَفِيَّتِ هَوَاكَ فَ : العَضَامَا نَافِعُ تَضَرَّاقِي
وَسَفُورَتِ لُونِي مَعَا نَحُولِي وَسَهِيرُ غَسَاقِي
رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخَلَاقِي

الآن فقط .. ويعد أزيد من ثلاثين بيتا كلها رموز وإشارات صوفية محضة ... كلها تلحيقات شاعرية رائعة ... كلها حالات شعورية صادقة ... يعرضها لنا بتعبيرات موحية تؤكد صدق الشعور .. الآن فقط ... يعرفنا بحقيقة المحبوب ..

رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخَلَاقِي
وَسَرَى بِكَ فَ : لَيْلَتِ السَّعَادَةِ فَوْقَ الْبِرَاقِي
يَابْحَرُ مِنَ الْجُودِ وَالْفَضْلِ يَا مَحْبُوبُ الْبَاقِي
أَنْتَ مَوْلَى الْخَوْضِ وَالشَّفَاعَا وَالتَّاجِ الرَّاقِي
وَدُكَ مَوْلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الرَّزَّاقِي
الرُّفْعَا .. وَالْجَاه .. وَالْعَنَايَا .. يَا ضِيَّ رَمَاقِي
وَتَجَلَّ نُورُكَ فَ الْاَكْوَانُ شَعَشَعَتْ مِنْ كُلِّ أَفَاقِ
الْحِلْمِ .. الرَّحْمَا .. وَعَلِمَ وَاسِعَ .. شَعَّ فَ : الْاِنْوَاقِي
بَشْرِيْعَا كَشَمْسُ شَارِقَا
وَعَطَاكَ الْحُجَا الصَّادِقَا
مَوْلَى الْقُدْرَا دَائِمَ الْبِقَا
خَبِرَتْ بِكَ السُّوْنُ نَاطِقَا
بِمَحَاسِنَ لَبْهَآكَ لَا يَقَا
لَيْلِكَ فَ : الْأَزَلُ سَابِقَا
بَسْرُورِ الْبَهْجَةِ الدَّافِقَا
وَفَضَايِلَ مَا هِيَ مَضْرَقَا

أَنْتَ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ التَّلَاقِي
يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقًا
فَ : بِحُورٍ خَطَاهَا تَفُكُّهَا بِأَمْرٍ مِنْ عِثَاقِي
وَتَخْلِي لَحْسُودَ شَاهِقًا



إِلَى غَابٍ بِهَآكُ فِي مَنَامِي وَالْأَلْفَيَاقِي
يَتَحَيَّرُ قَلْبِي مَعَا "الْوَجْدُ" وَيَقْوَا تَقْلَاقِي
وَشَدَا عَطْرِكَ فَ : الْاَكْوَانُ مَتَوَكَانَ اسْتِنشَاقِي
شَمِيتُو وَحْيِيَّتْ بِهَ بَيْنَ ذَهَابَاتِ الْحَدَاقِي
قَالَ "الْجِيلَالِي" ابْمَدَحْ طَهَ عَمَرْتُ اسْتَوَاقِي
رَبِّحُوا بِصَلَاتِ النَّبِيِّ فَضْلَ مَا تَخْصِيهِ اَوْرَاقِي
خُذْ اَرَاوِيهَا الْفَاطَ تُوْرِيْلِكَ طَرِزْ مَسَاقِي
لِحَقِيقِي يَهْدِي سَلَامَهَا لَذَهَابَاتِ الْحَدَاقِي
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا اِمَامَ اَهْلِ الْفَضْلِ السَّاقِي
يَا تَاجَ الرُّسُلِ حَبِيبَ رَبِّي يَا ضِيَّ اَرْمَاقِي
تَبْقَى رُوحُ الذَّاتِ قَلْقَا
وَتَفَاسِي تَمْسِي مَلَاَحِقَا
فَ : حَدَائِقُ زَهْرِي الْحَادِقَا
فَ : غُصَانُ نَوَاحِي النَّائِقَا
جَآءَ اَهْلُ الْحَضْرَا اَمْسُوقَا
بِمَعْتَتُو لَعَقُوقِ قَائِقَا
فَ : بَيَّاتٌ رَقِيقَا وَرَائِقَا
اَوْلَادُ الزُّمَرَةِ الصَّادِقَا
يَا سَيِّدُ مَنْ قَارَ وَرَتَقَا
بِصَلَاتِكَ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا



كان هذا هو النص الكامل للمداحية الصوفية ، وكما كتبها الجيلالي لحقيقي جازاه الله عن مكتبة الملحون بكل خير ... ولعل القارئ الكريم ، قد لاحظ أنها من نفس النبع الذي استقى منه الجيلالي متيرد .
الاشارات والرموز الصوفية ... هي هناك ، كما هي هنا .. التخليق البعيد والغوص العميق ... هو هناك كما هو هنا ...
حتى المعجزات هي نفس المعجزات ... معجزة القرآن عند امتيرد .

صَلُّوْا اَعْلَا الْعَدَدَتَانِ مَنْ جَانَا بِالْبَيِّنَانِ

وعند لحقيقي وَعَطَاكَ الْحُجَّةَ الصَّادِقَةَ وهي القرآن

معجزة الاسراء والمعراج عند امتيرد :

لَيْلُ سَرَى بِالسَّرِيَّانِ رَتَفَعَ لِّلسَّبْعِ امْتِئَانُ
وَيَوْمَ حَرَمَ بِالْجَمْعَانِ صَلَّيْ وَصَعَدَ مَامُونُ
تَمَّ دَنَاءُ الْمُنَّانِ لَبَسَاطُفَ : عَلَوُ الشَّانِ
قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْضِيَانِ وَيَنَظُرُ دُونَ عَيْنُونِ

وعند لحقيقي

وَسَرَى بِكَ فَ : لَيْلَتُ السَّعَادَا فَوْقَ الْبَرَاقِ

ومعجزة الاخبار به في الكتب السابقة عند متيرد : مَنْ قَبْلَ اللّ يَزِيدُ خَيْرَاتٍ بِهِ كُتِبَ ... وعند "لحقيقي" :
خَيْرَاتٍ بِكَ السَّنْ نَاطِقَةٌ

والشفاعة المحمدية يوم الفزع الاكبر ... قال فيها متيرد المراكشي :

طَهَ دَبَابِهَا انْهَارَ يَضِيقُ الْحَالُ فِي يَوْمِ اللّ تَفِيدُ مَخْلُوقِ انْدَمَا
مَآيِنَ الْاَنْبِيَا وَالْاَفْضَالِ الْاَرْسَالُ كَبَدَرُ وَسِيمِ حِينَ تَعْظُمُ لِقِيَامَا
اَنَا لَهَا يَقُولُ طَيِّبُ كُلِّ فَعَالٍ هَذِي بَشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا
وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنَ اللّهِ كَرَامَا

وقال فيها لحقيقي الفاسي :

قَانَتْ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَا يَوْمَ التَّلَاقِي يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقَا
فَ : بِحُورٍ خَطَاهَا تَفْكُهَا بِأَمْرٍ مِنْ عَتَاقِي وَتَخْلِي لِحُسُودٍ شَاهِقَا

بل وحتى الصلاة على النبي الكريم ، للجيلالي لحقيقي فيها ، نفس اعتقاد الجيلالي امتيرد : فهذا يقول بما ف : صَلَاتُكُمْ
نُكْرَانُ وَالنَّاسُ مَلْعُونُونَ وَذَلِكَ يَقُولُ : بِصَلَاتِكُمُ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا

أرجو أن أكون قد أحسنت الاختيار ... ولو أن من الصعب جدا ، أن يختار الانسان ثلاث قصائد فقط ، من ثمان مائة
قصيدة في المديح النبوي ... نعم يا حصرات القراء ، ثمان مائة قصيدة في هذا الغرض فقط وليس كل الاغراض ... أفلا يصعب
الاختيار ؟

مديح نبوي الشريف محمد بن الوليد

اللازمة:

هَلْ يَأْتِرَى تَلَقَّكَ وَتَشَاهَدُ نُورَ بَهَاكَ يَا أَحْمَدُ يَاطَّةَ
يَا الْمُصْطَفَى زَيْنَ الزَّيْنِ وَيَا جَدَّ الْحَسَنِ



أَهْ عَلَيَّ بِهَوَاكَ يَا مَنْ رُوحِي ، فَ هَوَاكَ عَزَّهَا وَهَوَاهَا
يَا الَّذِي فِيكَ الظَّنُّ أَحْصَيْنِ وَتَتَ الْحِصْنُ الْحَصِينِ
سَيِّدِي لَكْرِيمٍ عَطَاكَ وَالرَّحْمَا مِنْ مَعْطَاكَ لِلْعِبَادِ عَطَاهَا
بِكَ إِسْلَامَ الْمُسْلِمِينَ صَحَّ الصَّدَقُ الْمُبِينِ
صَحَّ الْهَدْيُ بِهِدَاكَ انْهَارَ اللَّهُ اِهْدَاكَ لِلْهَدْيِ وَهْدَاهَا
وَدَّهَا فِي لَيْلَتِ الْاِثْنَيْنِ بِكَ الْمَوْلَى لَحْنَيْنِ
يَوْمَ الْحَقِّ تَوَلَّاكَ أَوْ يَا نَوَارُ جَلَّاكَ دَرَجَتِكَ عَلَاهَا
شَرْفَكَ وَتَصَرَّ بِكَ الدِّينِ يَا تَاجَ الْمُرْسَلِينَ
وَسَلَامَ اللَّهِ رُضَاكَ وَيَعْمَ الَّذِي يَرْضَاكَ شَوْفَتِكَ نَرْضَاهَا
يَا الشَّافِعَ فَ : الْمَدْنَيْنِ وَتَخْمُرْنِي فَ : الْحَيْنِ



ابْدَيْتَ فَ : انْشَادِي بِاسْمِ اللَّهِ
نَنْسَجُ حُلَاثَ : النَّسَبِ هَاشِمِيًّا
بَرَزَاتٍ مِنْ شَجِيًّا

بَلِّغْ بِمَرْتَضِيٍّ
 وَتَقُولُ يَا اللَّهُ مُلَايَا
 احْسَنْتَ فِيمَكَ ظَنُّ رَجَائِيَا
 اَرْحَمَ جَوَارِحِي وَعَضَائِيَا
 يَامَنْ رَزَقْتَ الاسْمَآكَ
 وَرَفَعْتَ سَمَكَ الْاَفْـ____لَاكَ
 نَبِّهْنِي لِنَهَاجِ الرِّضَا اِنَّا لَسَلَاكِي
 لَلَسْـ____لَاكَ تَسْلُوكَ اَسْلَاكَ
 تَتَوَسَّلُ بِاسْمِكَ لِيكَ اَوْبَصَادُ طَهْ
 وَقَفَاةَ وَالرَّحْمَانِ اَوْسِيَيْنِ
 وَالْقُرْآنِ الْمُبِينِ



يَا أَحْمَدَ صَرَخْتَ مَنْ نَدَاهُ
 لَا تَحْرَمْنِي مِنْ شَوْفِكَ الْهَادِي
 رَأَاكَ النَّادِي

يَا شَفَاعَ الْعَبَادِي
 وَيَا نُرَاكَ يَا مُحَمَّدُ
 بَلِّسْـ____أَنِي مَعَكَ اَنْشَهُدُ
 وَتَزُوكَ فِي بَهَاكَ اَوْتَسَعِدُ

وَنَشْدُ فِيكَ وَنُـرَاكَ
 كَمَا صَحَّابُكَ اتَّـرَاكَ
 يَفْجَأَ بِنُورِكَ ظُلَامَ خَلَائِكِي
 وَيَشْرِقُ فِيَّ نُورَ ضِيَاكَ
 وَتُصَلِّي مِنِّي مُـرَاكَ
 رُكْعَتَيْنِ نَزَاهَا
 نَصِيحَتَهَا يَوْمَ خَلَاصِ الدُّنْيَا
 تَلْقَفْ ذَنْبِي لِمَتِّينِ



مَا حَرَّ حَالَتْ بَطْلَانُكَ
 عَنِ ضَعِيفِ جَانِكَ نَادَاكَ
 مَنْ قَامَ بِالْفَضْلِ وَأَشْأَنَاكِ
 الضَّعِيفُ يَا مُحَمَّدُ لَوْلَاكَ
 مَا تَشْرَفَ عَقْبُكَ
 مَا تَكُونُ نَبَاهَا
 لِلْأَشْرَافِ الْمُقَرَّبِينَ
 وَلِلْمَسْكِينِ



يَا الْهَاشِمِيُّ نُورُ الْإِسْلَامِ
 هَلْ يَأْمَنُ دَرَا تَلْقَاكَ فِي مَنَامِي
 نَرْتَحِلُ مِنْ سَقَامِي
 وَنَزَّةِ النَّيَامِي

نَظَرَافَ : صُورَتَكَ لَكَرِيمَا
 فَيَهَا الْبُشْرَى وَغَنِيمَا
 يَا أَبُ لَا لِلْأَفْطَامِ
 كَرَمَ الْكَرِيمِ مَثْوَاكَ
 وَدَفَعَ ذِرَاجَ مَثْوَاكَ
 أَنْتَ فَ : الرُّسَالُ الزُّكِّي
 وَأَسْمُو مَقَرُونُ بِأَسْمِكَ
 وَالشَّمْسُ ابْنُ وَرَضِيَاكَ
 شَغَشَعَتْ فَ سَمَاهَا
 مَنْ قَرَعَ بَابَ ظَفَرٍ بِمَنَاهُ
 فَضْلًا عَنْ مَنْ يَقَرَعَ بَابَ جَدُو
 حَاشَا يَخِيبُ قَصْدُو
 فَ : اللَّيْ بَغَاهُ عَنْدُو
 وَنْتَ يَحْمَدُ لَا بَدُو
 تَكْرَمُ حَفِيْدَكَ بِمَوْدَا
 مَنْ قَبْلَ مَا تَفُوتُ الْمُدَا
 الْهَرَمَ دَرَكَ الْخِرَاكَ
 وَرَمَا عَقَاكَ الْاِدْرَاكَ
 وَالشَّيْبُ قَامَ جَنَدُو لَعَرَاكِي

وَالْأَعْضَاءَ كُلَّتْ مِنَ الْعَمْرَاقِ
وَقَتِ الصُّغْرُ الْهَتَّاءَ
فَ : الْوَعْرُ خَ لَهَا
طَالَعَةُ فِي عَقْبَةِ سَتِّينَ
يَا طَهَ بِبَيْنَ وَبَيْنَ



يَا الْمُصْطَفَى ضَيْفَ الْأَلَّةِ
رَحْبَ بِي يَا خَاتَمَ الرُّسُلَا
وَقُلْ لِّي تَعَالَا
دَغِيَا بِلَا مِنْهَا
نَرَا أَنْوَارَ وَجْهِكَ لَجْمِيلِ
مَعَا جَمَالَ خَدِّكَ لَأَسْمِيلِ
وَنَرَى جِلَالَ طَرْفِكَ لَكَحْمِيلِ
فَرَحَا وَعِيدَ نَحْكِي وَنَحَاكِي
عَنْ أَمْتِكَ وَالنَّأْكِي فَ : عَذَاكَ
وَنَصَبَحَ أَمْنُ التَّيَّاسِ
مَنْبِي وَقَاهَا
خَالِقِي رَبِّ الْعَالَمِينَ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ



أَشْرَامُنْ لَا شَافَ بِهِـاهُ
 كُلُّ مَا نَالَ فَدُنَيْتُ وَخَسَارَا
 لَا مَالٌ لَا تَجَارَا
 وَلَا يَلُو عَمَارَا
 سَعْدَاتُ مَنْ شَفَاوَا ابْصَارُوا
 فَجَمَالُكَ أَحْمَدُ وَأَنْوَارُوا
 دَارُ الْكَرَامِ هِيَ دَارُوا
 نَعْمَ الْعَظِيمُ صَاطِفَاكَ
 سُبْحَانُو وَتَبَّكَ
 وَأَنَا فِي سَكُونِي وَحَرَاكِي
 نَرْتَجِي عُمْرِي مَا نَخْطَاكَ
 نَصْبَحُ وَنَزُوحُ مَعَاكَ
 رَاحَتِي كُلُّهَا
 فِيكَ .. عَادَ الرَّادُّ أَوْلَعُونُ
 عَزَا مِنْ الْوَالِدِينُ



زَانَتْ اسْمَاوَاتُ أَوْ أَرْضَيْنِ
 بِكَ أَسِيرُ دُتُّ لَيْنِ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَنَتَّ رَسُـوْلَ اللَّهِ يَا الْمُخْتَارُ
مَنْكَ نُورُ الْأَنْوَارُ
وَنَتَّ سَيِّدُ الْإِنْسَانِ
أَنَا دَخِيلُ لَيْكَ بِقَافِ الْقُدْرَا
وَعَيْنُ عَزِّ صَحَابِكَ عُشْرَا
وَبُو الْفَضْلِ وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَا
وَلَامَ لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ لَمْ
الْقُرْآنُ عِنْدَ مُوَلَاكَ
هَآ أَنَا وَأَقْفُ فِ : بِأَبِكَ شَاكِي
رَكَّتْ يَا مُحَمَّدٌ فَحَمَّاكَ
فَادِي رُوحِي بِفِي ذَاكَ
مَنْ يَدِي مِنْ عَدَاهَا
نَفْسُهَا وَهَوَاهَا لَخْشِينِ
وَالشَّيْطَانُ الْغِيْبَانِ



خِيَارُ كُلِّ مَا تَتَمَنَّى
مَنْ هَذَا الدُّنْيَا جُودُكَ الْعَرَبِي
هَـ ذَاكَ حَدُّ رَغْبِي

يَغْفِرُ بِسْمِ اللَّهِ ذَنْبِي
سَيِّدِي اَنْدُوذُ فَحَمَّكَ
بُشْنُ رَا مَنَائِنْ نُسْرَاكَ
خَذُّ يَا رَاوِي سَرِّ اللُّه
وَتَأْمَلْ فَ: كَلَامِي وَقَيْسُ وَجُولُ
هَذَا الْحَدِيثُ مَنْقُولُ
عَنْ مَلُوكٍ لَعَقُولُ
الَّتِي أَنْتَ الْيُسُوبُ وَعَاقِلُ
خَضَعَ أَوْتَسَادُوبُ وَمَتَاثِلُ
حَتَّى تَتَّعَالَ قَصْدَكَ كَامِلُ
وَحَكِيمِي عَلَامَنْ صَغَاكَ
وَاللَّي جَاوَسَقْمَاكَ
أَنَا اسْمِي أَفْ رُمُوزُ "كُنَابِكِي"
وَعَتَبَتِ الْكُنْيَا ف: "فَجَاكَ"
اِيَكْفَاكَ اِيَرَاكَ
اَنْتَهَا وَلَّا: "هَا"
وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَعَلَى الْمُجَاهِدِينَ

لا أعلم على وجه التحديد و أهو الانس بالرسول جعله يشطح مثل هذه الشطحات ؟ أم هو تدلل الحفيد في أحضان جده الحبيب .

وَنَتَّ يَا مُحَمَّدَ لَابُّدْ

تَكْرَمَ حَفِيدَكَ ابْنَمُودَا

☆☆☆

رَحْبُ بِي يَا خَاتَمَ الرِّسَالَا

وَقُلْ لِي تَعَالَا

دَغِيَا بِلَا مَهَالَا

☆☆☆

وعلى رأى الحاج محمد بنعمر المراكشي : شَرِيفٌ مُخْتَرٌ : كَيْفُ مَا كَالَهَا يَقْبَلُهَا جَنُوْا إِنْ شَاءَ اللّٰهُ

تعرف هذه القصيدة باسم "الهاشمية" ، لان كاتبها قال :

نَنْسَجُ حُلَّةَ ف : "النَّسَبُ" هَاشِمِيَّةٌ

أهو تذكير "بهاشميات" الكعبيت ، وما قال فيها عن آل البيت هو قوله :

هَذَا الْحَدِيثُ مَنْقُولٌ

عَنْ مُلُوكِ الْعُقُولِ

أولاً يعني أولئك الذين مدحوا الرسول في حياته ، والذين أثروا عليه بعد وفاته، صلى الله عليه وسلم ، والذين دافعوا عن آل بيته ؟ .

فمدائح حسان ، ويانت سعاد لكعب ، وثانية دعبل في آل البيت ، وقصائد الشريف الرضى في صريع كربلاء ، وقصائد مهيار ، وميمية ابن الفارض ، وبردة البصري وبديعية ابن حجة الحموي ، ومدائح ابن نباتة ، تزامم قصائد الملحون في مخطوطات ، وتقاييد ، وكنائش المكتبات الخصوصية لمعظم "الخرانا" أي رواة الملحون ...

بل أن فقرات طويلة من خطب الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نجدها في المخطوطات الملحونة كمقدمات لقصائد معينة مثل "عريس الجنا" "انقافح" "اشباب الغساني" "العرقاويا" "الشافي"

فمثلا في مخطوط "الهاشمي" بوشعرة "السلالي" . وقد وجدته في حوزة الحاج محمد بنفانم - لازمة "العرقاويا"

رِيحِي وَسُرُورَ الْقَلْبِ وَالْمَنَا حُبَّ عَظِيمِ الْجَاهِ مَوْلَ الْحُلَاوِ وَالْتَاكِ يَا الْغَافِلَ كَثُرَ فَا : صَلَاتُ

صَلَّى إِلَهَ عَلَيْهِ

حَالِي لَا حَالًا مَنْ فَرَّاقُ سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ أَمْضِرَا يَا رَبِّي انْشَاهِدْ مَقَامَ شَفِيعِ امْلُتُوا

قَلْبِي شَاقِقَ لِي

وبعدها مباشرة .. أي قبل بداية القصيدة ، نجد هذه الفقرة من خطبة للإمام علي كرم الله وجهه :

أرسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجرة من الأمم ، واعتزام من الفن ، وانتشار من الأمور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها ، وأغوار من مانها ، قد درست منار الهدى وظهرت أعلام الردى ، فهي متجهة لاهلها ، عابسة في وجه طالبيها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف وراثها السيف وبعد هذه الفقرة مباشرة نجد النصف الكامل لقصيدة العرفاوية ...

بل أننا نجد في بعض المخطوطات للعربي المكناسي مدائح نبوية ملحونة تتخللها أبيات قصيدة ، ولعلها كانت تستعمل كمواويل للترويح بين كل مقطع وآخر :

والكون لم تفتح له أغلاق

أنتى على أخلاقك الخلاق

يا مصطفى من قبل نشأة آدم

ايروم مخلوق ثناءك بعدما

☆☆☆

طمعت في أن تـراك

- جعلت نفسي فـداك -

قد رأى من قـدراك

بعدت همة عـين

أوما يكفي لعينـي

أن ترى من قد رأى من

☆☆☆

وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

علامة حب الله حب حبيبـه

ألا يا محب المصطفى زد صـبابـة

ولا تعبأن بالمبطلين فإنمـا

☆☆☆

الغرض الثالث :

"لوصايات" أو "لوصيات" وهي قصائد كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو ديني كالقصائد التي تنطلق من حديث جبريل المعروف "الاسلام ، الايمان ، الاحسان" وتركز على الكتاب والسنة . ومنها ما هو اجتماعي يشمل سائر الاخلاق والواجبات ويعتمد على التجربة والملاحظة

غير أن هذه القصائد منها ما يوجه للمجتمع بصفة مباشرة كقول "بنعلي" :

لِلّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا خُذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّتِي مَرُويًا

قُلْ مُؤْمِنُ لِيكَ تَنْظَمَهَا وَخُوكَ فَ : اللّهُ

ومنها ما يخاطب فيه الشاعر نفسه :

يَا هَذِ النَّفْسُ الَّتِي مَجَّرَعَانِي كَيْسَانَ النَّاسِ

رَجْعِي بِي مَا حَدَّثَنِي لَدَابَا مَا قَاطَعَ يَاسُ

أو يخاطب قلبه : "قَلْبِي يَا قَلْبِي تَبُ وانتَهَى مِنْ لَهْوِكَ وَرَمِيهِ"

أو يخاطب شخصه : "أَرَأْسِي نُوصِيكَ يَا الزَّائِدُ تَعْبِي وَشَقَايَا"

وهكذا يكون التوجيه والنصح بصفة غير مباشرة ... وتكون القصيدة وكأنها تجربة شخصية عاشها الشاعر ... وعبر عن إحساسه بها ... وهذه - لعمرى - أروع قصائد هذا الغرض ، وأحبها الى قلوب الناس فليس فيها أستاذية ، ولا استعراض عضلات ، ولا تسبب للمستمع أية ضلالة أو تحقير ..

فالشاعر يخاطب نفسه ، أو يحدث عن نفسه ، والمستمع يستمع .

فالقصيدة في الواقع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد .. ولكنها في الحقيقة تفعل في وجدانه ما الله به أعلم :

وقد اخترت من التوجيه الديني قصيدة "الخمسة اوقات" باعتبار أن الصلاة عماد الدين . وأنها أكبر صلة بين العبد وربه ... ومن التوجيه العام الذي يجمع بين الدين والدنيا ، والمجتمع والناس ، قصيدة

"لِلّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا" ومن التوجيه الصوفي :

"زَانَ تَقْلِيدُ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ"

الخمسة اوقات للشيخ لحرمر

يَا رَأْسِي خَيْرَ لَيْكُ ثَبِّ لَمَوْلَاكَ وَعَظَمَ الْقَدْرُ بِالْحَمْدِ وَغَايَتِ الشُّكْرُ

الْحَيِّ الْوَاحِدِ الْمُهَيَّمِنِ مَوْلِ السُّطُورِ الْعَالِيَا

احْمَدَ نَعَمَ الْكَرِيمِ مَوْلِ الْقُدْرَةِ لَمَدَّبَبِ الْأَمْرِ وَطَلَبَ لَعَفُوِّ مَعَا السُّتْرِ

وَالْعِنَايَا مَعَا الصُّحَّةِ وَالْبَرَكَاتِ الْوَافِيَا

رَبِّي غَانِي كَرِيمٍ جِيدٍ مُوجُودٍ يَسْتَمَحُّ وَيَغْفِرُ وَيَشَافِي هَوْلَ كُلِّ ضَرٍّ

يَسْلُكُنَا جَمِيعَ بَالْعَتَقَا مِنْ نَارِ الْهَامِيَا

بِحَاجَةِ هَلِ الصَّفَا وَجَاهِ الْكُتُبِ وَجَاهِ مَنْ ذَكَرَ وَهَلِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ

وَجِبِلْ عَرْضَا وَجَاهِ مَنْ دَارُوا عَمَرَتْ كُلِّ زَوَايَا

بِحَاجَةِ شِيَاخِ وَالتَّلَامَذِ وَتَجُومِ الدَّاجِ وَالْبَدْرِ وَالْأُولِيَا هَلِ الصَّبْرِ

وَالشَّمْسِ وَجَاهِ مَنْ تَضَرَّعَ وَهَلِ النِّيَّةِ الصَّافِيَا

سألت شيخني وأستاذي سيدي إدريس العلمي رحمه الله عن معنى "تجوم الليل ، والبدر والشمس" في هذا السياق : فأجاب رضي الله عنه : تجوم الداج هم الانتصار والمهاجرين الذين انعكس عنهم نور الشمس ، فاضاؤوا به ليل الحياة ... والبدر هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... أما الشمس يرمز بها الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الْخَمْسُ أَوْقَاتٍ مَنْ حَضَّاهَا بِهَا يَنْجَى مِنَ الْهَمِّ وَمِنْ

الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ رَضَّاهَا بِهَا رِيحُوا هَلِ الْعَلَمِ وَمِنْ

الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ قَضَّاهَا قَالَ الْمَوْلَى رِيحَتْ قَوْمٌ

الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ مَنْ دَخَلَتْ فِ قُلُوبِهِ يَنْجَى مِنَ الْمَكْرِ وَالْهَوْلِ وَغَمَّتِ الْقَبْرِ

وَيَنْجِيهِ الْغَنِيِّ الدَّائِمِ مَنْ شَدَّتْ كُلُّ دَاهِيَا

الْخَمْسِ أَوْقَاتٍ فِي شَأْنِهَا كَمْ مِنْ حَدِيثٍ مَشْتَهَرٍ وَأَمَّا مَنْ أَيْ فَ السُّطْرِ

وَالصُّومِ وَحَجَّ مِنَ الْأَرْكَانِ وَهَلِ لَكُتُبِ دَارِيَا

وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ * وَهَلُوفٌ : الْعَزُّ وَالنَّصْرُ
وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذِهِ الْأَمَّا مُكَافِيَا

لاسمح لنفسى بتفتيش وحدة القصيدة ، قصد تسليط الاضواء على أبياتها لاكتشاف ما في تلك الابيات من أفكار وآراء رائدة .

فقوله على سبيل المثال ... " وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ " يحتاج الى تأمل .. وكذلك قوله

وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذِهِ الْأَمَّا مُكَافِيَا

إنما المعول على القارئ ، أن يقرأ تراث أبائه وأجداده ... بصبر وتآني ... ليستطيع سبر أغواره ، والوصول إلى خفاياه ..

يَا مَا اسْعَدَ كُلَّ مَنْ عَمِلَ تَكْلُوفِي مَوْلَاهُ مَا خَسِرَ * عَنُو يَسْهَالُ مَاوَعَرَ

مَاخَاسَرَ غَيْرَ مَنْ ثَمَادَا * وَسَعَفَ نَفْسُو الْخَاطِيَا

شَوْفَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّ وَاحِدٍ : الْجَنَّا عَدَلُو قَصَرَ * وَقِيلَ : عَدَلُو أَكْثَرَ

مَوْلَا الْحُسَيْنَا رِضَاهُ رَبِّي وَسَعَدَ مَنْ نَفْسُ رَاضِيَا

☆☆☆

يَا رَاسِي لِلْفَنِي اسْتَرْجِعْ * وَعَرَفَ الْمَوْتَ كَايَنِيَا

صَفِي لِي وَكُنْ تَسْمَعْ * وَطَرِيقَ الْحَقِّ بَايَنِيَا

بِالصَّوْمِ مَعَا الصَّلَا وَتَوَلَّعْ * وَالْمُكْتَابَا امْعَايَنِيَا

نُوصِيكَ أَرَاْسِي السَّاهِي قَلَّلَ مَنْ قَلَّةَ الْوَقْرِ * قِيلَ ثَلَاثَةُ أَهْلِ الْفَدْرِ

إِبْلِيسَ مَعَ الْهَوَى وَنَفْسِكَ هُمَا شَرُّ الْمَلَاهِيَةِ

وَالِي تَسْمَعْ لِي نُوصِيكَ ، صَفِي لِمَوَاهِبِ الذِّكْرِ * لُوطَالِ الْفَلَكَ وَالْعَمْرِ

لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ دِينِ رَبِّي قِيلَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةُ
 أَشْ مِنْ زَهْوٍ يَضَادُ الْخَمْسَ وَقَاتٍ وَسِرْهَا ظَهَرَ مَا كَيْفَ وَلَا عَتَ الْفَجْرُ
 وَالصَّبْحُ نَزَاهَتُهُ فِ وَقَتُوا وَالنَّجْمَةُ فِيهِ ضَاوِيَّةُ
 مَا كَيْفَ نَزَاهَةُ الدَّهْوِ وَنَزَاهَا بِصَفْوَفٍ تَتَذَكَّرُ هَذَاكَ لَذَاكَ مَا صَبَرَ
 مُورُ الْإِمَامِ كَاتِبَايَعِ نَاسِ التَّقْوَى مُسَامِيَّةُ

المقطع الرابع :

وَالْعَصْرَ كَرَامَتُهُ كُرَامَةُ وَهَلْهُ لَكَرِيمٍ كَرَمَتُهُمْ
 عَمْدًا عَمْدًا اللَّي تَعَامَلِي يَتَوَقَّى وَيَشْتَاقُهُمْ
 أَنَا خَوْفِي تَجِي نَدَامَةً لِّلِّي هُوَ تَرَكَّهُمْ
 الْمَغْرَبَ يَا مَنْ تَسَالَ مَنْ صَلَاهَا فِي وَقْتَهَا بِشَرَّ وَالْعِشَاءَ وَالشَّفْعَ وَالْوَتَرَ
 هَذَا رَبِّحَ الْإِسْلَامَ جُمْلَةً وَأَهْلَ التَّفَاقُ عَامِيَّةُ
 وَقَتَ الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ تَنْجِي وَتَزِيدُ فِ الْعَمَلِ مَعْرُ مَعْلُومَةُ مَا لَهَا نَصَرَ
 وَالتَّارِكُهَا نَهَارَ يَبْعَثُ عَيْنُو بِالْأَدَمِ بِأَكْيَّةُ
 فِي جَهَنَّمَ مَنْزِلُهُ فِي بَيْرِ الْفَلَقِ يَنْحَشِرُ يَتَشَوَّى فَوْقَ الْجَمْرِ
 اللَّهُ يَجِيرُنَا مِنَ الْقَوْمِ اللَّي بِالْجُورِ طَاغِيَّةُ
 ثُبُ لِرَبِّي إِلَى بَغِيَّتِي تَغْنَمُ وَتَزِيدُ فِ : الشُّكْرِ مَنْ تَابَعَ نَفْسُهُ خَسَرَ
 عَايَشَ مَغْرُورُ غَرَّتْهُ نَفْسُو وَإِيْمَانُهُ الْخَاوِيَّةُ

المقطع الخامس :

يَا حَيُّ الَّيْنَامُ تَغْفِرُ وَرَحِمَ الْإِسْلَامَ كُلَّهَا
تَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ الطَّاهِرِ وَالْمُعْجِزَةِ وَسْرَهَا
وَاصْحَابُو لَا مَتِ الْغَنَادِرُ رَضَوَانَ اللَّهَ عَنْهَا
اللَّهُمَّ بِحَقِّ مَلَكِكَ يَا رَبِّي سَلِّكْ الْأَمْرَ دُبُّبِ الْأَحْوَالِ يَا الْبِرَّ
أَحْنَانِي عَارَ لَالِلِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَةِ الْبَاهِيَّةِ
وَالسَّمَوَاتِ وَالْبَحْرِ وَالْأَرْضِ وَالشَّيْئِ وَالْقَبْرِ وَالْخَلْفَا وَيُوبِكِرُ
تَتَوَسَّلُ بِالْفَضِيلِ عُثْمَانَ أَحْفَظْنَا مِنَ الْمَلَاهِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ عَالِي وَبِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ وَسَادَاتِي أَهْلَ الْفِرَزِ
مَعَ الْحَسَنِينِ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ النُّجْمَةِ الضَّاوِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ فَضْلِكَ تَدْرِكِ الْإِسْلَامَ بِالنَّصْرِ يَا مَنْ هُوَ عَنَّا أَقْدَرُ
كَافِي يَا ذَا الْجَلَالِ كَافِي وَنْتَ مَوْلَى الْمَكَافِيَةِ

المقطع الخامس :

مَصَابٍ يَجِي ضِيَاءُ أَعْيَانِي يَفْدِي فِي لَامَتِ الْجُودِ
هَذَا مَا قَلْتُ فِي أَوْزَانِي سُبْحَانَ الْمَالِكِ الْوُدُودِ
سَلِّمْ يَا حَافِظَ الْمَعَانِي لَارَبَّابِ الْفَنِّ هَلْ الْجُودِ
وَسَلَامٌ لِلْمَاهِرِينَ جَمَلَةٌ مَا فَاحَ الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ مَنْ عِنْدَ التَّائِيكِ الْأَحْمَرِ
يُوصِلُ هَذَا السَّلَامَ لِيَهُمْ تَرُوحَ الذَّاتِ هَانِيَةِ
بَعْدَ السَّلَامِ وَالصَّلَاةِ عَلَى طَهَ طَيْبِ الذِّكْرِ مُحَمَّدُ سَيِّدِ الْبَشَرِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ الْقَوْمَ الْحَيَّةَ وَفَانِيَّةَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَدَّ الذِّكْرَ وَمَا فِيهِ مَنْ سَطَرَ وَمَنْ يَتْلِيهِ سَرَّ وَالْجَهْرُ
 وَهَلْ السُّنَّةُ وَهَلْ الْحَدِيثُ وَهَلْ الْهَمَّةُ الْعَالِيَّةُ
 الْهَمَامُ الَّذِي يَتَوَكَّأُ قَبْلَهُ لَنَا مَا زَالَ مَا ظَهَرَ مَا لَهُ مَا بَانَ لَهُ خَبِرُ
 مَنْ صَابَ يَنْجِي يَسْلُ سَيْفُهُ مَا بَيْنَ سَيُوفٍ مَاضِيَّةِ

☆☆☆

- اللازمة -

رَاجِي يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَأَنْعُوذُ مَوَائِدَ الْفَجْرِ نَعْبُدُ الدَّائِمَ الْاَكْبَرُ
 وَنُكْرَفُ : الصَّلَا عَلَى شَفِيعِ الْأُمَّةِ الرَّأْسِيَّةِ

☆☆☆

أما الشريف سيدي محمد ابن علي الملقب بـ : "ولد آرزين" ... فهو كالفقيه لعبيري ينطلق من اطلاعه ، وليس من شعوره أو إحساسه ..

وهو لا يخفي هذه الحقيقة ، بل يعلنها : "خَذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّذِي مَرُويًّا"
 "شَحَالُ مَنْ قَوْلٌ وَرَدَ فِيهِمْ .. هَذِهِ الْمَوَاعِظَةُ مَنْ عِنْدَ الَّذِي عَارِفِينَ"
 "اسْمَعْتَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ ... نُوصِيكَ كَيْفَ وَصَى " الْحَرِيرِي " قَالَ
 فَ : " الْمَقَامَةُ السُّسَّائِيَّةُ " قَالُوا نَاسُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ

على كل حال ، هو لا يخفي أنه ينقل عن "الدهات" و "العارفين" و "أهل العلم" بل يعلن ذلك بالكثير من الفخر والاعتزاز ، بل إنه في اللازمة ينادي المخاطب بـ : يابن الدنيا "

لِلَّهِ يَا بَنَ الدُّنْيَا " خَذْ ، وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّذِي مَرُويًّا
 قُلْ مُؤْمِنَ لِيكَ تَنْظِمَهَا وَخُوكَ فَ : اللَّهُ

والمتصوفة ينعنون ما سواهم من عباد الله بهذا النعت "أبناء الدنيا" بل ويضيفون : "أن أبناء الدنيا لا يصلحون للأخرة ،

كما أن أبناء الآخرة - أي هم لا يصلحون للدنيا

وقراءة متأنية لحديث : " من يكفله ؟ تنفى عن مناقشة مثل هذه الأقوال .

يَأْمَنُ خَفَاهُ حَالُ الدُّنْيَا وَأَحْوَالُ نَاسِهَا يَتَّصِنْتُ لِيْ

اشْحَالَ مَنْ : "قَوْلٌ وَرَدَ فِيهِمْ" يَأْمَنُ صَفَاهُ

نستعرض مع "ابن علي" في هذه القصيدة إذن مجموعة من الأقوال التي وردت في : "حَالُ الدُّنْيَا وَأَحْوَالُ نَاسِهَا".

اعْلَا الْأَطْمَاعَ رَتَكَبَ حَالُ الدُّنْيَا وَحَيْثَا وَعَلَا مَا هِيَ

كَيْفَ مَنْ شَيْدُ سُوْرٍ عَلَى الْفَضَا وَعِلاَّهْ

حُرُوفٌ طَمَعٌ كَيْفَ أَهْلُ الدُّنْيَا جَبَاحٌ مَنْ دَاخِلٌ مَخَوِيًّا

وَأَشْ تَرْجَا فَ : اللَّيْ خَاوِي عَلَاشْ تَرْجَاهْ

علق "أحمق الجن" على هذا البيت بقوله : لو قدم حرف "العين" وآخر حرف "الميم" لاصبح اللفظ "طعم" وإذن لوجد فيه الكثير

من الخير والبر والوداد . هي نفس الحروف "من داخل مخويا"

هِيَ الْغُرُورُ وَاللَّاهِي بِهَا كَايْفُ لُوشَاقِ الْمَذْهِبِ

وَكُلٌّ مَنْ سَعَا لِيَهَا مَغْرُورٌ خَابَ مَسْقَاهْ

لاحظ حرفية الآية :

وَالْكَانِزِينَ ذَهَبٌ أَوْ فَضًّا بِهَا جِبَاهُهُمْ تَضْحَى مَكْرِيًّا

فَ : يَوْمٌ يَصِلَا وَأَعْلَى حَرِّ الْجَحِيمِ وَالضَّاهْ

وحرفية الحديث :

جَنَّا لِكُلِّ كَافِرٍ وَسَجَنَ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ هَذِ الدُّنْيَا

مَنْ دَخَلَهَا وَخَرَجَهَا أَشْ خَرَجَ مَغْرَاهْ

وَاللِّي تَقْدَمُ تَوْجَدُو وَاللِّي تَنْفَقُو تَرْبَحُو لِأَشْكِيَّا

وَكُلُّ مَا تَرَكْنِي مَخْسُورٌ غَيْرَكَ الدَّاهْ

نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي دُنْيَوِي صَا حَبْ لِلْأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَا
عَلَيْكَ بِالتَّزْوِيلِ اتَّحَزَمَ مَعَهُ وَفَقَاهُ رَاهُ
وَيْلَا مَا دُرَكْتِي سَتَيْنَ عَلَيْكَ بَ : الثَّلَاثِينَ الْخَتْمِ يَا
وَدِينِكَ تَفَقَّهُ فِيهِ فَ كُلُّ بَابٍ تَفَقَّهُاهُ
وَقَرَأَ "الْيَاسِينَ" وَ "الْمُنَاقِقَ" يَصِفِي النُّطْقَ مِنْ كُلِّ الْجَهْلِيَا
وَطَالَعَ مِنْ "التَّوْحِيدِ" الْأَلْفِي أَبْلَغْتَ مَعْنَاهُ
وَأَخَذَ مِنَ التَّجْوِيدِ حَسَابَ الْوَقْتِ وَالْفُصُولِ الَّتِي مَسْمِيَا
لِحَيْهَتِ الْقَبْرِ لَا تَتَوَجَّهْ كُلُّ تَوَجَّاهُ
صَلِّيْ وَصُومْ وَأَحْمَدْ وَشَكَرْ رَبَّ الْأَشْيَاءِ كَامِلْ كُلُّ عَطِيَا
دِيرٌ مَا يَبْغِي رَاحِمٌ ضَعُفْنَا وَيَرْضَاهُ
وَعَلَيْكَ بِالْغَرَّاسِ لِلْأَشْجَارِ الثَّامِرِ الَّتِي فِيهَا غَلِيَا
وَهَيْبَ غَرَسَكَ فَ : سَبِيحُ الْأَلْفَةِ تَرْتِيحُ ثَنَاهُ
وَتَعْلَمُ "الرَّمَايَا" وَرُكُوبُ الْخَيْلِ لِلْجَهَادِ بِقَصْدِ النِّيَا
وَالسَّقَرِ اتَّخَذَ لِلْحَرْبِ فَرَّاشَ وَغَطَّاهُ
رَكِّي وَعَشْرَ ، وَصَدَّقْ : ذَاكَ الَّتِي خَلَّالَ النَّاسِ الْإِغْنِيَا
وَكُلُّ مَا فَ : الدُّنْيَا دُونَ الْإِحْسَانِ أَنْ يُكْشَاهُ
نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي دُنْيَوِي فَ : الدُّنْيَا لِأَمْوَالٍ لَأَحْرَفًا نَقْلِيَا
لَاغَرَّاسَ وَلَا "أَصْلَ" كَاتِبِي شَفَ : كُشَاهُ
الرَّفْقُ فَ : الْمَعِيشَا أَفْضَلَ قَالُوا مِنْ التَّجَارَا بِأَلْفِ مِيَا
وَأَخَذَ رَاحَا فَ : نَصِيحَتِكَ مِنَ الْوَقْتِ وَشَقَّاهُ
وَعَنَّا عَلَى الْحَرَامِ بَ : الْحَلَالُ كَفَّاهُ كُلُّهَا نَاسُوا مَغْنِيَا
وَكُلُّ مَنْ يَقْنَعُ بِحَلَالٍ وَكَفَّاهُ وَغْنَاهُ

اسْمَعْتُ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ الْأَسْيَادِ الْأَتْقِيَاءِ
 الْقَتْلَ سَاعًا هِيَ كَنْزُ الْغِنَاءِ فَمَبْدَاهُ
 "أَقْضِ بِي" بِمَا ف: رَزَقَكَ وَصَبَّرَ حَتَّى الْيَوْمِ الْأَجَلَ أَوْ لَمَنِئِيَّ
 أَشْ بِ... يَدَكَ مَا تَخْتَرُ ؟ كَلْشِ بِي لِمَوْلَاهُ
 وَلَا تَشْشَوْفَ دَوْمًا إِلَى وَتَحْسَدُوا وَالْحَسَدُ مِنَ الْكُفْرِ يَسَاءُ
 وَلَا تَقْطَعْ أَيَّامًا سَكَ مِنَ اللَّيْلِ عَطَاهُ وَغَنَاهُ
 وَبَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَا تَبَى فِي لَيْكِ كُلَّهَا الْأَسْوَءُ سَوِيًّا
 تَنْصَحُكَ وَتَنْصَحُ بِي نَصَحَ الْقُلُوبِ وَأَفْوَءُ
 وَصَايَتِي لِمَنْ يَصْفَى وَالتَّوْفِيقُ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّ خَفِيًّا
 قَدَرُ اللَّيْلِ قَدْ رَزَبَ الْأَشْيَاءَ وَقَضَاهُ
 أَوْصِيكَ كَيْفَ وَصَى "الْحَرِيرِي" قَالَ ف: الْمَقَامَا السَّسَانِيَّ
 يَوْمٌ وَأَعْظَ وَلَدُوا بِلَطَافَتِهِ وَوَصَاهُ

إِيَّاكَ قَالُوا: تَتَأَمَّرُ لَأَف: الْمَدُنِ وَلَا ف: الْبَادِيَّ
 أَيَّاكَ تَتَأَجَّرُ لَا حَاجَا ف: بِيْعٍ وَشُرَاهُ
 أَيَّاكَ الْفُلَاخَا وَالرِّزْقُ الضَّامِتُوا يَجِيئُوا لِيكَ وَلِيَّ
 سَوَّلُوا: كَيْفَ يَغِيْشُ ؟ ف: دَنِيَّتِي وَوَرَاهُ
 لِيْبِي قَالَ لَوْ كُنْ .. وَكَيْسَ .. لَا تَكُونُ ف: لِسَانَكَ خَشْنِيَّ
 مَسَاعِفَ ... صَرُوحِي ... مَنْ رَمَتْهُ تَغِيْشُ ف: حَمَاهُ
 بِالْصَّدْقِ ... وَالْوَفَا ... وَالْكَلَمَا ... وَالْعَهْدُ ... وَالْقَبُولُ مِنَ الْوَهْبِيَّ

مَن قَبْلَ عَنُورِ الْكَائِنَاتِ هُنَا
 أَيُّكَ الْقَدَرُ .. وَالشُّبْهَا .. وَمَوَاطِنُ الْإِتْهَامِ السُّوَيْيَا
 خَوْفَ : النَّاسِ الَّتِي وَأَتَى كُنْ لَوْ خِشَاءَ
 وَأَصْلُ الرَّحِيمِ وَلَمْ تَقْطَعْ حِيلَتُكَ وَفَ : قُرْبَ وَلَا بَعْدِيَا
 وَأَصْلُو لَا تَقْطَعْ وَلَوْ يَصِيبُكَ خَطَا
 وَجَعَلَ كُلَّ مَن شَاءَتْ أَمِيرٌ وَكُنْ لِيهِ لِيَكُ يَكُونُ رَعِيَا
 وَكُلَّ مَا شَاءَتْ غَنَّا عَنْهُ تَكُونُ فَ : سَـوَاةَ
 وَسَأَلَ كُلَّ مَا شَاءَتْ فَقِيرٌ أَمِنْ تَسْأَلَ فَ : الدُّنْيَا الدُّنْيَا
 لَأَشْرَ مَا تَطْلُبُ رَبُّ الْإِيْمَنِ مَعْطَا
 نُوَصِيكَ لَا تَجَسَّسْ .. لَا تَغْتَبِ لَا تَنْمَ لَا تَجْهَلَ أَصْلِيَا
 كُلَّ مَخْلُوقِ الْأَلْسِي مَكْتُوبٌ لِيَهْدِيهِ وَدَاةَ
 وَالْعَاقِبِينَ هَلْ الْمَعَاصِي ، هَذَاكَ شَرُّ مِنْهُمْ فَ : الْمَعْصِيَا
 وَأَعْظُ الْخَطَا لَقَ فَ وَجْهَهُ لَا تَدْمَ فَ : قَفَاةَ
 النَّفْسِ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانِ عَمَّا ذَاكَ لَا تَأْمَنُهُمْ قَطْعِيَا
 وَأَشْرَ مَن عَاقَلَ يَا مَن يَسَا فَيَهِيْمُ فَ غَدَاةَ ؟
 غَضَّ الْإِبْصَارَ عَلَّ لِحَرَائِمَ وَفَ : شَوْفَتِ الْحَرَائِمَ كُلَّ خَطِيَا
 رَاقِبِ الْأَلْسِي خَلَقَكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَخَشَاةَ
 وَاخْتَارَ مَن تَرَأَفَ شَوْفَ الَّتِي طَاعَ خَالَقُو جَعَلُوا وَلَفِيَا
 عَسَى يَجْلِبَكَ وَتَوَلَّى لِّلْوَحِيهِ دَوَحَاةَ

مَرْجُوْعَنَا الْوَالِدَ قَالُوْا نَاسَ الْحَدِيْثِ وَاهْلَ الْعَرِيْبِ
 وَالْاَطْبَاعِ يَسْرِقُوْا الْاَطْبَاعِ يَا اَلْسِي تَسَا
 نُوصِيْكَ دِيْرَ زَادَكَ مَنْ مَا تَصْرِفُ مِنْ الْاَيَّامِ اَللّٰهُ مَخْلِيْهَا
 اَشْحَالَ مَا قَعْتِيْ تَرْحَلْ يَا مَذْخَرُ بِيْتَا
 اَقْصَدُ لِلطَّرِيْقِ بِالْاَفْعَالِ الطَّيِّبَا وَتُوجِدُهَا مَخْلِيْهَا
 فِيْ صَحُوْفٍ فَعَمَّا لَكَ مَا دَرْتُ رَاكَ تَلَقَّاهُ
 اِلَى فَعَلْتِيْ سِيْرًا تَلَقَّا اِنْجَالَهَا وَبِحَ اَهْلَ السِّيْرَا
 وَمَنْ عَمَلْ حَسَنًا بِالْعَشْرِ رَا صَحِيْحُ مَجَزَا
 لَمَحَاسِنِيْنَ فَ : الْجَنَّا وَقَرَارُ النِّعَمِ فَ : الْقُصُوْرُ الْعُلُوْبَا
 وَالْجَحِيْمُ يَمْرَاجِيْ لِلْفَاجِرِيْنَ بَلْصَا
 اَمَّا خِيْرٌ لِيْكَ ؟ الْجَنَّا وَلِلْ نَارِ يَا لِنَفْسِ الْمَذْمِيْ
 يَا اَلْسِي مَا يَعْرِفُ غَدَاوِيْنَ مَلُوْا
 اَبْكِيْ عَلَى ذُنُوْبِكَ مَا دَلَّكَ حَتَّى بِالْدَمَا وَدَمُوْعُ سَخِيْ
 يَا اَلْسِي مَا زَالَ اَنْهَارُ الْحَسَابِ يَرْجَا
 هَذَا الْمَوْعِظَا مَنْ عِنْدَ اَللّٰهِ عَارِفِيْنَ تَكْفِيْ لِيْكَ وَلِيْ
 يَا اَلْسِي صَابَ اَللّٰهُ تَصْحُوْ صَحِيْحُ وَصَا
 سَتَأْمَنُ الْاَقْسَامُ فَ : مِيَّاتِيْ خَذَهُمْ كُلَّ قَسَمٍ بُوْصِيْ
 وَكُلَّ بَيْتٍ عَنْ اَيَّا وَحَدِيْثٍ قَامَ مَعْنَا
 وَسَلَامَنَا لِنَاسِ التَّسْلِيْمِ مَا فَاحَ الزَّهْرُ بِتَسْوَمِ دُكِيْ

وَلَا سَلَامَ عَلَى الْعَارِفِ مَنْ شَاءَ وَعَصَاةُ
وَالْفَاسِيَيْنِ فِ : الْفِيَا لَمَلَاكُ جَاوِيُوهُمْ فِ : الْفِيِيَا
وَلَا يَعْرِفُ الْفَتَا بَ عَلَيْهِ لَعَنَتُ اللَّهَ
وَشَرَّ مَنُو غَاتَبَ الْأَشْرَافَ مِنَ الْفَلِّ وَمَنْ الْبُغْضِيَا
وَمَنْ بَغْضَهُمْ يَبْغِضُ وَفِي أَنَّهُ ارْ يَرْجَاةُ
أَمَحَبَّتِ الْأَشْرَافَ الْوَجَّةَ الَّتِي جَابِشِيرُ وَنَذِيرُ الْبَرِيَا
وَمَنْ كَرَهُهُمْ يَكْرَهُو مَا يَنْوُزُ فِ : حَمَاةُ
مُحَمَّدَ اسْمِي وَرَجَايَ فِ مَنْ لَا يَخِيْبُ الْأَسْلَامَ رَجِيَا
وَلَدَعَيْنَ الرَّحْمَا نَعَمَ الْجَلِيلُ صَطَفَاةُ
أَعْلِيَةَ الصَّلَاتِ أَمَّنَ اللَّهُ مَا دَامَ الصَّبَّاحُ وَكُلَّ عَشِيَا
مَا تَنْتَهَى وَسَلَامَ اللَّهُ كَيْفَ يَرْضَاةُ

افتتحنا هذه الاغراض الدينية الثلاثة بقصيدة "الصرخا" أي الاغاثة ، وهي لسيدى عبد القادر العلمي . ونحب أن نختمها
بقصيدة "الإمامة" زان تَقْلِيُو مَنْ صَلَّى فِ خَلْفَ إِمَامٍ ، وهي لنفس الشاعر .

تقع هذه القصيدة في واحد وستين بيتا على قافية الميم .

وهي ككل رسائل الشيوخ الكبار الى مرديهم ، تتابع المريد في كل أطوار حياته خطوة خطوة .

أَمَّا مَنْ ضَعِيفُ الزَّادِ عَلَى السَّلْوَعِ رَسَامُ مَعَا التَّجَارَفِ : بِيَانُ سَوَاقِهَا يَزَاحَمُ

هكذا بدأ القصيدة ... عينة من البشر سباقه في كل ميدان ، وتزاحم رواد كل ميدان .

كُفَاهُ مَسْكِينٍ بِسِيمَتِ هَلْ الْفَنِّ يُسَامُ وَلَا فِ مَلَكُو مَنْ ذَاكَ الْفَنِّ غَيْرِ الْأَسْمِ

يكفي الواحد من هؤلاء أن يصنف ضمن أهل هذا الميدان أو ذاك ، حتى ولو لم يكن يعرف من هذا الميدان أو ذاك إلا الاسم

هو يشير في هذين البيتين الى المشعوذين المتطفلين عى "أسواق أهل الله" لكن المثل ينطبق على كل المتطفلين في كل

المباين ، خصوصا وأنه أضاف :

تَاجِرٌ يَغِيرُ بَضَاعًا بِالْفُضُولِ يَتَهَامُ كِي نَحْلَ يَخْرُجُ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوِمُ
مَا وَصَلَ مَا وَصَلُوهُ الْوَاصِلِينَ الْكِرَامُ غَيْرَتُهُمَا لَسَقَتْ مَنْ جُمِلَتْ الْمُتَاهِمُ

وَيَدْخُلُ بِنَا إِلَى صِلْبِ الْمَوْضُوعِ :

الطَّامِعُ بِأَجْرًا لِلْخِدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامُ وَيَبْرَبُ : مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمُ

الاجرة هنا هي رضي الله ، هي روح الله ، هي البشرية بالقبول ، والخدمة هي كل الرياضات والمجاهدات من قيام وصيام وأذكار ، وأيضا قضاء حاجات الناس وتقديم العون لهم ، إنما - وكما سبق القول - فإن الامثلة التي يصنعها سيدي عبد القادر العلمي ، يراعي في صنعها أن تكون صالحة للعالم ، كما هي صالحة للدين ، إذ يتوجب على كل طالب أجرة

..... لِلْخِدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامُ وَيَبْرَبُ : مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمُ
وَلَا يَكُونُ قَلِيلُ الصَّرْخَا كَثِيرُ لَمْلَامُ عَيْنُ رَأْسُو يَقْطَانَا وَالْقَلْبُ نَائِمُ
وَلَا يَقُولُ خَدَمَ نَاسُ الْحَالِ كَمْ مِنْ عَامُ وَلَا نَنْظُرُ لِلْسَعْدِ بِشَارًا وَلَا عَلَائِمُ
يَجْتَهْدُ فَ : الصَّبْرُ أَوْ يَرْجَا صُرُوفُ الْيَامُ كَيْفَ يَرْجَا الرَّاحَا مَنْ هُوَ مَرِيضُ عَادِمُ
وَلَا يَكُونُ مِثْلُ مَنْ يَغْشَاهُ مَرَضُ لَوْخَامُ سَاعَتُ الرَّافَا يَلْقَا خَاطِرُو مَفَاكِمُ
وَلَا يَكُونُ فَ : لَحْرُوبُ بِلَا سِلَاحِ زَعَامُ بَاشُ يَلْقَى صَدَمَتُ لُوعَا إِلَى تَلَاطَمُ
وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضِ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامُ بَدُونُ "عَارَفُ" شَيْخُ مَرِيٍّ فَقِيهِ عَالِمُ

نعم إن أهل الملحون يشترطون الشيخ للتلقي ، ومن أقوالهم في هذا الباب : "شَيْخٌ بِلَا شَيْخَا بَاطِلُ شَاخٌ" وَشَيْخٌ بِلَا شَيْخٍ لَوْعَمَرُ جَبْحُو خَالِي ، ولكنهم لا يشترطون في الشيخ الذي يعلم الملحون أن يكون بهذه المواصفات : "عارف ، مشيخ ، مربي ، فقيه .. عالم" : فالمسألة أكبر بكثير من "شيخ لفريحا" أو "شيخ شجيا" إنه الشيخ الذي قال عنه الامام الغزالي في الاحياء ، وفي غيره من كتبه :

ينبغي للسالك شيخ ، مرشد ، مرب ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقا حسنا [وفي مكان آخر يقول : [ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى] ويشترط في الشيخ [أن يكون من فقهاء الشريعة ، ومن المعرضين عن حب الدنيا ، وحب الجاه ، و أن يكون قد تابع لشخص يصير تتسلسل متابعتة الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان الشيخ هكذا ، وكان محسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم

وكان بمتابعة الشيخ البصير ، جامعاً لمحاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل ، واليقين ، والقناعة وطمأنينة النفس والعلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار وأمثالها ، فهو إذاً نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلح للاقتداء به [.

وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضِ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامٌ بِدُونِ عَارَفٍ شَيْخٍ مَرْبِيٍّ فِقِيهِ عَالَمٍ

ثم أن الورد تشمل الكثير من العبادات ومن ضمنها الاذكار ، والاذكار تكون ببعض أسماء الله الحسنى، والأسماء الحسنى في تعاليم السادة الصوفية - منها ماهو للذكر والتخلق ، كالكریم جل جلاله ، والحليم جل جلاله ، والعفو جل جلاله ، والوهد جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتعلق ، كالرحمان جل جلاله ، والملك جل جلاله ، والقدوس جل جلاله ، والعظيم جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتحقيق كالاول جل جلاله ، والآخر جل جلاله ، والظاهر جل جلاله، والباطن جل جلاله ، ولهذا لا ينبغي للمريد أن يذكر بإسم من أسماء الله الحسنى إلا إذا أذن له الشيخ .

فالذي تغلب على نفسه الشراسة ، أو الرعونة ، أو القضاضة مثلاً .. ينصح الشيخ بأن يذكر بإسم القهار جل جلاله ، والذي لا تزال تزل قدمه ولو من حين لآخر ، ينصح الشيخ بأن يذكر بإسم التواب جل جلاله ، أو بإسم العفو جل جلاله ، والغافل الوجه يذكر بإسم السلام جل جلاله ، أو بإسم المؤمن جل جلاله ، وأصحاب العطل المزمنة ينادون "يارحمان يارحيم" أو "ياأرحم الراحمين" وهكذا ...

فالشيخ إذن هو الذي يعرف طبائع نفوس مريديه ، ويتابع تحولاتها باستمرار . ويرصد ما يطرأ عليها من تغيير ، وبالتالي هو الذي يعرف ما يصلح حال هذه النفس وما يناسب تلك فهو طيب نفوس مرديه .

مَا بَلْقِيَا ف : مُسَالِّكَ هَلْ الْفَن يُرَامُ اصْبَعِ الْاَعْوَجَ مَا وَاتَاوَةَ الْخَوَاتِمَ
الدَّوَا النَّافِعَ مَرَأً شَرِيَتْوَف : لُفْـلُـمُ حِينَ يَتَجَرَّعُ بِالتَّكْلِيفِ لِلْحَلَاقِمِ
وَيَسْرِي لِلْجُوفِ يَنْقِي عَفْوَنُ الْاِتْخَامِ مَنَ الْقَلْبِ الْمَلْسُوعِ الْمَبْتَلِي السَّاقِمِ

وهذه فلسفة سيدي عبد القادر في "الصبر والتوكل" كما أشرنا إليها في أول قصيدة من الغرض الاول .. الصبر عند تجرع الدواء ، والتوكل على الله في الشفاء . الصبر على مشاق العمل ، والتوكل على الله في إنجاح العمل .

وفي طريق القوم ، الصبر على الجوع والمعطش في الصيام ، والتوكل على الله في القبول ، بل الصبر في كل الرياضات والمجاهدات التي يأمر بها الشيخ ، ومن دون تأفف ولا تبرم والتوكل على الله في إصلاح حال النفس .

التَّلَامَذُ فَحَضَرَ الْأَشْيَاخَ مِثْلَ الْإِيْتَامِ وَمَنْ طَرِيقَ الْقَوْمِ الْمَكْفُولِ مَا يَخَاصِمُ مَا يَخَاصِمُ أَي لَا يَجَادِلُ ، فالمرید وهو في مجلس شيخه ينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطناً . يقول الامام الغزالي في إحدى رسائله : [أما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة ولو علم خطئه ، وأما احترام الباطن : فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن ، لا فعلاً ولا قولاً ، لئلا يتسم بالنفاق] .

وَحِينَ يَكْمَلُ حَالُو وَالرُّشْدُ فِيهِ يَقْهَامُ
كَالْجَنَانِ إِلَى صَبِّ عَلَيْهِ مَزْنُ الْغَمَامِ
يَزَيَّانُ غَرْسُو يَطْفَحُ زَهْرُ وَيَطِيبُ الْاَنْسَامُ
مَا يُلُومُ مَنْ عَشَقَ مَنْ فَاتَ فِيهِ الْفَرَامُ
إِلَى يَشُوفُ خِيَالِ حَبِيبُ ف : طِيبُ الْمَنَامِ
أَمَّا إِلَى تَمَّ الْجَمْعُ وَوَأَصْلُو بِالْاَقْدَامِ
يُصَدِّقُ الرُّؤْيَا يَشْرَحُهَا بِخَيْرٍ وَسَلَامِ
يَرْتَحِمُ : "السِّرُّ الْكَلِّيُّ التَّامُ الْعَامِ"
يَحُلُ تَحْجِيرُ وَمَنْ هُوَ عَلَيْهِ حَاكَمُ
وَقْتُ هِجَانِ الْقَاخُوفِ : الدَّجَا الْبَاهِمُ
بَعْدَ زَهْرُو يَنْمُرُ وَيَعُودُ رَوْضُ نَاعِمُ
حَيْثُ جَفَّتُو فِي بَحْرِ الْحُبِّ كَانَ عَائِمُ
يَقُولُ مَا بَاقِي هَجَرُ وَفَزَتْ بِالنَّعَائِمِ
وَنَادَمُو وَحْيَا بِهِ عَوَاهِدُ الْمُرَاسِمِ
يُصِيبُ حُسْنَ الْقَالَ لِتَغْيِيرِهَا مَوَالِمِ
ف : مَنَزَلًا مَحْجُوبًا عَنْ لَوْمِ كُلِّ لَايِمِ

وبعد وصفه لجماليات البدايات ومحاسنها - وليس من الاقطاب الكبار من لا يحن الى لوازم بدايته ويوارقها ، وإلى ما رأى فيها من رؤى ، وما شاهد من مشاهدات - بعد وصفه للشاعري الجميل لبداية التنوق عند المريد .. إلى أن يرحمه الله بما أسماه : "السِرُّ الكلي التام العام" يبدو وكأنه يخشى على هذا المريد أن ينزلق ، أن تنال منه آفة من آفات الطريق ، فالانس قد يكون السبب في الشطحات ، والقرب ربما أوصل الى التماذي وسوء الادب ، ولهذا نراه يقول له بكامل الصراحة والوضوح :

زُوكَ ف : السُّنَّةُ .. وَدَخُلْ تَحْتَ ظِلِّ لَعْلَامِ
وَلَا تَبْدُلْ صَدَقَ الْيَقْضَا بِطِيبِ الْاِحْلَامِ
كُنْ فِي مَجْمَعِهِمْ زَاكِي مَهِيلُ مَبْهَامِ
غَارِسُ الْحِيَلَا مَا يَجْنِي ثَمَارَ الْمَظْهَرَامِ
مَا يَفُوزُ بِغَلَا بِهَا عَلَيْهِ يَتَغَامِ
الْوَرَادُ بَلَا لَذًا نَوْعَ مِنَ الْاِلْهَامِ
مَنْ تَعَبَ ف : الْمَبْدَأُ يَرْتَاخُ عِنْدَ الْخَتَامِ
مَا يَلُوسُهُمْ قَصِيرُ الْبَاغِ بَيْنَ الْاِسْهَامِ
وَلَا تَكْذُرْ صَفْوُ الْحَسَنَاتِ بِالْمُنَاسِمِ
وَلَا تَقَابِلْ سَرَ اَهْلِ الْكُشْفِ بِالْمُنَاسِمِ
كُنْ عِنْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَذْنُوكَ عَزَامِ
ابْحَالِ مَنْ يَزْدَعُ حَبَّ الْقَمْحِ ف : السَّمَائِمِ
مَا يَنَالُ الرَّاحَةَ دَغْيَا يَعُودُ نَكَادِمِ
الْفَدِيرُ حَدَاهُ وَجُوفُو عَطِيشُ فَاحِمِ
إِلَى بَرَا ضَرَّ الْقَلْبُ ارْتَاخَتْ الْكُـوَايِمِ
لَوْ يَكُونُ ف : ظَاهِرُ فَعَلُو حَرِيصُ عَاَزِمِ

وَأَشْ حَقَّ الصَّابِي يَوْمَ الْخُلُوقِ يَفْطَامُ
 غَيْرَ كَأُتْخَرَجَ دَا تُوْمَنَ غَمُوقِ الْأَرْحَامِ
 يُوجَدُ نَعِيمٍ فَصَدَّرَ الْأُمُّ بِهِ يَرْحَامُ
 مَنْ فَقَدْ تَيْسِيرُ بَيْنَ اللُّسُونِ يَدْمَامُ
 كَيْدَ هَازِ الدُّنْيَا قَانُونُ شَرْحِ يَغْلَامُ
 صَالِحِ الرَّيِّ الصُّحْبَتِ هَلْ الْخَيْرِ يَلْهَامُ
 كُلُّ مَنْ يَحْضُرَ مَجْمَعِ ذِكْرِهِمْ يَرْحَامُ
 خَلَاوَتِ الْعَطْفِ يَطْلُبُوهَا خُصُوصَ وَعَوَامُ
 وَالشَّبَابِ الْمَرْبُوحِ مَعَ وَقُوفِ الْإِيَامُ
 إِلَى خَفَاوَا أَهْلَ الْحُكْمَا عَنْ عَقُولِ الْفُشَامُ
 لَا لِبَا تَدْيٍ أَوْ لَا طَعْمَ لِيهِ رَايَمُ
 لَمَنْ أَنْسَاهُ يَسْبِيحَ وَعَلَى اللَّبَا يَنْهَامُ
 كَيْفَ يَرْجَامُ ضَعِيفُ النَّبْتِ بِالرَّهَائِمِ
 ضَيْقُ لَمَعِيشَا يَكْسِرُ هَيْبَتِ اصْلَادَمِ
 إِلَى بَرْقِ ضَيِّ الشَّمْسِ نَزَاحَتِ الدَّوَاهِمِ
 يَا هِنَاهُ إِلَى كَانَ بِحَقِّهِمْ قَسَائِمِ
 يِعَايِنُ الرَّفَا بِإِعْتِقَادِ لِيهِ جَزَائِمِ
 وَالْأَغْرَاضُ اخْتَلَفَتْ فَطَبَائِعِ الْعَوَالِمِ
 إِحِلَّ بَابِ الْمَنْزَلِ وَيَفْتَحُ الشَّرَاجِمِ
 يَعْرِفُوهُمْ أَهْلَ التَّمْيِيزِ بِالْوَسَائِمِ

بوذي لو أستمتر في اللقاء بعض الاضواء على أبيات هذه القصيدة حتى النهاية؛ إلا أن الاغراض التي لا تزال أمامي كثيرة جدا ، ويتوجب علي أن أترك لكل غرض حصته من صفحات هذا الكتاب . ويرحم الله القائل : إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار .

وها قد ظهر المعنى الصوفي لهذه القصيدة ، وأرى أن لا خير على القارئ إذا ما تركته مع ما تبقى منها دون أدنى تدخل مني .

اسْتَنْشَقُوا رِيحَ الْمَسْكِ مَنْظَفِينَ الْخَشَامُ
 لَوْ يَنْحَجِبُ عَنْهُمْ ف : دَوَاخِلُ الْمَكَاتِمِ
 الْقَمَرُ مَنْ بَعْدَ يَغْطِيهِ ثُوبُ الْغَمَامِ
 الْفَلَّاسُ تَرَاهُ عَلَى هَالَتِهِ تَرَاكُمِ
 يَبَانُ شَطْرُو وَيَبَاضُهُ مِنَ الْجَوْسَهَامِ
 كِي يَبَانُ الشَّيْبُ مِنْ سَحُومَتِ اللَّمَائِمِ

المقطع الرابع

مَنْ حَفَظَ خَمْسَةَ دَالِصِنَاتٍ حَفَظَ مُحْكَمَ
 وَفِيهِ رَسَخُوا كِي رَسَخَ الْوَشْمُ فَ الْمَعَاصِمُ
 يَعْتَدِلُ مَيِّمُونُو وَالسَّعْدُ لِيهِ يَسَقُّ مَامُ
 يَرْتَفِعُ بَعْدَ الْخَفْضِ الْهَامَتِ الدَّوَاخِمُ
 الصَّمْتُ وَالْعُرْلَةُ ، وَالْهُدْنَةُ ، وَتَرَكَ الْمَسْلَامُ
 وَالْقَنَاعَةُ ، وَفَرَّاقُ الْبَعْضِ مَنْ بَنَى مَادَمُ
 وَمَنْ تَرَكَ خَمْسَةَ دَالِصِيَّاتٍ تَرَكَ عَمَزَامُ
 كِي يَتَرَكَ الْمَحْرُومُ الَّذِي عَلَيْهِ حَارَمُ
 الْحَسَدُ ، وَالْكِبَرُ ، وَالْجَفَا ، وَضَيْقُ الْأَشْيَامِ
 وَالطَّمَعُ بَيْنَ الدَّلِّ وَمَنْصَبِ الْحَشَمِ
 كُلُّ سِيئةٍ مِنْ دَالِصِيَّاتٍ ضَرَّهَا سَامُ
 فَاقَ سَمَ الْحَيَّاتِ الرُّكْدَ السَّوَادَمُ
 هَبِيلٌ مَنْ يَزْعَمُ يَتَزَيَّأُ بَزْيِ الْكُورَامُ
 وَيَبْلِيسُ عَلَى عُنُقِهِ بِالْأَقْدَامِ زَاطَمُ
 مَا يَلْقَى يُوْجَهُ وَجْهَهُ لِهَذَا الْمَقَامُ
 غَيْرُ مَنْ نَفْسُهُ فِي مَلَكَةٍ مَثِيلُ خَادَمُ
 تَرِيضُ أَرْيَابِ الْفَنِّ نَفُوسَهَا اللَّقَامُ
 كِي تَرِيضُ الْعَرَابَ غَوَاصِي الْهَجَمِ

وَأَشْ مِنْ بَاتٍ عَلَى فِتْرَةٍ وَضَلَّ هَـوَاً
كَمَثَلٍ مِنْ بَاتٍ يَصِلِّي وَضَلَّ صَـاِئِمَ

المقطع الخامس:

الشَّرِيعَةُ جَزَرَتْ مِنْ فِيهِ بَانَتْ أَثَامُ
لَوْ زَعَمَ وَابِنَ قَلْبُهُ مِنَ الْجَهْلِ سَـاِئِمَ
وَالْحَقِيقَةُ يَفْعَلُ مَا رَادَ مَوْلَى الْحُكَاةِ
عَبْدٌ رَحِمَهُ سَيِّدُهُ مَا ضَرَّتْهُ جَرَايِمُ
حَيَاةُ بَ : الثُّبُوبَةُ مِنْ يَحْيَى رَمِيمِ الْعِظَامِ
وَأَيْدُهُ بِالْقُرْبِ وَتَقْدُهُ مِنَ النِّقَمِ
الرَّوْعُ الْبَرُّ ، الشَّافِي ، الْغَنِي ، السَّلَامُ
يَنْتَجِ الْعُقْمَاوِيَنْطِقُ الْبِـاِئِمَ
سِرُّ الْإِجَابَةِ فَ : صَدُورُ الرِّجَالِ مُكْتَمِ
فَوْقَ مَا يَنْكُتُمُوا الْكُنُوزَ وَالْحِـاِئِمَ
سِرَّهَا خَبِرُوا بِجُودِهِ لَسُونِ الْأَقْلَامِ
وُخِرَقَ عَادَتُهَا فِيهِ قُصَارَتُ الْفِـاِئِمِ
نَفَاسُ الدُّرِّ مِنْ جَوَافِ الْبَحْرِ تَغْنَامِ
وَلَا يَغُوصُ عَلَيْهَا إِلَّا شَيْخُ عَـاِئِمِ
مُسْتَمَرٌّ مَعَا مَوْجَ الْبَحْرِ شَيْخُ عَوَامِ
مَنْ الصَّفَرُ مَتَوَلَّعَ بِصَيَادَتِ الْفَنِّ ائِمِ

كُلْ كَنْزُ ف : بَابُهُ حُرَاسٌ لِيهِ خُـدَامُ
وَمَنْ وَضَايَفَ شَرْطُهُ الْبُخُورُ وَالْعَزَايِمُ
مَا يَفْتَحُو إِلَّا تَأْقِي حَكِيمٌ نَجَامُ
مَا يَهْمُهُ رَصْدٌ وَلَا تَرْهَبُوا طُلَاسَمُ

المقطع السادس :

مَنْزِينَ يَتَنَصَّفُ مَنْ الْاِدْنِاسُ قَلْبُ الْغَلَامِ
وَيَرْتَحِلُ يَبْلِسُ اللَّيِّ كَانَ فِيهِ قَسَامُ
كَالْمَزَانِ إِلَى صَبٍّ عَلَى يَبِيسِ الْاَكْمَامِ
زَمَرْدَهُ يَصْبَحُ فَوْقَ بَيَاضِ الْاَرْضِ رَاشِمُ
يَلْبَسُ يَزَارُ خَضَرَ وَيُلُوحُ ثَوْبُ الْخَطَامِ
لِلشَّبَابِ يُولِّي مَنْ بَعْدَ كَانَ هَامُ
عَلَى عَطُوفِ اجْتَابُوا يَرْخِي صَنَافُ الْكَمَامِ
مَنْ الزَّهْرُ وَعَلَى الرَّأْسِ يَنْشِيدُ الْعَمَامِ
يَطْرُ دُخْيَالُ السُّودِ عَنْ ضَمِيرٍ مَغَامِ
حِينَ يَفْتَحُ زَهْرًا نَوَارُ بَنَفَرٍ بَسَامِ
إِلَى نَشْرِ دُرٍّ لَفَاحُوفَ : السُّلُوكُ نَظَامُ
وَالنَّظَامُ بَزَهْرُو تَتَزَيَّنُ الْمَشَامِ
بِهَيْجَتُو يَنْفِي مَنْ الْمَزَاحُ رِيحُ الْهَيَامِ
كَيْفَ تَهْرَبُ الْعَوَارِضُ مَنْ حُرُوفُ الْاَسْمِ

عَلَى كَمَالِ الْحُسْنِ الْبَاهِي النَّائِرِ التَّامُّ
 مَخْتَلَفُ الْأَغْصَانِ وَالْأَغْرَاسِ وَالنَّسَائِمِ
 فِيهِ تَبَهَّتْ وَتَحِيرُ دَهَانُ كُلِّ رَكْـمِ
 رَائِقُ النَّفْسِ مَقْنَنُ صَاحِبِ التَّرَاجِمِ
 مَا يُمَيِّزُ هَذَا التَّرْتِيبَ جَلْفُ مَبْهَامِ
 زَيَّ أَصَمِّ السَّمْعِ فَ مَحْفَلُ التَّغْنَائِمِ
 أَوْ زَيَّ مَرِيضِ إِلَى شَاوَرُوهُ بَطْعَامِ
 وَمَنْ عَوَايِدَ الْمَرِيضِ الرَّهْدِ فَ : الْمَطَاعِمِ
 مَا يَلِينُ صَخُورَ الصِّلْدِ سِيلَ الْأَدْيَامِ
 لُوبِنَاتٍ عَلَيْهَا وَيُضِلُّ مَا هُ سَسَاكِمِ

المقطع السابع والآخر :

الْعَقِيلُ يَحْمَمُ وَيَفْقَهُو التَّخْمَامِ
 فِي عَجُوبِ الْخَنَاسِ مَهْيَحُ الْمَظَالِمِ
 وَسَاوِسُهُ تَسْرِي فَ : الْأَجْسَادُ سَرَى الْمَدَامِ
 يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ أَوْ الْغُرُوقِ وَالْجَمَّاجِمِ
 دَاهُ شَاعَ وَدَاتُهُ خَتَفَاتُ عِلَلِ الْعَالِمِ
 كَيْفَ خَتَفَاتُ فَ : الْغَضَا عِلَّتِ الْبِلَاقِمِ
 مَا يُمْكِنُهُ قُوَّاسُ يَشْدُ فِيهِ بَسْنَاهَامِ
 وَلَا يَطْعَنُو رَمَاحَ قَوِي بَسْنِ فَاصْصَامِ

مَنْ أَعْتَصَمَ بِاللَّهِ وَقَازَ بِالْأَعْتَصَمِ ——— أَمْ
 هَبْتُو تَفْعَلْ فَعَلْ الْبَنْدُ فِي الصِّ ——— أَرَمْ
 وَبَيْنَ مَا يَقْبَلُ وَسَوَاسِ اللَّعِينِ يَرْجُ ——— أَمْ
 يَنْطَرِدُ وَالْجَمْرُفُ : نَحْرُو لَهَيْبُ ضِ ——— أَرَمْ
 قَوْمَ طَهَّرَهُمُ الْمَوْلَى قُلُوبَ وَجَسَ ——— أَمْ
 لِ : يَبْلِيسُ يَظْهَرُوا فِي صُورَةِ الدَّرَاغَمِ ——— أَمْ
 مَا يَبَارِزُ الْعَدُوَّ صَافِي يَقِينُ بَخْصِ ——— أَمْ
 حَيْثُ عَرَفُو يَسْرِي اللُّغْرُوقُ فَ الْمُنَاسِمِ ——— أَمْ
 وَمَنْ سَلَّمَ مَنْ ضَيِّمُو مُحَالَ وَاشْ يَنْضَامِ ——— أَمْ
 صَارَ مَقْلُوبُو ، وَالْمَقْلُوبُ مَا يَلَاطُ ——— أَمْ
 مَا يَنْحَجِبُ مَنْ نَزَعَاتُ الْعَدُوِّ الْمَشْنُ ——— أَمْ
 غَيْرُ مَنْ بِالْحَقِّ يَقِينُو صَدِيقُ جِ ——— أَرَمْ
 وَمَنْ صَفَى مِنْهَا جُ وَلَقَى سَعُودُ الْإِيَامِ ——— أَمْ
 رَأَيْسُ الْحَكْمَةِ بِالْحَاجَةِ يُجِيهَ قِ ——— أَدَمْ
 أَهْلُ الْوَفَا نَظَرْتَهُمْ لِكُلِّ ضَرَّ مَرْهَامِ ——— أَمْ
 وَالْمَالَمُ مَا يَسْتَفْنَى عَلَى التَّمِ ——— أَيْمِ

اللازمة:

زَانَ تَقْلِيدُو مَنْ صَلَّى فَ خَلْفَ الْإِمَامِ ——— أَمْ
 إِلَى يَكُونُ فَ سَرَّ ضَمِيرُو يَقِينُ جِ ——— أَرَمْ

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الغرض الى أن من بين قصائده ما يصل عدد أبياتها الى ست مائة بيت كوصية بوخريص مثلاً :

يَا الْغَافِلُ عَنْ مَا يَعْنِيهِ وَالْعَمَرُ حَانَ قُمْ ، وَأَعِزِّمْ ، وَأَخْذَمْ ، يَكْفَى مَنْ انْفَرَعَيْنِ

أو وصية بوزايد :

يَا هَٰذَا النَّفْسُ اللَّيِّ مُجَرَّعَانِي كَيْسَانَ الْأَسَى رَجَعِي بِي مَا حَدَنِي لِدَابَا مَا قَاطَعَ يَأْسُ

أما قصائد المائة بيت ، أو أقل بقليل كحالية مريفق ، وهي نظرات في سياسة النفس على جانب كبير من الدقة .

يَا لِعَاقِلٍ نُورُ الْإِلَهَامِ ضَمَنَ وَقَّاسُ بِهِ تَدْرِكُ لَعْقُولُ نَفَائِسُ النَّفْسِ الْيَأْسُ

أو ثائية سيدي عبد القادر ، وفيها من غزير علم الاجتماع ما الله به أعلم :

لَعِبَ مَنْ غَيْرِ شَطَارًا فُوقَ رُوسِ حَرَبَاتِ هَكَذَاكَ ابْنُ أَدَمَ مَثَلَتْ فِي عَشْرَتُورِ

أو الدار لنفس الشاعر :

أَشْ مِنْ عَارٍ عَلَيْكُمْ يَارْجَالُ مَكْنَأَسُ مَشَاتِ دَارِي فَ حَمَاكُمْ يَاهْلَ الْكَرَائِمِ

على كل حال وصيات الملحون تعد بالمئات وليس بالعشرات .

ـ الغرض الرابع " الربيعيات "

"الربيعيات" بتشديد الراء مع تسكينها ، هي الابداعات الفواحة بعبير الورد والازهار ، الصداحة بأغاريد كل أنواع الطيور .

"الربيعيات" هي قصائد الاجواء عندما تخلو من غنائمها الداكنات السود ، قصائد السماء وهي تستعيد شبابها وصفاءها ونضارتها ، قصائد الارض ، هذه العروس وكيف تراءت لشعراء الملحون في حفل زفافها ، وكيف أصبحت في "اصبوحى" وهي كلها مستعدة للاخصاب .

ويتواضع العلماء ، أطلقوا على هذا الغرض بكل بساطة "الربيعيات" والحق أن هذا الغرض ، أكبر بكثير من هذه التسمية : الربيعيات ذلك لأن سائر الابداعات الملحونة ، التي يشملها هذا الاصطلاح ، لم تقتصر فقط على الربيع ، وإنما شملت الطبيعة ككل ، ولم تتناول الربيع إلا من حيث أنه جزء من كل ، ويعبر عن الكل . وسوف نرى أن هذه الربيعيات لم تقتصر على وصف الربيع فقط ، وإنما وصفت لنا أولا الفصل الذي يسبق فصل الربيع ، يقول متيرد :

زَلْزَلُ الرِّعَادِ سَهْلٌ وَوَعَارُ بَاتَ طَالَعٌ وَاصْبَحَ لَمَاعٌ مِنْ بَرُوقِ تَشِيرِ
وَرِيَا حَهَا تَشَالِي وَمَزُونُ كَمَا الْجُحُوفُ مَسْطُورَا

ويقول ابن سليمان :

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَاحَ يَرْقُمُ الْفَلَكَ رِقَامَ الرَّعْدِ فَ : الْمَلَامَحُ
وَالْبَرْقُ بِحَسَامُو يَبْدُ وَشَجِيعُ الْكَفَاحِ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَا قَلْبُ الْعَصَا امْجَرَحُ
وَالرَّعَادُ اِيْزَكَلُمُ طَبَلُو عَلَى الْوَفَا صَاَحُ حَمَلُ جِيُوشُو نَارُ جَمِيعِ كُلِّ نَائِيَحُ

ويقول نفس الشاعر :

الرَّعْدُ زَامُ طَبَلُو مَنْ بَعْدَ قَنَاظِرِ السَّمَائِمِ وَالْبَرْقُ سَلُ سِيْفُو وَيَخْبَلُ فِي سَلُوكِ لَمِيرَانُ
وَالرَّيْحُ فَارَسُ اِيْشَالِ سِي عَنْ عَقَابِ الْعَلَفَاتِ فَ : خَلْفَهَا مَشْمُورُ

ووصفت لنا ثانيا أين يكون الربيع ، البساتين ، الجنان ، الرياض ، السهول ، الجبال ، المروج ، الربى ، يقول التهامي المدغيري :

يَا الْعَرْصَةَ صَوْلِي صَوْلِي بِطِيبِ الْأَطْيَابِ سَاكُنْكَ سَيِّدِي وَلَدُ السَّاكُنِينَ طِيبِيَا

ويقول بن مسعود :

ابْلَغْتُ الضَّأَضُ اتَسَارِينَا جَمِيعَ فَرِيَاضُ فَ : الشَّتَى وَالشَّمْسُ أَوْ الشَّرِيفُ ضَلَّ رَاضِي

ووصفت لنا ثالثا نتائج الربيع ، أو لنقل آثاره في الكائنات الحية التقارب ، التفاهم ، التجاوب ، الالفة ، التزاوج من أجل تخليد النوع ، أي نوع : الانعام ، الدواب ، الوحوش ، النحل ، النمل ، الفراشات الطيور ، الانسان ! نعم الانسان ... ولم لا ؟ أليس الانسان أيضا من هذه البيئة الطبيعية التي تحيط بالشاعر ، والتي يصفها لنا في هذه الربيعيات ؟

فأنا في ترتيبتي للأغراض ، جعلت "الربيعيات" و"العشائقيات" و"الخمريات" في مكان واحد، لاعتقادي بأن هذه الأغراض الثلاثة يكمل بعضها البعض الآخر ، تماما كما هو الحال في الأغراض السابقة : "لا إله إلا الله" عنوان التوسلات ، محمد رسول الله "عنوان المدائح ، وحاصل هذا الاقرار ، مكارم الاخلاق التي اشتملت عليها "لوصايات" .

ولعمري أن كل هذه الربيعيات التي ربما وصلت في عددها الى ثلاث مائة إبداع ، من "قصائد" وسرايات وعروبيات" هي من باب "وأما بنعمة ربك فحدث" فالارض التي أكرمها الله تبارك وتعالى ببحرين بدل البحر الواحد، المحيط الاطلسي ، والابيض المتوسط وكم تصب في هذين البحرين من أنهار ، وعيون ، وأبار ، وشلالات ، وهذه التربة الخصبة الغنية المباركة ، قطع متجاورات عند النظر ، وغير متجاورات في العمق ، ليكون التنوع ، وليجعل الله لنا فيها من الخيرات ما تفرق في غيرها من أراضي الاوطان ، وهذا الجو المعتدل الجميل ، وهذا النسيم العليل المنعش ، لا في الاصائل ولا في البكور، وهذه الشمس التي أرادها المنعم الكريم صالحة لهذه الارض ، ونافعة لابنائها في سائر فصول السنة ، لو صادف كل ذلك - لا قدر الله البشر

العديم الذوق ، المتبلد الاحساس ، انت الشعور ، المتحجر العواطف ، أولا تتلقه الغفلة ويطمره الاهمال ؟
ولكن لا .. المنعم الكريم ، الكامل ، الجميل ... الودود ... قد آتم نعمته علينا إذ جعلنا لا نغفل أبدا عما أنعم علينا به من
نعم لا يحصوها عدد ، بل ننتفع بها وننعم ، ونحمده ونمجده ونثني عليه .

ف : السي التهامي مثلا - كما سنرى في النص الكامل - يختم الربيعية بقوله :

وَأَجِبْ أَنْحَمْنَا وَنَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَايِمِ لَجَزِيلًا رَبَّنَا عَطَاهَا

ونجد من لا يستطيع الانتظار الى آخر القصيدة ، بل يحمد الله ويشكره ويثني عليه : مع كل رؤية ، مع كل صورة ، مع كل
خاطر ، الحاج الحسن بنشقرون مثلا :

يَنْعَاتُ أَنْوَارَ الْعَفَا وَكَسَاتِ الْأَرْضِ طَلَقَاتُ اغْصَانِهَا الْفَضَا تَسْتَرْضَا

مَنْ شَاهَدَهَا كَمَا نَشَاهَا رَبَّ الْأَرْضِ بِقُدْرَتِ مَوَاهِبُو كَمَا حَتَمَ وَرَضَا

وَجَعَلَهَا لِلْعَيْنِ فَ : النَّظْرَا تَرْضَا

غَانَهَا لَكْرِيمَ ، الْوَفِي ، الْبَرَّ ، لِحَفِيطَ لَأَحْتِ رَدَانِ غَطَاهَا وَالْكَرِيمَ حَافِظَ

ويقول في موضع آخر من نفس القصيدة :

ذَا الْمَلِكُ الشَّامُخُ الْمَتِينُ أَلَّ يَنْقُضُ سُبْحَانُو كَامِلُ الْعَطَا قَاضِي الْقَضَا

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيْنَتَ النَّوْمِ اسْتَيْقِظَ وَرَشِدَ الْأَعْيَانِ مَنْ سَهْوَهَا لِلْيَقْضَا

تَنْظُرُ مَا خَلَقَ مَالِكُ الْقُدْرَا وَقَضَا

حتى الذي يغفل أو يتغافل بسبب من الاسباب ينبهونه :

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيْنَتَ النَّوْمِ اسْتَيْقِظْ فَارَقْ سَهْوَكَ نَظْرَ الْأَكْوَانِ حَلَّ عَيْنِكَ وَتَنَزَّهَ زِدْ شَوْفَ وَسَطَابِ والامثلة كثيرة .

وإذا كان متيرد ، والازموري ، وبين سليمان ، وبين علي ، والغرابي ، والحاج إدريس ، قد جعلوا في ربيعاتهم مجرد أبيات
لحمد الله وشكره والثناء عليه ... فإن ابن اصغير ، وبين سليمان وفدور لحنش ، ولهوري ... قد خصصوا ثلاثة أرباع الربيعيات
إما للتوحيد ، وإما للمديح النبوي وإما لهما معا .

نقرأ ربيعية بن الصغير الصوري فلا نجد فيها من جو الربيع إلا المقطع الاول ، والمقطع الثاني أما ما تبقى فليس إلا في
توحيد الله والثناء عليه ، سوف نلتقي بمحمد بن الصغير الصوري في الملحون الروائي ، أو القصصي ، إنما الآن نشبت له هنا
هذه الابيات العشرة من ربيعية له في "لرما الثلاثية" للدلالة على أن جل قصائد الربيع ، ماكان وصف الربيع فيها إلا كمركوب

إما للوصول الى توحيد الله جل علاه ، أو للوصول الى مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم .
والشاعر المغمور بن الصغير الصويري ، الذي لا تكاد تعرفه الا قلة قليلة من أهل الملحون هو من فحول الشعراء ، كما
سيلاحظ القارئ الكريم لا في الابيات التالية ، ولا فيما سندرجه له من شعر قصصي في الغرض السابع من هذه الاغراض
العشرة .

ويمتاز بن الصغير رحمه الله بخصوصيات لا نجدها أبدا عند غيره من الشعراء ، من هذه الخصوصيات ، التركيز على
جزئية صغيرة بسيطة قد لا ينتبه اليها أحد ، مع وصف شامل لدقاتها ، وتفاصيل تلك الدقائق .

فمثلا في قصيدته "الشمس والشتا" ، نجده يركز في المقطع الاول بكامله ، على أشعة الشمس ، وهي تنفذ من بين
الاعصان لتنعكس على أوراق الشجر ، بما عليها من قطرات المطر ، أو لتشع في سلوك النور .

شَوْفْ أَنْوَارُ الشَّمْسِ سَاطِعًا .. شَوْفْ الطَّلَّ قَطَاطِرُو مَلَاتِ الْوَرَقْ أَوْ الْإِزْهَارْ
تَتْبَاهَا كَالدَّرْ وَالتَّبَّارْ .. فَرَقِصْ أَلْوَانَهَا اتَّحِيرَ النَّظَرُ أَرَا
وَالنَّاظِرْ لِيْ هَا إِلَى تَمَلَّلْ فَ: .. النَّظَرَا كُلُّ لَوْنٍ يَتَبَدَّلْ فَ: الْبَصَرْ
وَتَوَلَّى لِلْوَانِ فَ: النَّظَرْ .. تَتَرَاقَصْ كُلُّهَا وَالْأَفْكَارْ أَحْيَارَا
حَبَّاتِ الْبَلُورْ .. أَوْ جَوْهَرْ .. أَوْ الْيَاقُوتْ وَالتَّبَرَا أَوْتَقْ .. وَلِادْرَارْ
فِي سَايِرِ الْأَوْرَاقِ ذَا لَشَجَرْ .. وَعَنْ وَرِيقَاتِ كُلِّ زَهْرٍ أَوْ نَسْرَا
وَشَعَى ضَيِّ الشَّمْسِ كَالسَّبَايِكْ .. تَنْقُذْ مَنْ كُلِّ جِيهٍ مَا بَيْنَ غُصَّانِ الْكُثَارْ
وَمَا عُلَّ الْأَوْرَاقِ مِّنَ الدَّرْ .. يَتَبَارَقُ بَيْنَهَا وَالْمَطَرْ هَمَارَا
يَأْمَنُ شَافَ الشَّمْسِ وَالشَّتَا فَ: .. رِيَاضَاتِ الْوَرْدِ وَالزَّهَرِ وَالنُّورِ أَوْ الْإِنْوَارْ
حَالَتْ صَحْوًا فَ حَالَتْ الْمَطَرْ .. وَالْمَاصَافِي شَرِيقَ وَالْكُونِ مَنْسَارَا
شَوْفْ دَمُوعَ الْفَرْخِ عَنْ خُـ .. دُودِ الْحَرَجَاتِ مَنُورَا أَشْرِيقَا مَن دُونِ غَيَارْ
مَا فِيْهَا لَا حُزْنَ لَا كُـ .. وَالْدُّنْيَا شَارِقَا يَمِينِ أَوْ يَسَارْ

ركز فقط كما لا شك قد لاحظ القارئ الكريم على قطرات المطر ، وهي تبدو عالقة بأوراق الاشجار وكتتها : حبات البلور ،
أو جواهر ، أو الياقوت والتبرا أو تقول درار وتسلل أشعة الشمس من بين الخمائل والاعصان لتنعكس على تلك القطرات

فتحولها الى أحجار كريمة ترسل الالوان الزاهية البراقة ، التي تتراقص أمام الناظر وفق حركاته الخفيفة التي قد لا يحس بها .

أما المقطع الثاني يصرفه بكامله في التعجب ، الماء لا لون له ، ويلون كل الورود والازهار ، الماء لا عطر فيه ويعطر كل هذه الرياحين ... وهكذا ... وهكذا ... الى نهاية المقطع .

شَوْفُ حَرَّاجِ الْأَرْضِ كَالزَّرَادِي ، وَتَأْمَلُ فِي رَكْبِ مَهْمَا لَا عَلَلَّ تَحْتَ أَرَا
كَيْفَ حَتَرَتْ أَنْفَ : مَا ظَهَرَ وَذَهَلَتْ أَوْتَهَتْ كَيْفَ تَاهُوا شَعَارَا
يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلْوَانِ كَيْفَ حَتَّى لَوْنُ الْأَزْهَارِ
زَرْقٌ وَبَيْضٌ وَصَفَرٌ وَالْأَحْمَرُ وَالْوَانُ كَثَارُ مَا تُوصَفُ بِيَشَارَا ؟
يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلْوَانِ كَيْفَ حَتَّى غَلَّتِ الْأَشْجَارُ
فَ : الْوَانُ اللَّيْ مَا لَهَا أَحْصَرَ مَا بَيْنَ أَوْدَاقِ فَ : الْغَرَّاشُ الْمَخْضَارَا ؟
وَالْبَرْقُ قُوقَ أَمْعَا الْعَنْبِ مَآوِي وَالتَّقَّاحُ أَوْنَجَاصُ مَتَبَضَّعُ فَ : التَّشْبَارُ
وَالرُّمَّانُ مَجُوهَرُ آيْتَهَرَ وَاللَّيْمُونُ شَنَّانُ أَقْيَاسُ غِبَارَا
مَنْ يَخْبِرُ غَيْرُ كَيْفَ حَتَّى يَخْتَالِفُ فَ : اللَّوَانُ كُلُّ مَارَاتِ ابْصَارُ
أَوْفَ : النَّوْعُ الشُّوْفُ النَّظَرُ أَوْفَ : الطَّيْبُ خَلَاصُ طَيِّبَا حَيَّارَا ؟
حَقُّ الْحَقِّ أَصَاحُ رَأَاهُ مَا كَايْنُ غَيْرُ اللَّهِ صَانِعُ أَوْبَادَعُ مَا يَخْتَارُ
سِرُّ اللَّيْ الْمَالِكُ الْأَكْبَرُ جَلُّ جَلَالِ الْجَلِيلِ فِي كُلِّ إِشَارَا

وهكذا دخل بنا بنو بن الصغير الى التوحيد من أحد أبوابه الواسعة ، باب الإبداع الموصول الى المبدع . أي أنه ركب وصف الربيع للوصول الى التوحيد ، وكذلك فعل بن سليمان من قبل ... كتب ربيعية في عشرة أقسام ، خصص النصف الاول لوصف الربيع ، والنصف الثاني لتعجيد الله ، والثناء على رسوله .

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَّاحُ يَرْقُمُ الْفُلُكُ رَقَامُ الرُّعْدُ فَ : الْمَلَامُحُ
وَالْبَرْقُ بِحَسَامُو يَبْدُو شَجِيعُ الْكَفَّاحُ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَا قَلْبُ الْغَضَا امْجَرَحُ

وَالرَّعَادُ اِيْزَكَمَّ طَبَلُوْا عَلٰى الْوُغٰى صَاَحُ حَمَلٌ جِيْوشُوْا ثَارَ جَمِيْعٌ كُلُّ نَاصِيَحُ
وَالْمَطَرُ يَرْسَلُ لِلْيَبِيْدَا عُلُوْمُ الْقَرْحُ كَايْفَرَحُ بَقْدُوْمُ الْغَيْثِ كُلُّ قَارَحُ
حَنَ قَلْبِيْ بِيْكَالْغِيَامُ عَنْ التَّجِيْحَا وَصَبَّتْ اَعْيَانِيْ عُلَّ لَخْدُوْدُ دَمْعُ كَافَحُ
هَبَّتْ رِيَّا حُ الْغَيْثُ عَلٰى غَصَاَنِ الْاَدْوَا حُ سَرَهَا يَسْرِيْ سَرٰى الرَّا حُ فِ الْجَوَارَحُ

فرقعات الرعد هي طبول الحرب لجيش تكفل بأخذ ثار كل "ناصح" مما سبق من جفاف ، و "قوس قزح" هي أعلام البشرى بالفرح تلوح بها السماء الى الأرض .

وأخيرا تأثره ببيكاء الغيم من : "التجياح" أي ما اجتاحت الأرض من ويلات الجفاف .

حَيَاتُ الْأَرْضِ مَوْتَهَا مِنْ بَعْدِ الشُّوْمِ كَمَا تَحْيِيْ اَشْوَاهِدُ قُلُوْبُ الْفُهْمَامِ

أي معنى رفيع يمكن في هذا البيت ؟! أية معلومة دقيقة تجمع بين صدره وعجزه ؟! المطر ينزل من السماء فيحيي الأرض بعد موتها ، والشواهد - القرآن ، الأحاديث القدسية ، الفتوحات ، الفيوضات ، الوهب الإلهام - أيضا تنزل من السماء فتحيي "قلوب الفهم" ، ولقد كان شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي رحمة الله عليه يقول : الرحمان بإنارة القلوب بالغيوب ، إذ «الرحمان علم القرآن» ... والرحيم برزالة الكروب والعيوب : «سلام قولاً من رب رحيم»، صدق الله العظيم

كَأَنْتَى فَارَقَاتُ لَبْعَلُكُمْ مِنْ يَوْمِ بَاتَتْ فَ: الرَّهْمُ إِنْ بَانَ الْفَجْرُ اَعْلَامُ
حَمَلَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ بَيْنِ غَشَاهَا نَوْمِ صَبَحَتْ فِي ثَوْبِ عِبْقَرِيْ يَسْحَرُ الْاَنْيَامُ

وَضَعَتْ فَصْلَ الرَّبِيْعِ وَالْخَيْرِ الْقُدَامِ

إنه - ككل فحول الشعر الملحون - ينطلق الى وصف الأرض من التعبير القرآني المعجز [وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ كَرِيمٍ] صدق الله العظيم .

فِقْ مِنْ سَيِّنَتْ نَوْمَكَ يَا غَفِيلُ تَنْظُرُ وَرَدَّ وَزَهَرَ حَمَلٌ طَيِّبُ نَسِيمٍ نَشْرُو
كُلُّ وَرَدًا عَنْهَا "حَبُّ النَّدَا" مِنْجَوْهَرُ عَمَّ بِسْتَانِي لِلْعُشَّاقِ طَيِّبُ زَهْرُو

الجزئية التي وقف عندها بن الصغير الصوري المقطع الاول بكامله ، "حب النداء امجوهر"

كُلُّ مَنْ فَ: الْحَضْرَا بِيْرَاقِي اَتْخَمَّرُ دُونُ مَنْ طَامَسَ شَيْطَانُوْ بِصَارَ فَكْرُو
قُمْ يَا سَاهِي تَنْظُرْ لِي شَمُوسُ الْبَطَا حُ كَيْفَ زَادَتْ حَلَّتْهَا سَرَّ لِلْبَطْطَا حُ

وَسَجَلَجَلٌ يَا قُوتٌ عَلَى كَفِّهِ الْاَدْوَاخُ وَالْاشْجَارُ غَرَايِسُ بَعْصَانَهَا تُصَافِحُ

إنها فرحة اللقاء في مهرجانات الربيع ، الاشجار تتصافح بأغصانها ، غصينات الاغصان وكائناتها الاكف تحمل جواهر حب النداء وسوف يبدأ الغناء ، والرقص وتبدأ التصفيفات ، وتشارك الطيور بألحانها في عرس الارض البهيج .



تَتَصَافِحُ بِالْكَفُوفِ فَرِيَاضُ السُّلُوفَانِ وَتَوَادَّدَ بَعْصَانُهَا الْبَعْضُ بِسُكْرِ بَنِيْنِ
وَتَصَفَّقُ بِالْوَرَقِ تَتَرَاقَصُ الْاَغْصَانُ عَنْ صَوْتِ الْبُوحِ وَمَ لَحْسَنَ وَمَ قَنِينِ
الْاَطْيَارُ صَوَاتُهَا تَرْنُ بِلَا عِيْدَانِ نَعْنِي مَائَا وَ دِيلَ وَ الرَّمْلَ أَوْ لَحْسِينِ
وَالنُّحْلُ يَجَاوِبُ الْاَطْيَارُ بِصَوْتِ حَنِينِ

انشأت الاطيار نغائيمها ف : روض الاشجار عريطت من جريال الطل ف : المنابر
في رياض السلطان الورد مير الازهار ليه أدات البيعا ساير النواور
ما ترى ف : المشور إلا سيوف ورماح مصافين على صف اجداول السوارح
فارغين الكدار موهبين الارواح كنهم همام على جيش جند قالح
كل قائد من قياد الجنود طمّاح وكل حامل لعلام سميتو الفاتح



دَارَتْ بَيْنَ الْكُتَائِبِ عَلُومُ الْخَابُورِ دَارَتْ لِلْمِيرِ مِنَ الْيَرِيرِ جَوَامِرُ
وَالنَّسْرِي نَاشِرُ الْمُضِلِّ عَلَى الْمُنْصُورِ وَهَذَاتُ الْيَاسْمِينِ لِلْمِيرِ نَانِرُ
وَالْخَيْلِي فِي تَبَاعَتِ الْوَرْدِ الْمَعْطُورِ بِمَنَا يَرْضَا وَيَأْمَنُ الْحُسْنُ الزَّاهِرُ
وَنَا مَقْتُونُ فَوْسَطِ الضِّيِّ الْبَاهِرِ

وَالنَّسِيمُ الْفَانِي يَهْدِي غَرَايِمَ الْيَاسِ لِيَه نَاصِبَ طِمَاجِ فَوَاهٍ مِنْ خَمَاسِي
وَالْفَصَانُ السُّكْرَانَا دَالِذَاكَ مِيَّاسُ وَالْعَشِيقُ بَرَزَ لِلْمَعْشُوقِ ف : الْكَرَاسِي

وَالْبَهَا يَسْقِي لِلزَّرْجِسِ صِرْفَ مَنْ كَاسٍ
وَالْبَهْرَ بَاهِي وَالسُّوسَانَ رَاحِفَ جَنَاحٍ
وَالنَّخْلَ بَقْلًا يَدْتَمِرُوتْهِجَ الْاَفْـ رَاحٍ
مَنْ حَرِيرِ السُّنْدُسِ حُلَّ لِإِيهِ كَاسِي
وَالزُّيُوتِ وَتَسِيمِ الْقَيْقُلَانِ فَايَحِ
بِالْعُقُودِ الْمَنْظُومِ مَا كُلُّ جَدَعٍ مَايَحِ

☆☆☆

خَرَجَاتُ لَزْهَوِهَا حَوَادِقُ مَرْدَدُوشٍ
وَقَرْنَقَلُ عِلْدَمِي وَشَاكُوكِي مَرَشُوشٍ
وَمَدِيدَشُ مَنْ مَدِيلُكَ غَايِرُ مَفْـ رُوشٍ
وَصَبِيحُ جَنْدِ الشَّقِيقِ بِالْفَرَحِ فِ : تَشْوِيَشِ
وَالزُّفْرَانَا فِ : طَاعَتِ السُّلْطَانِ بِنَجِيَشِ
لَيْسَ جَنْدُ ثِيَابِ خَابُورِي لِلْفِيـ شِ
وَالْحَرَكَا طَائِلًا وَقَضَاهُ التَّوْحِيَشِ

زَهْرَتِ أَفْنَانِ الرُّوضِ الْيَانَعَا بِالْأَصْنَافِ
مَا تَخَطَّاهَا بَعْلُ مَنْ اجْتَنَانَ بُوَصَافِ
ضَمَّتْ أَشْمَائِلَهَا فِ بِسَاطِ لِإِيهِ تَشْـ رَافِ
مَا بَخَلَّتْ أَهْلَ الْفَنِّ مَخْمَرِينَ الْاجْبَاحِ
وَالزَّهَرَ بِالنَّسَمَاتِ يَقُوقُ عِنْدَ الْاَصْبَاحِ
بَاهِيَا عَذْرَا بَكْرًا سَبَلَتِ السُّوَالِفِ
كُنْهَا حُورِيًّا فَتَنَّا لِكُلِّ عـ رَافِ
لِكُلِّ مَعْنَاوِي صِرْفَ كَوَانِهَا ثَرَادِفِ
بِالْتَمَرَحِيبِ طَلَّقَتْ الْخُوفَ وَالتَّسَارِحِ
وَالْأَشْجَارَ تَرِيَّاتٍ غُلُولَهَا اَمْصَابِ

☆☆☆

ويانتهاء هذا المقطع ، وهو المقطع الخامس من القصيدة ، ينتهي وصف الطبيعة ، الذي كان مجرد مركوب للوصول الى توحيد الله والثناء على رسوله .

هَذَا تَسْخِيرُ مَا لَكَ الْمَلِكُ الدِّيَّانُ
الْعَالَمُ مَا اخْفَا وَمَا نَظَرَتْ الْأَعْيَانُ
مَنْ فَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانُ
تَكْوِينُ الْكَائِنَاتِ بَيْنَ الْكَافِ وَنُونُ
إِلَى قَالَ الشَّيْءُ : كُنْ فِ حِينَ يَكُونُ
لَا جُلُوءَ خَلْقِ الْاَكْوَانِ خَالِي وَالْمَسْكُونُ
وَصَبِيحُ يَبْلِيسَ فِي حَزْنِ سَجَنُوتِ مَرْكُونُ

لَا حَتَّ شَمُوسُ الْحَقِّ عَلَى السَّلَامِ حَلًّا

و من هنا ينتقل بنا الى تمجيد الاسلام ، والثناء على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونحن كما لم ندرج الشطر الاكبر من قصيدة بن اصفير لان مكانه الغرض الاول : "التوسلات" ، كذلك سوف لا ندرج ما تبقى من قصيدة بن سليمان لان مكانه الغرض الثاني "المدائح النبوية" .

ونكتفي بهذين النموذجين ، من القصائد التي لم يكن وصف الربيع فيها الى وسيلة للوصول الى غاية أسمى وأعمق ، لنتنقل الى القصائد التي يكاد يكون وصف الربيع فيها ، غاية في حد ذاته ، القصائد التي تصف الربيع ، من بدايتها الى نهايتها .
من هذه القصائد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الجليلي متيرد :

سَعْدُ السَّعُودِ خَيْرٌ بِخَبَارٍ عَامِنَا عَامَ الْبَرِّكَاتِ وَالْهَنَاءِ عَامَ الْخَيْرِ

مَنْ بَرَكْتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَى بَاهِي الصُّورِ

والشريف بنعلي :

نَادَا وَقْتُ الزَّمَانِ لِلنَّظَرِ وَالنَّظَرُ فَيَا يَوْمَ الرَّبِّيعِ تَجَارَا

لَهُ مَا تَزْهَى يَا خُنَّارُ

والحاج الحسن بنشقرن :

هَلَّتْ مَزُونُ الْغَيْتِ عَلَى بَطَاحِ الْحَضِيضِ كُلُّ فَيْحٍ اتَّخَضَ وَرَوَابِسِيلَ فَايَضَ

والحاج ادريس :

الرَّبِّيعُ أَقْبَلَ بِالْفَرْجَاتِ قُمْ نَسْطَابُ طَيْبِ أَوْقَاتِنَا عَلَى نَوَارِ

بِالْبَهَا وَالْكَاسِ أَوِ الْوَتَارِ

ول : بن الطاهر المعروف ب : الشاوي :

اخْضَرَّتْ الْبَيْدَا يَا صَاحِي بِسِيلِ الْأَمْطَارِ جَادَ الْكَرِيمُ بِفَضْلِهِ حَلَّتْ الْبِشَارُ

أما الرياض والبساتين على سبيل المثال ... منها "روض" مريفق .

نَزَّهَ الْبَصْرِ فِ : "رَوْض" خَصِيبٌ فَاحٌ بِنَسَامٍ مَنْ زَهَارَ خَمَائِلِ الْأَغْصَانِ يَا لِفَاهِمٍ

ومنها "عرصة" المسفيوي .

صُولِي صُولِي مَنْ مَحَاسِنُكَ يَا عَرَصَتِ الْأَزْهَارُ فَيْكَ أَتَجَمَّعُوا الْبُكَارُ

وتستام سيدي قدور، وأكثر من "عرصة" للسي التهامي زيادة على قصائد الاصال والبكور، و الدهبيات " والصبوحيات" وكلها في اجواء الربيع... إنما نحن سوف لا نختار من كل ذلك وغيره الا قصيدة واحدة ننهي بها هذا الغرض... ولتكن هذه القصيدة .

هي : جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَصَلِّ الرَّبِيعَ بَرُضَاءَ " للتهامي لدغري . وقد عاصر السلطان المقدس "مولاي عبد الرحمان بن هشام" وتوفي في عهده

هَلْ مَزْنُ الْغَيْثِ وَزَارُ الْعَشِيقِ وَسَقَاءُ بِالرَّحِيقِ مَنْ الْغَيْمِ حَبِيبُتُو سَقَاهَا

لم يقل كما يمكن أن يقول الانسان العادي : " تساقطت الامطار" وإنما جعل المزن " هو المعشوق المدلل ، والارض هي العاشقة الولهانة .

ويتفضل هذا المعشوق ، ويتكرم بزيارة لهذه العاشقة " الارض" فسيقبها الرحيق من "دنان" الغمام .

وكانني بهذه الزيارة جاءت بعد فترة جفاف ، إذ نجده يقول في البيت الثاني "بعد ما ضاقت ، ذاقت والوصال محلاه" وأخيرا... وبعد طول عطش وضما ، ذاقت من كؤوس الغمام .

وَيَعْدَمَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَاهُ وَالزَّرَابِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فُ جِيدُ الْبِيدَا جُوهرُ فُ : مَعْنَاهُ

لم يقل ما يمكن أن يقول الناظم العادي : أصبحت الارض كلها ورود ، وأزهار ، ورياحين" وإنما قال : سَابِكُ فُ :جِيدُ الْبِيدَا جُوهرُ

ف : الارض هنا عادة حسناء . والحبيب يقدم لها هداياه ، وهي عبارة عن قلاند من الاحجار الكريمة .

ونعيد هذه الابيات متصلة :

هَلْ مَزْنُ الْغَيْثِ وَزَارُ الْعَشِيقِ ، وَسَقَاءُ بِالرَّحِيقِ اَمِنْ غِيَامٍ حَبِيبُتُو سَقَاهَا

مَنْ سَدِيمُ الْكُونِ الْعَذِيبِي هَطَلْ مَنْ سَمَاءُ بَيْنَ حَرَجَاتِ الزَّهْرِ فَنَاجَلُو مَلَاهَا

وَقَتْ مَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَاهُ وَالزَّرَابِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فُ : جِيدُ الْبِيدَا جُوهرُ فُ مَعْنَاهُ حَارَتْ عَقُولُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالنَّبَاهَا

مَنْ سَيُوفُ الْبَرْقِ أُوودِقَ الرَّعَادُ فَدَجَاهُ عَاتَقَ الزَّهْرُ بِمُزْنِ الْغَيْثِ مَنْ سَمَاهَا
دَرَجَ الْغَيْمِ الْكَاسُ الْأَرْضُ حَلَّتْ أَفْوَاهُ وَالْبَطَائِحُ مَنْ جَاءَتْ نُوبِتُو الْقَاهَا

إذا كان قارئ القصيدة الملحونة على شيء من الاطلاع ، في الشعر الجاهلي والشعر المخضرم ، والأموي ، والعباسي ،
والاندلسي لابد من أن يتمتع بحقيقة المثل المشهور : "الشيء بالشيء يذكر ..

فإننا مثلاً عند قراعتي لهذه الابيات أذكر ل : (الحسين بن علي الملقب بابن وكيع)

وتمايلت فيه غصــــــــــــــــون قدوده من شرب كا سات العيون الهطل
وأذكر لابن خفاجة

في أبطيح رضعت ثغور أقاحه اخلاف كل غمــــــــــــــــامة مدرار
وأذكر لابي تمام

فسقاه مسك الطل كافور الندى وانحل فيه خيط كل سمــــــــــــــــاء

أبيات كثيرة من المشارق والمغارب تقفز الى ذهني كلما قرأت للممتازين من شعراء الملحون .

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَبِيعِ الْخَيْرِ

تزامن شهر المولد النبوي - في السنة التي كتب فيها .. السي التهامي المدغري " هذه القصيدة .. ولا أرتاب أبدا في أن هذه
السنة هي سنة 1260 هجرية ، التي وافقتها سنة 1850 ميلادية - مع أجمل أيام الربيع ... وكان لابد لشاعر مغربي عربي
مسلم ... أن يبدأ المقطع بالشاء العطر ... على النبي الكريم الذي ولد في هذا الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الخير .

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَبِيعِ الْخَيْرِ مَوْلِدُ حَبِيبِنَا أَحْمَدُ شَارِقُ الْأَنْوَارِ
ضَوَاتُ نَجُومِ الْأَرْضِ بِالْهَلَالِ الْمُنِيرِ فِي وَقْتِ مَنَازِلِ السَّعَادَاتِ مِنَ الْإِبْطَاحِ
بُوجُودِ الزَّمْزَمِيِّ غَنَمْنَا فَرَحَ كَبِيرِ فِي عِيدِ خَضَعَتْ لِيهِ الْمَوَاسِمُ الْكِبَارِ
فِي سَرَوْ مَنْ طَلَّاسَمُو حَارَتِ الْأَفْكَارِ

ويقف مشدوها بين أحضان الطبيعة ، مقتونا بجمال الربيع ... وينبهر ، وتختلط المرئيات التي يرى ، والمشاهد التي يشاهد
بصور أخرى تختزنها الذاكرة ، أو المخيلة فالوان الزهور في الربى الخضر ... والوان الاقق ... وقوس قزح ... كل تلك الالوان
اختلطت في ناظره ب : السباني والشرابي والعبارق وهي أسماء قديمة كانت تطلق على أشياء خاصة بالنساء ، فالعبروق
مثلا وشاح ، والشرابي مرأول ، والسبينية مما يوضع على الرأس ... وكذلك أسماء الاثواب الزاهية "الشُكْرَنْطُ" "لَمْشَجَرُ" عَيْنُ
عَلْجَةٍ "مَشْرِقِيَّة" ، والوان تلك الاثواب "شَمْسُ لَعْنِي" "الْخَابُورِي" "الشَّيْبِي" "عَكْرِي" "فَلَانَصَا" "دَمُ غَزَالٍ" "قَلْبُ حَجَرٍ" "لَيْمِي"
"سماوي" .. الى آخر ما جاء في هذا المقطع .

شُوفَ لِبَطَاحٍ ، لَبَسَتْ الْقَمَاشُ وَالْقَلَايِدُ بِالْعَقِيقِ أَوْعُقَيَانِ وَجُوهَرُو الْوَقَادِ

لَيْسَتْ قَمَائِصُ مَنْ ثَوْبُ الرُّضَا الزَّائِدُ مِنْ مُودَّةٍ مَاعَمَرَهَا خَطَاتُ مِعَادِ
هَالَتْ وَمَالَتْ بِشَسِيمِ الشَّدَا الْبَارِدِ لَاقِحَةٌ بَرَزَتْ عَنْ شَلِيَّاتِهَا فَ : الْاَوْهَادِ
ب : الشَّرَائِبِي ، وَسَبَائِي ، صَبِيهِمْ وَقَدِ وَالْعِبَارِقُ وَسَقَلِي فِي أَحْسَنِ الْمَرَادِ
الشُّكْرُنُطُ لَمْشَجَرِ سَلْبَتِي مِنْ سَمَاءِ عَيْنَ عَلَجَا وَمَشْرِقِيَا عَلَامَتَاهَا
شَمْسِ الْعُشِيِّ وَالْخَابُورِي سَوَايَ وَسَوَاءِ جَاوَرِ الشَّيْبَا وَتَحِيرَ مِنْ نَدَاهَا



عَكْرِي وَقَلَانِصَا وَدَمَ غَزَالُ نَصِيحِ قَلْبِ أَحْجَرَ لَأَنَّ بِالْهَوَى وَعُطِفَ فِ بَطَاحِ
لِيَمِي مَاطَالُ وَالسَّمَائِي فِي تَمْرِحِ بِهِ رَقَصَ بِنَفْسِيحِ بَيْنَ مَسَى وَصَبَاحِ
شَطْحَاتُ مَعَ النُّجُومِ ف : الدُّبُجُورِ شَطِيحِ وَعَلَا تَبَجَّانَهَا الْيَاقُوتِ الْوَضَّاحِ
بَرَزَتْ فِي اِيْزَارِهَا عَلَى كُرْسِي الْاِبْطَاحِ

شَوْفُ هَيْفَاتِ الْوَرْدِ مَا حَرَّهْمُ بِاشْفَارِ خَدَّهْمُ الْعَكْرِي فَ : رِيَاضَتُهُمْ تَائِيَرِ
رَافِدَاتُ سَلَاحِ الْقُضْبَانِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ مَنْ تَجَنَّا تَجَنِّي عَنَّا بَجْدَ جَائِرِ
رَحِمَ اللَّهُ الْأَصْفَهَانِي إِذْ يَقُولُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

قلت للورد مالشوكك يدمي كلما قد أسوته من جراح
قال لي هذه الرياحين جند أنا سلطانها وشوكي سلاحي

ويصف شاعرنا الوردة المتفتحة فيقول :

شَابَّةٌ حَشُومِيًّا خَارِجًا اللَّمَّ رَارِ لَاحَتْ عَلَى الْجِدِّ الْعَبْرُوقُ وَالضَّفَائِرِ

ولقد أبدع ابن المعتز في هذا المعنى .. بل توسع فيه أكثر ..

أتاك الورد محجوبا مصونا كمعششوق تكنفه الصدود
كأن بوجهه لمسا توافست نجوم في مطالعها سعود
بياض في جوانبه احمرا كما احمرت من الخجل الخدود

دَابَلُونُو مَسْفَارْ وَدَبْصُولُو جَارْ مَا عَرَفْ حَقَّ الْجُورَا مَا طَفَا جَمَارْ
وَالرَّقِيبْ مَكْلَفْ مَا بَيْنَهُمْ خَصَارْ مَا حَمَلْ حَمْلْ ثَقِيلْ كَبِيرْ عَنْ سِيَارْ
عَيْنْ هَذَا فِي وَجَّتْ دَ تَطَالِبْ التَّارْ وَلَا مِنْ قَدَا لِلْعَاشِقْ فَ : الرَّقِيبْ تَارْ
شُوفْ كُرْسِيْ هَذِيكَ الْيَاسْمِينْ مَعْلَاةْ فَ : السَّرَايِرْ شَرِبَتْ كَيْسَانْ مَنْ نَدَاها
طَلَقْتُ ضَفَايِرْ مَنْ تَحْتَ الْخَلَالْ مَغْدَاةْ كَيْفْ يَخْفَى النُّهْدْ عَلَى كُلِّ مَنْ يَرَاهَا



مَشْرِقِيَّةٌ فَ لُونَهَا شَلَا يَذْكَارْ حَرَّ قَصَتْ أَخْدُودَهَا عَلَى حُمُرِ التَّعْكِيرْ
بَيْضًا وَمَذْهَبًا وَمَنْ ذَهَبُ التَّشْحَارْ "الْوَرْدِيَا" امْعَا "السَّكْلُمَاسِي" فَ عَدِيرْ
زَهْرُ الْعَفْيُونْ فَوْقَ رَاسُو جَلَنَارْ اكْدَلَا تَوْمَكْدَلَا فِي شَانْ كَبِيرْ

جَنَّبْ كَفِّي انْوَاشُو وَنَزَلْ فَ غَدِيرْ

"زَيْرِقَا" وَشَامَاوْشَامَهَا مَنِيْلْ

"الزَيْرِقَا" هي زهيرة برية زرقاء ، متناهية في الصغر ... وتتكاثر في الاراضي المغفاة ، فتشكل في الربى والبطاح ،
لوحات ولوحات قد لا يحس بروعتها إلا الفنان التشكيلي المستبصر ... شاهد السي التهامي هذه "الزهيرة الدقيقة الزرقا"
وهي تبذع لوحاتها في ناحية ما من أرض الله الواسعة ، فتراث له "وشامة مبدعة ... تدمع الوشم على أطراف الارض ...
كما تفعل "الوشامة" بين النساء ...

"الْغَمَارَة" "السَّلْسُول" "دَالْ وَخَرْطَة" "طَابِعْ مَهْلَلْ" مَشْطَة فَوْق الدَّرْعِينْ

خَالْ وَشَامَة "سَيَّالَة مَسْوَلَا" رُكْمَا فَ : السَّيَّالَة هَمَزَا فَ : السَّاق "رَجُلْ حَمَامَة" وهكذا احتفظ لنا
في هذا المقطع ... بكل أشكال الوشم في كل القبائل المغربية وتلك لعمرى خصوصية من خصوصيات هذا الشاعر الملهم

"زَيْرِقَا" وَشَامَا وَوْشَامَهَا مَنِيْلْ شِي وَشَمْتُو بَ : الْغَمَارَا "وَشِي بَ : سَلْسُول"
شِي بَ : دَالْ وَخَرْطَة "شِي" طَابِعُو مَهْلَلْ شِي بَ : مَشْطَة فَوْق الدَّرْعِينْ وَ "خَطْ مَعْرُول"
شِي بَ : خَالْ وَشَامَا "مَنْ شَافَهَا اتَخَلَّلْ بَيْنْ خَالْ وَشَامَا كَمْ مِنْ عَشِيقْ مَخْلُولْ

شِي عَلَى السَّيَّالَا رَكْمًا وَشِي مَسْـوُولٌ كَمْ عَاشِقٌ بِالسَّيَّالَا رَاحَ مَذْـوُولٌ
 شِي بَ : هَمْزَافَ : السَّاقُ "وَشَامَهَا مَتُولٌ شِي بَرَجَلٌ حَمَامًا فِي جِيدِهَا الْمَسْقُولُ
 شَوْفَ ذَاكَ "الْخِيلِي" خَيْلُو خُصَلَّتْ قُوعَاةُ مَسْرَجًا مَلْجُومًا ضَلَّتْ فِي حَمَاهَا
 كَانَتْهَا قَامِيدَانُ فَحُـوُولُ فَآخَمَ الْجَاهُ وَلَدَ سِيدِي هِشَامَ الْمِيرَ ، وَلَدَ طَهَ

يربط الصورة الخيالية التي تخيلها وهو ينظر الى أزهار "الخيلى" وهي أزهار بزية معروفة - بالصورة الواقعية التي يراها صباح مساء ، جنود الملك مولاي عبد الرحمان بن هشام - وقد امتطت الجياد (في طريقها الى صد غارة أو إخماد فتنة ، ويمثل هذه الاشارات الخفيفة يستطيع الباحث أن يضبط تاريخ الملحن بكيفية لا تقبل الشك فهذا " ولد سيدي هشام" ... وفي قصيدة زهرة :

وَيَدُومُ مَلِكُ سُلْطَانِي عَزَّ أَنْصَارُ بَنَ هِشَامُ التَّايَكُ الْأَشْهَرُ
 دَبَّابُ الْعِيَانِ وَلَدَ الزَّهْرَا

وليس من بين شعراء الملحن ، من لم يؤرخ لنفسه ، إما بمثل هذه الاشارات ، وإما بقصيدة تتويج أو نصر الملك في حياته أو حتى بأحداث وقعت في عصره ووجدناها عند الناصري أو غيره من المؤرخين .

قُرْنُفَلْ هَاجَ ، فَ : طِيبُ نَسْمَا لِلْهِيَاجِ هَيَّجَ لَمْهَاجَ هَاجَ قُوهَامُ الْبَهْجَةِ

سبق أن عرفنا أن هذه القصيدة ظهرت في عهد السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان ، والآن نعرف أنه كتبها بمراكش - ويمثل هذه الاشارات نستطيع رصد تحركات الشاعر - يقول في "زهرة" ، وقد سبقت الإشارة إليها - يَقْطِي سَتْرُو الْبَهْجَةِ الْحَمْرَا "وقصيدة :

شَدَّ أَسِيْدَ رُمْلَانَكُ بِيْدِيكَ زُوجَ مَنْكَ لِیْهَ أَشْ عَلِيْ

كتبها بطنجة ، وفيها أكثر من دلالة ... والساكنة درب القاضي " كتبها بفاس وهكذا ... وعلى ذكر القرنفل ، الذي هَاجَ قُوهَامُ الْبَهْجَةِ أي في ضاحية مراكش يتوقف الشاعر لحظة وليعبر عن حبه لهذه المدينة وهيامه بها .

بَهَجَتْ لَمْتُونُ حُبِّهَا لِلْقَلْبِ غِلَاجُ بُوْجُودُ السُّلْطَنَا وَالْهَنَّا فِي طَهْجَةِ
 خَضْرَا تَضَرَّ طُلُوعَهَا فِي سَعْدِ بَرَاَجُ وَطَلَّاسَمَ سَرَّهَا غَمِيْقَةً عِلَلُ الْحَجَا
 مَنْ دَخَلَ حَمَارَ جَالَهَا عَمْرُوْتَجَا

على رأي المثل : إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار " نكتفي بهذا القدر من التوضيح ونترك القارئ مع ما تبقى من

القصيد حتى لا نفوت عليه فرصة التمتع بإيقاعاتها الداخلية والخارجية وما بين كلماتها وألفاظها من ضل وجرس

شَوْفُ "البها" وَ "الشاكوكي" عَلَيْهِ يَشْكِي
 "الحكم" بَلَطَافًا يَحْكَمُ حَكَامَ تُرْكِي
 بَيْنَ "مَعشوق" وَ "عاشق" كَانَ جَاهُ يَشْكِي
 كُنْ عَاشِقٌ بِصَدُودِ الزَّيْنِ رَاحَ مِنْكِي
 شَوْفُ تَفَاحَاتِ الْعِشَاقِ زِينَهَا تَـأَهُ
 شَوْفُ ل : "الديدي" وَ "الجلنار" خَوْهُ حَيَاهُ
 الْبَهَامَا يَرْفَقُ بِمَحَايِنُو مَنْ شَكَّى
 هَمَامٌ عَادِلٌ يَفْهَمُ مَنْ جَاعِلِيهِ شَتَكَّى
 يَقُولُ لِلْمَحْبُوبِ فَحْكُمُو رَحِمَ مَنْ شَكَّى
 وَالْمَلِيحُ إِلَى يَعْطَفُ كَمْ حَاسِدَتَكَ
 فِي رِيَاضِ الْبَاغِي لَلِّي بِغَابِغَاهَا
 وَالْحَوِيدَقُ ف : الْوَأَنُودُ : "الشقيق" ضَاهَا



شَوْفُ "الجمرا" عَلَى خُدُودِ الْبَيْدَرِ مَاتَ
 تَكْذِي بِخُدُودِ نَائِرَا بَيْنَ الْحَرْجَاتِ
 "خَابُورِي" نَحْتِكِيهِ كَحَوَانِ افْ لَنَعَاتِ
 جَمْرًا ف : قُلُوبُ نَاسِ الْفَرَامِ الْعَاتِي
 وَالطُّفْسُ خَلِيلُهَا مِنْ هَوَاهَا وَأَتِي
 يَخْبِرُ مَنْ هَوَى الْعَاشِقُ فْ أَنْعَاتِي

خَرِيرِيَا خَرِيرَهَا زَهْرًا أَوْقَاتِي

غَالِبَا تَرَكَتْنِي مَقْلُوبِيهَا فْ غَلِيَا
 "بَلْفَجُوجُ" وَأَقْحَوَانُ رِيَاوَف : الْمَحْبَا
 "البهر" يَبْهَرُ بِسَحُورٍ وَيَغِيرُ كَتَبَا
 شَوْفُ "غُنْبَاجُ" زَهْرَ مَنْ كَثُرَ مَا تَرَبَا
 شَوْفُ مَصْلَحَ لِنَظَارِ الْيَعْنُو مِنْ هَوَاهُ
 إِلَى شَطَحَتْ أَحَدَهُ رِيَامُ الْخِيَامِ مَبْقَاهُ
 وَالْعَشِيقُ الْمَعشُوقُ مَا يَزُولُ مَقْلُوبُ
 تَاسُ "يَشْبَةُ" وَدَيْنِ الْخَيْلِ يَوْمَ الْخُرُوبِ
 سَفُورَتُو وَتَحَوَّلُوا بِيَهُ الْجَلَامَدُ تَنُوبُ
 لَيْلٍ وَنَهَارٍ وَمَاهُ عَلَى الدَّوَامِ مَسْكُوبُ
 إِلَى سَمْعِ اللَّهِيْفَاتِ يَهْتَجُوا لِنَافَاهَا
 كَأَيْجُودٍ بِدِينَارُو عَنْ رَضَا رَضَاهَا



الرَّزِيئَاتِ فْ الْبَطَايِحِ لِلزَّهْمَا
 ابْنِدِ الْقُدْرَا مَرْكَمَا سُبْحَانَ اللَّهِ

مَنْ لَيْسَ الْمَلِكُ الْبَدِيعُ مَطَرُهَا زَهْرُ الْحَرَجَاتِ فَ : الْعَفَا نَسْجُو مُوَلَاةَ
 مَنْ حَقَّقَ فِي نَسِيجِهَا بِالْقَهْرِ فَهَـ سُبْحَانَ الَّذِي انشَى الزَّهْرَ وَنَوَّرَ بِهِـ
 كَمْ مِنْ عَشَّاقٍ حَارَّ فِي صُورَتِ مَعْنَاهُ

شَوْفُ هَيْفَاتٍ تَقْطِفُ زَهَارَهَا فَالْأَوْهَامُ كُلُّ بُكَرَا عَمَلَتْ فَوْقَ الْخُدُودِ مَشْمُومُ
 رَافِدَاتُ الْبَارُودِ عَلَى جَنَابِ الْإِنْيَامِ حَادَاتُ الشَّفَرَا فِي سَحَرِ غَنَجٍ مَسْمُومُ
 مَنْ طَمَعَ فَ : الصَّيِّدَاتُ يَصِيئُوهُ بَسْهَامُ فَ : الشَّبَاكُ حَصَلَ حَرْبُ الْبَاهِيَّاتِ ، مَعْلُومُ
 مَنْ لَبَسَ شَيْءٌ نَوَّارٌ مِنْ الْحَرَاكِ وَتَاهُ عَنْ خُدُودِ الْأَرْضِ وَسُبْحَانَ مَنْ نَشَاها
 وَاجِبَ انْحَمَدُوا وَتَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَايِمِ لِكثِيرَةِ رَبَّنَا عَطَاها



جَادِيَا مَحْبُوبِي فَصَلِّ الرَّيِّعَ بَرِّضَاهُ مَا بَقَا غَيْرَ اللَّهِ وَرَاهُ لِلنَّزَاهَةِ



هذه واحدة من ست ربيعيات كتبها "التهامي لدغري" في وصف الطبيعة الحرة الطليقة ، الطبيعية في الربى والبطاح ، في الجبال والسهول ، في الغابات والمروج .. أما ربيعيات الجنان ، والرياض ، والبساتين .. فلقد عرفت منها أزيد من ثلاثين قصيدة ، إنما فيما قدمناه كفاية لنتقل الى الغرض الخامس .



* العِشَاقِي * *

إذا ما سئل رجل الملحون عن "العِشَاقِي" ما هو ؟ لا بد وأن يجيب بأن قصائد "العِشَاقِي" إما أن تكون قصائد دموع ، وإما أن تكون قصائد بسمات أو أنها تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات ، أو العكس ، ويضيف أن "المعشوق" في قصائد "العِشَاقِي" ، إما أن يكون : "موافي" فتكون القصيدة كلها متعة وطرب ، وغبطة وانسراح ، وإما أن يكون : "مجافي" فتكون القصيدة مجرد أهات وحنين ، وأنين ويستدلون على قصائد "الجافي" بمثل قصيدة "الكنوز" .

مُفْدَاكَ "جَافِي" إِلَى جَفِيَّتِي رَسْمِي
مَا زَالَ يَا لَجَافِي يَجْفِي مُرْكَاحَكَ الْوَلِيْفُ
وَتَذُوقُ مَرَايِرَ الْجَفَا وَتَكُولُ أَوَاهُ كُنْتُ
حَتَّى أَنَا جَافِي

أو "ناكر الاحسان" لانتجار

سِيرَ أَنَاكَرَ الْإِحْسَانِ الْإِيَّامُ تُشَيِّطُ وَرَاكَ بِالْقَهَرِ
وَيَبَيِّنُ الْبَرْقَانِ فِيكَ أَمِنْ خَانَ حَبِيبُو

وعلى قصائد "الوافي" ب : راضيا .. ل : بلقاسم :

أَسَاقِي رَادَفَ الرَّحِيقِ اَعْلِنَا الْإِيَّامُ "رَاضِيَا"
يُوجِدُ الرِّيمُ "رَاضِيَا" السُّلْطَانُ رَضَا عَلَى الرَّعِيَا وَالزَّيْنُ اللَّهُ نَاصِرُو

أو الياسمين للحاج ادريس :

طَابَ السَّرُورُ وَتَسِيمُ رَضَاكَ يَفُوحُ كُلِّ حِينٍ وَيَعْطُرُ الرِّيَاضُ أَوْ يَعْْبِقُ بِالطَّيِّبِ مَنْ كَمَا مَكَ
كما يستدلون على القصائد التي تبتدئ بالدموع وتنتهي بالبسمات بمثل قصيدة فاطمة الحاج ادريس ، فهي في شطرها الاول : "جافي"

خَدِّي نَفْرَشُو بِالشُّوقِ الذُّوْكَ الْقَدَامُ

شَوْفِي بَعِيْنٌ لَمَحْنًا فِي هَذَا الْفَلَمِ
مَا كَانَ هَكَذَا ظَنِّي بِمَا بَنَتْ الْكَرَامُ

ولكنها في شطرها الاخير :

جَاءَ الْمِيلَافَ رَأَيْتَ الْهَشَامِي	تَأَوَّيَا تَزُودُ رُسَامِي
تَلَحُّفَتْ فَتِيَابَ رَفِيعَا	وَجَاءَتْ تَتَمَائِسُ كَ : يَا سَامَنْعَمَا
وَمِنْ نَظَرَتْ زَيْنَهَا بَشَامِي	قَلَّتْ مَنْ كَثُرَتْ هِيَامِي
وَأَشْ هَازِي يَقْطَا وَلِلَّ مَنَامُ ؟	عَهْدِي بِالشَّمْسِ كَيْبِلَ فَا : السَّمَاءُ
السَّاعَا لَاحَ نُورَهَا فَا : رُسَامِي	فِي صُورَتِ الْأَدَامِي
وَالْحَبِيبَا تَضْحَكُ حَتَّى تَطِيحُ	وَتَكْـوُلُ أَنَا لَا لِلَاكُ فَاظْمَا

أما العكس ، أي القصائد التي تبتدىء بالبسمات وتنتهي بالدموع ، فهي تكاد تكون معظم قصائد "العشاقى" .

وهذا التعريف بقصائد هذا الغرض ، ربما لا يجادل في صحايه أي أحد ، ولكنه على كل حال ، لا يمس الجوهر . لا من قريب ولا من بعيد ، ومن ثمة لا يلحق بنا إطلاقاً أن نستأنس به في بحثنا . وتدرج القصائد التي يشير إليها ، ونهني غرض "العشاقى" فالمسألة في حقيقتها أبعد من "أفي" و"جاني" فقط . وأكبر من دموع وبسمات فحسب ، المسألة مسألة : هل من تجارب عاطفية صادقة أنتجت الإبداعات الحية الخالدة ؟ أم هل من مغامرات غرامية محمومة أثمرت إبداعات ملتبية ؟

أم أن شاعر الملحون كالمثال أو الرسام يصور الجمال لا كما هو في واقع الحياة ، وإنما كما هو في واقع شعوره ؟

وهذه المفاثن الحسية ، أجمل شعر . على أحلا ثغر ، وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر . على اتحل خصر . أهو مجرد التعبير الذي لا يقصد به إلا التعبير ، أو في أحسن الأحوال التصوير ؟ أم أنه أقل من ذلك بكثير ، إذ لا يعدو تركيب الصور من أوصاف العبارات الجاهزة ؟ ثم ماهو العشاقى ؟ أهو الشعر العاطفي ؟ أم هو الغزل ؟ أم هو التشبيب ؟ أم هو النسب ؟ أم هو كل هذه الانماط ؟

وإذا كان هو كل هذه الانماط ؟ فما هو التواصل الذي يوصلها ببعضها أو الفاصل الذي يفصلها عن بعضها وهي كلها داخل هذا الاصطلاح "العشاقى" ؟ أسئلة كثيرة خطرت وتخطر في خاطري من أوائل الخمسينيات إلى يومنا هذا . وكنت ولا أزال كلما خطر لي سؤال من هذا النوع ، أعود إلى محفوظاتي ، أو إلى ما يحوزني من "عشاقيات" لأراجعها من جديد ، ولا بحث فيها عن جواب السؤال الجديد ، والغريب المدلل ، أن كل الأسئلة التي خطرت لي حتى الآن ، وجدت لها الاجوبة الشافية والكافية ، بل وتزيد بكثير عن الكفاية كما وكيفا إلى حد أنها تلج الصدر وتفرح القلب .

ويعود على بديء : أجيب على السؤال الأول بكامل الاطمئنان : أن نعم في "المشافي" قصائد عاطفية صادقة ، بل أن من شعراء الملحون من عاش تجربة عاطفية واحدة طوال حياته ، محمد بن سليمان مثلاً : ولنجعل من شعره النموذج للملحون العاطفي الصادق ، يقول في داليتة ف : الروح اسبابي خال ف : ورداً .

ويقول عن هذه الوردة : فأتحافي غصن أسماً في رياض عالي من سعدي هذه الوردة هي في أعلى غصن ، من أعلا روض

وفي لا ميتة : غير جيبو ورداً من شبي رياض سورو عالي هنا أيضا وردة وأيضاً في روض محصن سورو عالي يرمز الى هذه المحبوبة بالوردة لا في داليتة ، ولا في لا ميتة ، ولكنه في قصيدة أخرى من : مكسور جناح يرمز لها بالياقوتة :
ابهاوعلاً من البدر ياقوتاً محضياً في جيب السلطان ونعرف أنها هي ، من الحصانة والصون في جيب السلطان والسلطان هنا بمعنى المنعة ، أو ما نسميه بالدارجة "الحجبا والرثيا" هنا في : "جيب السلطان" وهناك في رياض سورو عالي ، وهناك غصن أسماً في رياض عالي ، ويضيف في المثل الأول سعدي

فاتحاً في غصن أسماً في رياض عالي من سعدي

ولست أدري على وجه التحديد هل كلمة "سعدي" بين قوسين ، فنفهم منها الكلمة المقابلة : "من نحسه" أي من سوء طالعاه أن تكون الفتاة التي أحبها في كل هذا الصون ، وأن تكون "عزيزة" بمعنى اللفظ الثلاث ، حتى لا يمكن التوصل إليها بالمرّة أم أنه يعني كلمة : "سعدي" كما هي فنفهم منه أنه لا يحب الفتاة الرخيصة المبتهلة المتاحة باستمرار وإنما من حسن طالعاه أن تكون غير متاحة حتى ولو بقي هذا الحب من غير أمل إلى آخر رمق .

ويصف حاله مع هذا الحب العنيف فيقول :

هاج وجدي وفرغ جهدي مداً معي زادوا سهدي

طالت عليّ ياتشغابي ، هذا الفقداً

كالحمّام الفردي شلاً تغاردي ونا وحدي

بالمحباً جنحان رابي قولوا عمداً

بعد سهدي وتلجي وبردي تناهدي تحمي نشدي

لا ما نبكي طال عذابي هـدي مداً

ويقول في مطلع لاميت

أه من قلبي يشكي ب : الغرام ما هو سالي أو اللي ما يعذّرني هكذا ابحالي ييلاً

غَيْرُ تَارًا بِرُؤْيَى تَرَا أَجْمَارُ هَذَا حَالِي كُلُّ سَاعًا يَأْتِي لِي طَيْبُ ابْحَالِ الْحَمَلَا

ويحدثنا عن محاولاته اليانسة في التقرب الى المحبوبة : والنموذج هذه المرة من قصيدة "الشهدة"

أَمَّا امْشَايُخِي تَحْتَ أَقْدَامِكَ لَا حَتَّ الْعَمَائِمِ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ نَصْرَانِي لَا غَنَاءُ يَلْيَانُ

ويصف لنا حاله بين الناس في نفس القصيدة :

مِنْ غَيْرِ حَالٍ تَوْجِدُنِي مَا بَيْنَ الْأَسْوَاقِ هَائِمٌ

تَرَى نَفِيبًا تَرَى نَحْضَرَ حَتَّى نَقُولَ : سَكْرَانُ

فَ : الْحُبُّ هَكَذَا حَالِي

غَيْرُ سَلَمٍ لِي يَا مَنْ لَا بُدَّ لَهُ وَعَذْرُ

والحق أنه لم يكن يلق القول على عواهنه عندما كان يتقوه بعبارات مثل :

"دَابًّا نَضْرُقُ أَخْيَالِي" "غَيْرُ جِيْتِ أَنْبَرِي" فَ : الرُّوحُ قَبْلَ تَخْرُجَ مِنْ جَسَدِي

فَ : الرُّوحُ اسْتَبَايَ ، خَالَ فَ : وَرَدًا فَلَكَتَنِي بِهِ كَانَ يَحْسُ بِإِحْسَاسِهِ الصَّادِقِ ، أَنْ هَذَا الْحُبُّ الْقَوِي ، الْعَنِيفُ الْمُتَمَرِّعُ سَيُؤَدِّي بِحَيَاتِهِ لَا مُحَالَةَ ، وَكَذَلِكَ كَانَ ، فَلَقَدْ بَكَتْ حَضِيرَةُ الْمَلْحُونِ ، وَلَمَّا يَنْتَهِي الْعَقْدُ الثَّالِثُ مِنْ عَمْرِهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ شَابٍ كَانَ صَادِقًا عِنْدَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ :

قَلْبِي كَبِيرٌ ، مَشْرُوحٌ ، صَغِيرُ الرَّأْسِ فَ : الْوَلَايَمِ

طَبْعِي رَهِيْفٌ فَإِنْ تَوَجَّدَ مِثْلِي وَإِلَيْسَ نُوهَانُ

حَتَّى نَضْرُقُ أَخْيَالِي

عَادَ يَنْدَمُ مَنْ كَانَ فَ : عَيْنِنَا مَكْثَرُ

وكنموذج للقصائد العاطفية الحية ، قصائده الانفعالات الشعورية الصادقة أسجل هنا النص الكامل لقصيدة "الياقوتة" وهي لهذا الشاعر الشاب محمد بن سليمان و "الياقوتة" كجمل قصائد بن سليمان يختلط فيها التجريد بالتشكيل ، ويمتزج للطلق بالمعنى ، ولو أن أهل الملحنين الذين عاصروا بن سليمان - بن علي وغيره - وصلهم شعره ، وأحسوا به واستطاعوا أن يفقهوه - لكان ديوان هذا الشاب ، نقطة تحول هامة في تاريخ الملحنين ، ولكان الملحن اليوم ، في أعلا مراتب فن القول الرفيع ، ويرحمه الله إذ يقول في هذه القصيدة وبحق :

اشْحَالَ عَايِرُونِي بِالنِّتْيَا فَ : الْأَقْوَالُ

الَّتِي بَلَاحُفًا جَهْلُوهَا

حَتَّى الدَّهَاتُ مَا عَرَفُوهَا

عبروه بتحليقاته التي لا تكاد تنتهي ، وبسياحاته التي تتخطى كل الحدود ... وبهذه "الافان" التي لم تكن مألوفة عندهم

يومئذ

ف : زَمَانَهَا غَرِيبَةً مَا جَابُوهَا امثال

هو يقول عن هذه القصيدة : ف : زَمَانَهَا غَرِيبَةً أما أنا فاقول ديوان بن سليمان من ألفه الى يائه غريب في زمانه ، بل

ان بن سليمان نفسه غريب زمانه .

ف : زَمَانَهَا غَرِيبًا مَا جَابُوهَا امثال

وَحَتَّى ف : الزَّمَانُ الْقَائِمَةُ

وينتقل الى "الياقوتة"

الشَّمْسُ مِنْ ضِيَاهَا غَارَتْ

وَالَّتِي يَكُونُ عَقْلُهُ ثَابِتٌ

تَارًا يَقُولُ حَمْرًا

تَارًا سَفْرًا

وَلَوْنٌ فَجْرًا

مَا شِي نَقْرًا مِنَ الْأَصْلِ مَا هِيَ مَطْبُوعٌ

وَلَا هِيَ فَخْرَيْنُ عِنْدَ عَتَمَانِي

نُورِيكَ سُومَهَا ؟! مَا هِيَ مَشْرِيقًا

مَنْ جَنَّتْ رَضْوَانُ

هِيَ عَرَفَا مِنْ بَحْرِ التَّفَافَحِ صَافِي مَجْرَاهَا
ابْنَهَا وَعَلَا مِنْ الْبَذْرِ يَاقُوتًا مَحْضِيًّا فِي جَيْبِ السُّلْطَانِ
وَقَانِي بَ : الرَّافَا بِلَا شَمْعُوعٍ رَسَامِي ضَوَاهَا

ويغرق في ضياء برق الاشراف التي اشرفت عنه من وجهها ، والتي سرعان ما اختفت لتتركه يبكىها في "الشهدة" في اللامية في "الدالية" إلى أن وافته المنية ، إنها "الدراما" الحقيقية لمن يبحث عن "رائعة" مغربية لمسرح مغربي "طبعاً لا أعني "الياقوتة" وحدها ، وإنما أعني "حياة بن سليمان" جملة وتفصيلاً ، حبه المأسوي لهذه الياقوتة أو "الشهدة" أو "الوردة" معاناته مع أهل الملحون في عصره ، وخصوصاً منهم بن علي ولد أرزين القطيمة ، أو الجفوة التي طرأت على علاقته بأهله ونويه ... إصابته بداء تضخم القلب ، لقد انهمر الدمع من أعيني وأنا أكتب هذه الكلمات ، فأتلف بعضها ، وعلى أن أعيد كتابة هذه الصفحة ، فإله وحده هو الذي يعلم ما آلاقي من غناء ، كلما تعاملت مع شعر هذا الانسان

اضْوَي مِنَ الْمَصَابِيحِ فِي دَاجٍ إِلَى كُحَالٍ
وَبَيَّ مِنَ الثَّرِيَّا تَكْـ____ـدِي
وَبَهَا مِنْ "الْبَذْرِ الْمَبْدِي"____
"عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْـ____ـدِي

"الْبَذْرِ الْمَبْدِي" أي الظاهر ، من بدا يبدو ولكنه خشي أن يقول الخصوم "لبذر المبدى" أي الذي في بدايته ، ولا يزال كالشعرة ، فسارع إلى القول "عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْـدِي"

ضَوْأٌ مِنَ الْمُضِيَّاهِ = الشَّمْسُ
فِي صَبْحِيَّـ____
عَلَى الْبَرِّيَّـ____
هَذَا هُوَ كَمَالُهَا وَضِيَّاهَا شَعْشُوعُ
وَالْبَرَقُ الضَّائِي فِي شَرُوقِهَا فَاِنِّي
لَعَقُولُ مِنْهَا فِي شَطْنَا مَدْهِـ____
شَطَّانَتِ الْاَذْهَانُ
يَقُوتَا حَرَا وَكُلَّ ضَاوِي ، ضَاوِي بَضِيَّاهَا

ابْهَا مِنْ الْاِدْرَارِ السَّيَّارِ فِي كَمَالِ
هَانُوا مِنْ الْفَلَكَ التَّامَنِ
هِيَ عَطَانُهُمْ مُحَاسِنُ
وَاللِّي يَكُونُ طَرْفُوْهُ وَاسْنُ
بَعْدَ الْمَنَامِ يَنْظُرُ
سَرًّا مُعْتَبِرُ
بِهِ يَفْخَرُ

حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ كَمَالِ ضِيَاهَا مَفْرُوعُ
وَأَنِيَا شَلَا نَصِيفُ بَلْسَانِي
عَنْدِي طُلُوعَهَا فِي رُبِّيَا عَلِيَا فِي بُرْجِ الْكِيَوَانِ
وَنَجْمُ الدَّاجِ إِلَى ضَوَاتِ يَظْهَرُ فَا : الْفَلَكَ سَنَاهَا



وَفَرَا عَلَيِ الْجَبِينِ ، اللَّيْلُ فَا : وَسَطُوْهُ هَلَالُ
دَعَجِ الْخَطَاظِ زَيْنُ الْقَامَا
صَارِي سَفِينَتُو عَوَامَا
وَلَلْ تَقُولُ غَيْرُ رَخَامَا
لَعَلَامِ لِيْهِ وَقَفَا
زَيْنُ الْخَلْفَا
مَنْ يُوَفِّيَا

يَطْفِي جَمْرَ الْاَشْوَاقِ بِالزُّورِ لِلْمَوْلُوعِ
وَالزُّورُ هِيَ جَنَّتِي وَرَضَوَانِ
وَالْعَطْفُ فِيهِ عَيْشِي وَالْهَجْرُ مَنِيَا وَالْجَفَا نِيَا
وَالْوَجْدُ هِيَ رَاحَتِي وَلَا يَقْلَعُ اِلَى مَلَقَامَا



اَحْلَا مِنْ الشَّهْدِ فِي قَلْبِي وَمَنْ الْمَصَالِ
اَحْلَا مِنْ الْخَمْرِ ف: طَلُوعُو
وَيَعْطُرُو رَشِيفَ ثَبُوعُو
بِمَرَّاشِقُو يَكُونُ قَطُوعُو
نَجْنِي ف: كُلَّ لَحْظَا
وَرَدَّ ف: لَحْظَا
وَحَالُ يَرْضَا
كَتَقَطَا مِنْ اَمْدَادٍ فِي وَرْدٍ بَلَا مَقْطُوعِ
حَاضِيَةُ غَلَامٍ عَلَى الْيَمِينِ سُودَانِي
نُورِيكَ حَلَّتْهُ يَا سَائِلُ زَنْجِيَا جَاتُ مِنَ الْحَبِيَا
لَا بَسَ بَرَنَاطَا مِنْ نَشَاهُ مِنْ سِرِّ الزَّيْنِ اَنْشَاهَا



يَاسِيفُ عَنَتْرَا ف: نَهَارُ يَطُولُ الْقَتْلَا
يَابِتْدُ دَوْلَةُ الْعُلُوِي

يَارْمَحْ حَامَلُو عَلَقَاوِي

يَاتَا جْ عَامَلُو كَسْ رَاوِي

نَهَبْ لِيكَ صَفْ رِي

حَتَّى كُبْ رِي

نَزِيدْ عَمْ رِي

وَلَوْ هَنْتِ بِقِيمَتِي لِيكَ عَطَيْتِ الطُّوعْ

جعلتُ الشطر الأخير بين قوسين لأشير فقط ، إلى أنه من المصاييح التي تلقي بعض الأضواء على ظروف وملابسات تجربة بن سليمان العاطفية . ولو هنت بقيمتي ليكَ عطيت الطوع * . وإذا ما أضفنا إلى هذا الشطر قوله في قصيدة : "الشهدا" "أما أمشاخي تحت قدماك لا حت العمائم" : "مشايخا" "عيران" "ادخيل"

وإشارة من هنا ، وأخرى من هناك وهكذا . وهكذا إلى أن توضحت الملامح ، وظهرت السمات لهذه التجربة العاطفية الحية ولو شئت لجعلت بن سليمان يعود فيحيى حياته مرة أخرى على هذه الصفحات ، تماما كما كان يحيها في واقعه المفجع . إنما لا أحب أن يطغى على حبي له وهيامي به حتى أنزلق إلى الترجمة له وحده من بين كل الذين أتعامل معهم في هذا الكتاب ، خصوصا وأنهم جميعهم شيوخ وأساتذتي وأولياء نعمتي ، رحمهم الله جميعا ، وأحسن إليهم

انْهَبْ لِيكَ صَفْ رِي

حَتَّى كُبْ رِي

نَزِيدْ عَمْ رِي

وَلَوْ هَنْتِ بِقِيمَتِي لِيكَ عَطَيْتِ الطُّوعْ

اَنْتَ مَفْتَا حِي يَا مَسْرَحْ اسْجَانِي

وَيْلَا قَتَلْتَنِي مَا تَقْبَاضْ اَفْدِيَا نَسْعَاوَا الْغَفْرَانْ

دِيكَ النُّظْرَا هِي الْمَرَامُ وَالْتَبَسِيمَا مَا احْلَامَا

★☆☆★

صَبِّحُوا يَغَايِرُونِي بِالنِّهَاةِ: الْاَقْبُ وَالْ

الَّتِي فَ: جِيلَانَا جَهْلُومًا

حَتَّى الدَّهَاتِ مَا عَرَفُوهُمَا

هَذَا تَمَامُهَا وَيَدْوُهُمَا

نَقَمًا لِّكُلِّ جَاسِرٍ

شعروہاجر

راح خاسر

وَالْعَاشِقُ مِنْهَا يَزُوجُ مَوْلَعَ مَلَسَ مَوْعٍ

"العاشق" هنا معناها : "المتنوق" والضمير يعود على القصيدة أي أن المتنوق إذا ما قرأ هذه القصيدة أو استمع إليها يروح مولع ملسوع" ويضيف : "أنا سافرت على اللجوج قرصاني" ، أي خضت بحار المعاني "لا تي منها بكل نفيس" ورجعت ب : الغنائم فرحا مثنياً فرحته بسلام الرجوع ، فرحته بما جاء من ذخائر .

أَنَا سَفَرْتُ عَلَى اللُّجُوجِ قَرَضَانِي

وَرَجَعْتُ بِالْغَنَائِمِ فَرِحًا مَسْنِيًّا قَابِضٌ لِيهِ دِمَآنُ

هَذَا لَهُوَى يَا أَهْلَ الْهُوَى مَخْتَصِرٌ ف : هُوَ هَا

وليس من نافلة القول أن أشير هنا إلى أن مثل هذه العبارة : **أَنَا سَفَرْتُ عَلَى اللُّجُوجِ قَرُصَانٌ** والابيات التي في "الشهدا":

هَذَا شَحَالٌ وَنَا قُرْصَانِي عَاجِزَ الْغَنَائِمِ وَالْيَوْمَ سَاعِدُوا رِيحَ سَعِيدٍ عَلَى

الْوَصُولُ عَوَال

هُوَ رَمَاهُ لِلْمَالِ رَأَيْسُو عُلَّ لَغْنِيمًا صَيْفُطٌ وَيُدُورُ

رَسًا امْخَاطِفُوفَ : الْمَرْسَا وَتَكَلَّمُوا الزَّرَائِمُ

خَرَجُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَالُوا هَذَا الرَّائِسُ فَالَانُ

نَادَا سُرُورَهَا فَالِـي

فِي اسْوَاقِ الْفَرْجَا تَدْخِيرْتُ وَيَشْهُرُ

وإشارات أخرى هنا وهناك ، تفيد أن بن سليمان هو امتداد لسيدي عبد القادر العلمي ، فمثلا "السفينة" "القرصان" خوض بحار المعاني عند سيدي عبد القادر العلمي قبل أن يولد بن سليمان بنصف قرن من الزمان .

"انْفُوصْ عَنْ بَذِيْعِ الْحُسْنِ فَعُمُقُ اللَّجْـوُجُ"

"فَعَسَى إِلَيَّ وَقَفَ لِي دَيْـدَانُ"

"وَجَابَ الْغَنَائِمُ قُرْصَانِي"

"اللجوج" : ليج البحر ، الغنائم : لفنيمة جميلة المعاني ، رائع الصور ، وقد استعمل سيدي عبد القادر "السفينة" و "القرصان" و "البحر" للإيجاب كما استعملها للسلب ، استعملها للنجاح والخروج بالفنائم كما استعملها للفشل ، والضياع .

.....سَفِينَا مَا بَيْنَ مُـوْجِ

مُوجًا تَلُوحَهَا مُوجًا تَرْفَدَهَا

وَلَا قَدْرَ رَأْسٍ يَرُصِدَهَا

غَادِيَا فَاِ الْبَحْرُ وَحَدَهَا

عَلَى جَهْدَهَا

ونفس الشيء عند بن سليمان ، فكما أخبرنا غير مأمرة برجوعه من خوض البحار بالسلامة والفنائم ... أخبرنا أيضا بالويلات التي صادفته

أَنَا رُمِيتُ رَأْسِي فَاِ الْبَحْرُ الْعَاتِي غَائِبٌ لِي سَنِينَ مَا ظَهَرَ

وَقَدْ الْمَرْسَى تَجَارُ كَانَتْ سَنًا

أَنَا سَفِينَتِي كَسَرَتْهَا مُجَاتِي وَالْبَحْرُ يَا كَلْتُ أَصْبَرَ

نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامُ غَرَقْنَا

مَا جِيتُ لِلنَّجَا مَا صَيَّقَطُ أَبْرَاتِي وَعَلَى نَاسِي غَيْبُ الْخَبْرِ

وَحَبَابِي وَمَعَارِفِي تَنْسَا

وكما لم يستعمل سيدي عبد القادر العلمي "القرصان" في الحالات الاخيرة بل اكتفى بـ "الرايس" كذلك اكتفى بن سليمان بـ: "البحريا"

وليس هذا الطرح وحده هو الذي يفيد امتداد سيدي عبد القادر في شخص بن سليمان ، بل هي طروحات وطروحات ، يمتد فيها شعر الاول في شعر الثاني ، زيادة على اللفظة المشعة ، والعبارة الموحية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وزيادة على طرق السير في كل الموضوعات التي يتلقي فيها هذا بذاك ، وزيادة على الكيفية التي يسكب بها كل واحد منهما عصارة قلبه ، وخلصا تجاربه ، ومقارعة الخصوم بقوة ، منطلق ونصاعة تعبير في هذه القصيدة أو تلك ، وفقه الدارجة المغربية في شعر هذا كما في شعر ذاك ، وتوظيف مقولاتها ، ومعانيها وتمثلاتها ... على كل حال نقط اللقاء التي يلتقي فيها بن سليمان بسيدي عبد القادر كثيرة وكثيرة جدا جدا ، وليس من حشو القول أن نشير هنا الى أن عمر بن سليمان لا يزيد عن ربع عمر سيدي عبد القادر إلا بسنتين فقط

وَاللَّهِ الرَّزِينَ مَا نَدُورُ وَلَوْ يَسْخَا بِسِيٍّ فِي طَبَعِ زَمَانٍ
عَشَقْنِي صَافِي حُبًّا وَحَالَتْ الْفَسَادُ مَا نَرْضَاهَا
أَنَا الْمَوْلُوعُ بِالْهَوَى كَيْفَ مَوْلَعٌ بِسِيٍّ مَا عِنْدِي رُقْبَانٍ
غَيْرُ عَذَايَا بِمَشَاهِبِ الْأَضَا تَتَخَبَّطُ فَ: لُضَاهَا
تَخْوِيضُ الرِّيقِ وَالْخَمَرِ فِي شَقَا عَسَلِيًّا مَنْ غَيْرُ الْكِسْفَانِ
هَذِيكَ الدَّاءُ مَنِينٌ تَتَنَقَّلُ مَنْ دَاهَا لَدَوَاهَا
وَالزَّنْجَارُ وَخَلَّ يَمْتَزَجُ وَنَعَصْرُ وَبِيدِيًّا فَ: عِيُونُ الْعَدَيَانِ
وَتَضَرَّتْ الْكُرَّةُ مِنَ الْحُسُودِ قَامَتْ الْأَرْيَاحُ مَعَاهَا
قُلْ هُوَ اللَّهُ "حِصْنُ حَصِينٍ وَقُلْ أَوْحِي" وَأَيَّاتُ "الرَّحْمَنِ" أَنْ
هَذَا الْخَمْسَا هُمَا حُجَابٌ وَسُورَتُ يَاسِينَ وَطَهٌ
وَسَلَامٌ "الْوَهْبُ" وَاهْبُو لَصَنَابِ الْوَهْيِيَّا بَرَجَالُ أَوْ سَنُـوَانِ
ف: رِيَاضُ الْمَعْنَا قَالَ "بَنُ سُلَيْمَانَ" عَقُودُ رَوَاهَا

بدأنا شعر العواطف الصادقة ببعض ما كتبه بن سليمان ، باعتباره في نظرتنا النموذج الرفيع لعينة من الشعراء ، عاشت
العمر كله تجربة عاطفية واحدة وظلت تعبر عنها في كل ما تبدع من روائع : لهويتر - بوزايد - قدور - بن علي - مولاي قدور
البلغيتي وغيرهم .

وننتقل الآن الى عينة من شعراء العشاق لا نكاد نجد شعر العاطفة الصادق عندها إلا في أبيات هنا وهناك ، أو في
أحسن الاحوال قصيدة واحدة تامة كنموذج رفيع لهذه العينة في نظرتنا "الجيلالي متيرد" ، وقد اخترنا من "عشاقياته"

فَاطِمَةُ شَرَعُ اللَّهِ مَعَكَ بَيْنَ الْإِيَّامِ وَأَشْ لَحِيْبٍ يَكَا فِي بَ : الْجَفَا حَبِيْبُـو؟

قد يتغزل فيها ، ويثني عليها الشاء العطر وقد يعبرها ، ويشهر بها لتشهير النخ لا بهم ... سيان عند التنويه بجميل
الحاسن أو التشهير بقبيح المساوي إذا كان النبع هو صدق الشعور والاحساس ، إذ المهم هو حرارة الانفعال عند ما تصل
في هذه الحالة أو في تلك الى التوهج ، بل الى الاشتعال .

يَالِي بِهَوَاهَا دَمْعُ النَّوَاجِلِ سَجَامُ
بَعْدَ حُسْنِ الْعَشْرَا وَكَمَالِ طَيْبِ الْمَرَامِ
بَانَ عَيْبِكَ وَعُشَانِي فَ : الْجَوَارِحُ سَقَامُ
الْمَلِيحُ مُسَاعِدٌ وَمُسَاعَدَاهُ الْإِيَّامُ



أَنَا يَا فَاطِمَةَ حَسَانِكَ مَا تَنْسَاهُ
بَحْنِي بِسِرَّتَا وَلَوْ حَتَّى يَغْطَاهُ
وَنْتَ الْإِحْسَانُ مَا تَلِيْتِي مَنْ نَاسُـو
مَعْيَارُ " الْحُبِّ طَائِعُكَ كَشَفَ انْحَاسُـو
حَتَّى بَيَّانُ مَا عَلَا نُونُ أَسَاسُـو

كَانَ كُنْتِي شَادِي ضِيَالُ
كَانَ كُنْتِي صَارِمَ فُلَالُ
كَانَ كُنْتِي بَدْرُ ف : الْمُنْـالُ
كَانَ كُنْتِي سَرْتِيَا مِنْ سَرُوتِ زَعَامُ
كَانَ كُنْتِي بُسْتَانِ دَكَاتِ فِيهِ الْإِنْسَامُ
كَانَ كُنْتِي بَيْنَ فُحُولِ النَّجَايِبِ مَقَامُ
كَانَ كُنْتِي ثُوبَ الْبُسْتَانِ بَيْنَ لُكْرَامُ
كُنْتِي عِنْدِي لِلنَّاضِرِينَ عَزَّ أَوْزُهُـو
قَبْلَ لَا يَحْفَا هَدَيْتُ بِهِ كَمَ مِنْ رَبِّـو
مَنْ ضِي سُرُورِ امْحَاسِنِي تَهَلَّلَ وَضُـو
لَحْتُ سَرْجَكَ وَلَغَيْتُ عَلَى الرِّضَا رُكْبُـو
مَنْ شَدَايَا فَتَحَ زَهْرُو وَفَاحَ طَيْبُـو
إِلَى غَلَاتِ الْحِطَّانِ أَسْوَارَهَا يَزِيـو
وَجَلَّيْلَ لَحْنَاهَا لِلثَّرَا سَحِيْبُـو

كَانَ سَهْبِي سَتَقْضِي مَنْ حَالَ سَهْوُكَ وَآلِي تَهْتِي التَّيَّةُ تَعْرِكَ أَيَّامُ
نَظْرِي بِمَلَامَحِ الْإِبْصَارِ الَّتِي سَبَقُوكَ كَمَا فَرَّغُوا يَفْرَغُ سَوْفَكَ وَزَحَامُ
سِيرِي حَتَّى يَشْرَبَ عَوْدَكَ بِلْجَامُ

الَّتِي تَرْفَعِي قَدْرَكَ يَصْغُرُ ارْ لَأَذَابُ يَذَلُّ عَلَى كَمَالِ طِيبِ التَّسْبَا
لَا تُصْرِفِي فَ حَبِيبُكَ عَارُ رَدِّي شَيْطَانُ بَلَكَ عَنْ عَيْنِ الْوَدْبَا
الْجَفَا بَعْدَ الْوَصْلِ غِيَارُ صَاحِبُ غَرَضٍ بَيْنَ الْأَصْحَابِ مَا لَوْ صَحْبَا
لَا تَقْلُطِي حِينَ تَنْظُرِي بَيَاضَ الْكَمَامِ عَمْرًا وَقَاتِ أَهْلَ الْفَلَطِ مَا يَطْيِيُو
لَوْ شَرَقَتْ وَلَاحَتْ فَ : الْجَوْ شَمْسُكَ عَلَامُ لَا غَنَا اللَّيْلُ يَنَادِي خَلْفَهَا حَجِيْبُ
لَوْ تَعِيشِي مَا عَاشُوفَ : الزَّمَانُ الْإِفْرَامُ لَا غَنَا مَنْ لَكَبَّرَ يَأْتِيكَ جُنْدُ شَيْبُ
إِلَى حُكْمَتِي وَتَحْكُمْتِي يَفْرَغُ الْإِحْكَامُ سَاعَتِ الظُّلَمِ تَفُوتُ ، وَنَاسَهَا يُغْيِيُو



حَدَّثُكَ وَالْخَدِيثُ لِلْعَاقِلِ تَنْبِيْهُ تَرْكِي صَدَّ الْجَفَا وَجُولِي فَ : أَوْصَافِي
عَرْضُكَ صُونِيهِ ، وَعَيْنُكَ النَّاقِصُ عَطِيْهِ مَحَلُّ مَنْ جَاءَ بِصَدَقٍ وَالْقَوْلُ الْوَافِي
حَافِيَتِكَ بِالْجَفَا وَلَازَلْتُ انْحَافِي

مَا حَدَّثَ لَكَ مَنْنِي هَجْرَانُ يَأْمَنُ لَا فِيهَا خَيْرُ مَنْ شَفَافِي يَكْهَفَا
بَاحَ سَرِّي بَعْدَ الْكُمَامَانِ لَمَنْ نَشْكِي بَجْفَاكَ يَا قَلِيلْتُ لُوفَا
قَالَتْ الْوَدْبَا وَالْعَرْقَمَانِ مَنْ لَا يَحْسَنُ بِأَحْسَانِ مَا يَلِيهِ مَعْرِفَا
بِالْوَفَا وَآفِي مَنْ وَافَاكَ بِكَ يَنْتَعَامُ أَشْ مِنْ جَرَحٍ بَرَامَا عَالِجُو طَبِيبُ
طَاعَتِكَ لَا زَمَّ عَنِّي وَاجِبَا فَ : الْغَرَامُ لَا يَقْطَعُ مَنْ بَهَاكَ السَّاكِنِي نَصِيْبُ

بِالْمُكَارَمِ كَرَمِي ، وَالرَّاحِمِينَ تَرْحَامُ لَوْ بَخَلْتَ الْبُخْلَى لَجَوَادَ مَا أَيَّخِيْبُ —
طَالَتْ الْغُرْبَا زُورِيْنِي بِسَرْعِ الْأَقْدَامِ ضَرَعُ نَاسِ الْجَوْدَا مَا غَرَزَ مِنْ حَلِيْبُ —



مَنْ بَاعَ حَبِيْبَ خَاطِرُو بِالْفِ زَلَّةَ بَاعُو بَيْعَ الْخَطَا بِسُومِ رُخِيصٍ بِخِيْسِ
أَنَا قَلْبِي عَلَى الْمُحِبِّ مَا وَلَّى وَنَتِ قَلْبِكَ كَالْحَجَرِ جَلْمُودٍ يَبِيْسِ
مَبْقَانِي مَنْ جَفَاكَ كَانَعْدَلُ وَنَمِيْسِ

أَشْ قُلْ حَسَانُكَ وَجْهٌ دَاكُ حَتَّى خَالَفْتِي عَاغِدِي بِغَيْرِ نَوِيَا ؟
شَرُّ رَقِيْحٍ أَفْعَالُكَ يَلْقَاكَ مَا يَنْجَحُ مَنْ لَا فِيهِ صَدَقٌ وَلَا نِيَا
فِي نَهَائِتِ مَسْطُورٍ غَنَّاكَ رَدِي نَفْسَكَ لِحَجَاكَ لَا تَكُونُ سَهِيَا
لَا زَمِي مَنْ طَاعَكَ وَلَغِي عَلَيْكَ الْمَلَامُ وَأَشْ قَلْبِكَ وَصَاكَ تَسَاعَفِي رَقِيْبِيَا ؟
لِلصَبْرِ شَدِّي يَا تَاَجَ الْغَوَارِمِ حَزَامُ عَارَ الْأَشْيَاخِ الْعَاقِلُ لَاغْنَا يَهِيْبِيَا

بَيْنَ لِمَحَاسِنَ لِيكَ رَعِيَتْ حَقٌّ وَدَمَامُ لَا غْنَا كُلُّ مَنْ الدَّاهِ الْجَفَا يُجِيْبِيَا
إِلَى قُرَيْبِي مَسْطُورِي جَاوِيْبِي بِسَلَامُ وَأَشْ قَلْبَ الْمُحِبُّوبِ صَفَا عَلَى حَبِيْبِيَا



أُمُولَاتِي إِلَيَّ وَتَيْتِ الصَّفْحَ يَغْمُ نَوِيْتُ بَحْرَ نَارِ شَوْقِي وَغَرَامِي
قَوْلِيْلِي وَأَشْ خَيْرُكَ الْمَنْعُومُ نَتَمُ ؟ هَلْ تَرْجَعُ كَيْفَ كَانَتْ أَمْعُكَ يَا مِي ؟
نُكَارُ الْخَيْرِ قَالَتْ النَّاسُ حَرَامِي

لَوْ تَبِيْعِيْنِي عَلَى لَشَهَادَ حَاشَا نَفْدِيْلِكَ خَيْرِيَا شَبِيْهَتُ عَبَا
كَانَ عَشْقُكَ لِي جَدَادَ مَا لَوْ نَقَطَعَ يَا بُودَلَالُ مَنْ حَيْثُ خَلَا

يَا تَرَى لِلْفَآيِتِ يُعَادُ يَدْفَقُ خَيْرَكَ وَيَفِيضُ كُلُّ يَوْمٍ بِحَمَلًا
بَ : الزَّيَارَا وَلَفَّتَنِي حَسَانُكَ التَّأَمُّ كُلُّ يَوْمٍ يَهَبُ نَسِيمَ الرِّضَا بِطَبِيبُ
فَالْكُدِينِي ، زُورِينِي فِ : يَقْضَا وَالْمَنَامُ أَلَى غَضَبَتِكَ لَقَلْبٍ يَزُوقُ مَنْ غَضِيبُ
عَبْدَا لَجَلِيلٍ يَرَاعِي إِلَيْكَ عَبْدَكَ غُلَامَ لِيكَ طَاعَاً وَالْغَادِرُ رَبَّنَا حَسِيبُ
الْكُذُوبِ أُمُولَاتِي فِ : الْمَذَاهِبِ حَرَامُ قَالَ مَمْلُوكٌ غَرَامَكَ : بَرْدِي لِهَيْبُ

كانت هذه هي قصيدة "فاطمة" أو "الفضيائية" كما سماها فقيده مدرسة الملحون المعاصرة محمد دلال رحمه الله . وهي للجيلالي متيرد المراكشي وقد سبق القول غير ما مرة : أنه كان رحمه الله على رأس شعراء الملحون الذين عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله .

والقصيدة كما لا شك لاحظ القارئ الكريم . تعبر عن تجربة عاطفية صادقة ومن شيوخنا من قال عنها : أن الشاعر يخاطب فيها زوجه الغضوب ، ومنهم من يضيف أن فاطمة هي أم التجار صاحب قصيدة "نور الحق السامي" وأن هذا الأخير نشأ في أحضان الجيلالي متيرد إذ تزوج أمه التي ترملت في عز شبابها ، وتبنى طفلها ، ومنهم من يقول : لا أنها مجرد "شيخة عياطا" ولع بها وعاش مدة طويلة لا تفوت ليلة من ليالي الأفراح التي كانت تحببها بفنها الحوزي ، وهي نفسها التي قال عنها في غينية من "أغانية" يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ نَلْحَقُ "عَيْطُونَا" طَائِحَا بَ : الْمَدَامُ تَلَاغِي".

أما أنا فمع الرأي الأول ، وعندني من الأدلة ما يدعوه ، إنما الموضوع برمته مكانه ليس على صفحات هذا الكتاب ، وإنما في "الترجمة للجيلالي امتيرد" من كتاب "أعلام الشعر الملحون" وسيصدر قريبا إن شاء الله .

الشعر الغزلي

أما "الغزل" فيكفي . في نظرنا . أن يقول الرجل لامرأة : أن ثوبها جميل وأن الوانها متناسقة ترتاح إليها النفس ، فقد تغزل فيها حتى ولو لم يقصد وعلى هذا الأساس أسوق قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي وهو من المعاصرين للسلطان الجليل الحسن الأول قدس الله سره .

طَابَ السَّرُورُ وَنَسِيمَ رِضَاكَ يَقُوحُ كُلُّ حِينِ وَيَعْطُرُ الرِّيَاضُ أُوَيْعَبَقُ بِالطَّيِّبِ مَنْ كَمَا مَكَ
وَعَرَائِسَ الْأَزْهَارِ يَخْضَعُوا لِبَهَاكَ مَا يَلِينِ وَالْيَاسُ ، قَامَتِكَ يَتَمَخَّرُ وَيَتَبَهَّ مِنْ قَوَامِكَ
وَحَنًا فِ : ضَلَّ عَطْفَكَ يَا مُوَلَاتِي مَزْهِينِ فِ : الْعَزَّ ، وَالْهَنَّا ، وَالسَّطْوَا ، وَالسَّعْدُكَ : غَلَامَكَ
لَاتِيَّةَ لَا جَفَا لَا هَجْرًا الْقُلُوبُ سَالِينِ بِالْفَرْحِ وَالسَّرُورِ أَوْلَمْنَا وَالْخَيْرِ فِي مَقَامِكَ

انت للي علاشاك علل لبنات كاملين
 انت جميع هل لمحاسن لبهاك خاضعين
 انت الساكننا في قلبي ما طالت اسنين
 والسر والطاقا والعقل الراجح الفطين
 والشمس ف: الضحى تستحيا وتغيب في خيالكَ
 ما ريت ف: الغوالي مسرارا باهيا ابخالكَ
 وننت المالكاني من بعد كنت لك ممالككَ
 غزيبا ليقا وعذاب القلب من جمالك



انت جويهرأ مكنونا ف: العقد ائمين
 والجوهرى النفيس الساطع والدروالجرين
 انت الروح والراحا ، عندك خاطري رهين
 وتبسمي بيان الجوهر ف: الخاتم الحصين
 وننت ويقتا والياقوت قليل في امثالك
 قدأم صورتك يتلاشا ، واش قيمتو قبالك ؟
 فكى يسير حسنتك وفدي من زاك في دلالكَ
 وتمالي وتيهي يحلالي كل ما خلالك



انت في وصاف بهاك يحبروا الواصفين
 وغصين القديد وغراب التيت والجبين
 وعيون كعيون الضبي اسرادا مهذبين
 طلبت الشرع من لشفار اللي امخبلين
 والقول ينتهي ، وينحصر الكلام في وصافكَ
 وتجاه حاجبك لمعرق رفعي لي حجابكَ
 ولى انجيو للحق الضبي يغير من عيالك
 والخذ ورد حباشي يجري فيه ما شبابكَ



بك السوانع او الايام او الاوقات زاهيين
 وننتي في حلل وحلي والنهدين واقفين
 والعود ينحرق ودموع الشمعات ساكبين
 هاك الالفاظ تسحر هل الانواق المادبين
 ومباسم السعادة تضحك بسرور هاتفالك
 نحكي لويمنات تقول لمن جايشوف: مالك ؟
 وننت ف: قلب قبا ملوكيا بمارهممالك
 نحكي عقود جيدك ، وحلوا كنها مقالك

من رَأَيْقُ النَّظَامِ الَّتِي شَهِدُوا الْفَايِزِينَ — إِدْرِيسُ بْنُ عَلِيٍّ قَوْلُوا مَا بَيْنَ الرِّيَامِ سَاكٍ
اللازمة أو "الحربة"

صُولِي بِطِيبٍ لِمَحَاسِنِ يَا مَشْمُومٍ كُلِّ زَيْنٍ — أَنَا فَ: عَارِ ذَاكَ الْخَدَّ الذَّهَبِيَّ وَمَسْكُ خَالِكِ



تكتفي قصيدة "الياسمين" للحاج إدريس بن علي كنموذج للغزل في الشعر الملعون إنه مجرد تطف ، أو بلباقة أو أنه النبيل في التعامل مع المرأة أما التقني بالمفاتيح الصبية للمرأة ، ووصفها من رأسها إلى قدميها ، وتصويرها في غلالات لا تكاد تخفى أي شيء من مفاتيحها الجسدية ، فذلك لا يكاد يحصى ، ويكفي أن نجتزئ هذا الوصف من قصيدة "البكي" للنهامي المدغري ، الذي لا يدانيه ، ولا يمكن أن يجاريه أحد في هذا الباب :

سَيَابِي وَنَظَرْتُ الْقُدُودَ تَتَمَّائِلُ — وَتَسَاعَفُ النَّسِيمُ يَمِينُ وَيَسَارُ
وَسَوَالِفُ وَضَفَائِرُ الشَّعْرِ — بِالْيَاقُوتِ الرَّفِيعِ وَنَسُومُ ذِكْيَا
وَالْفُرَا وَجَبِينَ تَحْتَ لَيْلِ الْوَقْرَا — بَرَقَ أَوْهَلَالُ وَتَرِيَا وَالْفَرَارُ
وَالْحَجَبِينَ تَوْنِينَ فَ: السُّطْرُ — عَطَفُوا عَطْفًا عَلَى السِّيُوفِ الْمَسْقِيَا
وَالشُّقْرِ الدَّبَّاحِ ثَقُولُ صَارَمٍ وَهَذَابُ — مَرِيشِينَ فَوْقَ "الْفَنَجِ" السُّحَارُ
وَالْخَدَّ الْعُكْرِي بِلَا عُكْرٍ — وَ"الْخَالِ" غَلَامٍ فِي عَرِيصَا مَسْقِيَا
وَالْمَعَطَسُ سُوْسَانُ رُونُقُ رُكَّابِ السُّلْطَانِ — عَاقَدُوا مِنْ ذَهَبِ الشَّجَارِ
وَالْمَبْسَمُ مَخْتُومُ وَ"الثَّقَرُ" — عَقَدُوا مَصْيُورَ وَ"الشَّفَائِفِ" قَرَفِيَا
وَالرُّكْبَا عَرَاضُ فَ: الْفِيَا فِي مَا يَأْمَنُ حَيَّ مَا يَرُومُ الْفَاشِي حَذَارُ
وَالْعَضْضِينَ صَوَارِمُ السَّقَرِ — وَصَبَاغُ قُلُومٍ وَ"الْكَفُوفِ" حَرِيرِيَا
وَالصَّدْرُ زَخَامُ مَرْمَرِي فَ: مَنَازَةُ — مَلُوكِ أَرْضِنَا الْإِشْرَافُ الدُّكَارُ
وَتَهَيَّدَاتُ "تَفَاحُ" فَ: الشَّجَرُ — وَلِلْ رَمَانِ فِي عَرِيصَا مَخْضِيَا

وَالْبَطْنُ الْمَطَاوِي عَلَى الْمَطَاوِي يَطْوِي قَلْبَ الْعَشِيقِ طَيَّ اللَّأْلُوْثُكَارُ
وَالصَّرَّاءُ بِالْكَاسِ تَنْعَبُ رَرْ وَالْكَاسُ جَرَاتُ فِي طَرَفُوْ حَمِيَاءُ
وَفَخَاضُ اسْوَارِي مِنْ الذَّهَبِ فَ : مَنَازَهُ لِعَمَالِقِ الدَّخَامَا قَوْمُ التَّقْخَارُ
صَانُوْهَا فِي قُبْتِ النُّصَرِ وَلَا تَوْجَدُ فِي قُبُوْبِ السَّعْدِيَاءِ
وَالسَّاقُ اسْقَانِي كَمَا سَقَا قَيْسُ وَأَمْرُو الْقَيْسِ وَبَنَ الْمَلُوحُ مَنْ دُونَ عَقَارُ
سَاقُ احْمَرُ مَنْ وَأَضْحَ اجْمَرُ الْقَدَامُ مَحْنِيَّاتُ زَادُوْنِي كِيَاءُ

هكذا هي قصائد النهامي لدغري "المشاقيا" التي أعرف منها ما لا يقل عن الثلاث مائة قصيدة. تكاد تكون كلها على هذه الوشيرة ، أما الأبيات الصمر ، والأفات اللامعة الملتبهة

أَخْلَعْتُ الْعَذَارُ فَ : مَحْرَابُ الْهُوَى وَصَلَّيْتُ وَمَطَارِبُ الْخَمْرِ تَرْكَعُ لَصَلَاتِي

إدريس بن علي :

دَاسِيْنِي تَحْتَ الْخُلَالِ بَيْنَ أَدْرُوْعِكَ لَمْلَاحُ وَالْأَلْبَاءُ وَالسُّدُوْاحُ

النهامي لدغري :

لِيَا دَرَاْعَهَا بَاتَ وَمَسَادَا وَرِيْقَهَا بَاتَ أَشْرَابِي تَرْشَفُوْ بَطْعَمُ الْبَيْدِ

عبد القادر العلمي

فلا تكاد تنجو منها إلا قلة قليلة من أمثال بن سليمان لعمرى ، بوزايد وأمثالهم .

ولو لم تكن في مثل هذه القصائد ، أشياء تراثية جميلة ، من مقولات ، وتمثلات ومعاني مغربية صميمة ، ونوادر ، وطرائف ، وملح ، ودعابات ، من إبداع الصانع التقليدي .

وحكايات ومغربات كانت رائجة في أوساط الصناعات التقليدية واندثرت ولم يعد لها من أثر يذكرنا بها إلا في مثل هذه القصائد أقول . لو لم تكن في مثل هذه القصائد كنوز وبخائر تراثية لا زلنا ننتبِعُها ونحاول أن نوثقها لناديت بإلقائها جميعها في البحر حتى ولو كنت على يقين تام من أن التعبير في جلها ما هو إلا قصد التصوير ، ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الإنسان الذي لا يقرأ ولا يكتب ، أو لتصوراته .

نعم قد نجد بقية من حياء في القصيدة التي لا يتجاوز كاتبها في الوصف صندرا المرأة كقصيدة زينب ل : بن علي ولد أرزين

رَمَحَ قَدَّكَ دِيوَانِي صَابٌ وَ "السَّوَالِفُ" تَكْسِي ذَاتَ الْكَمَالِ كَمْ مِنْ نُوبٍ
 وَ "الْجَيْنِ" انوارُ تَلَهَبُ
 "حَاجِبِكَ" قَوْسٌ رَمًا تَشَابُ وَ "النَّوَاجِلُ" شَهْلًا بِالسَّحَرِ رِيَّتَهَا مَكْتُوبٌ
 شَيْءٌ مِنَ السَّحَرِ وَزَوْجٌ احْرَبُ
 وَ "الْخُدُودُ" وَرُودٌ فَ: تَخْصَابُ بَيْنَهُمْ "عَنْجُورٌ" فَ تَسْلِيسُ زَانَهُمْ خُصُوبٌ
 وَفَ: "التَّغَرُّ" دُرُّ اللَّائِلِ نَكْسَبُ
 سَرَفٌ: "الْعَتُّونُ" الرُّكَّابُ زِينَتُ "اللُّبَا" وَ "الرُّكْبَا" الْوَافِيَا الْمَسْلُوبُ
 وَ "الْعُضُضُ" بَرُوقٌ فَ: لَحْجَابُ
 وَ "الْكُفُوفُ" اصْبَغَ مِنْ عَنَابُ وَ "الصَّبَاعُ" قُلُومًا بِخَوَاتِمِ الْذَهَبِ مَرْكُوبُ
 وَفَ "الْصَدْرُ" رَمَانٌ امْحَجَبُ

ويقف عند هذا الحد ليقول :

شَيْءٌ مِنْ وَصْفٍ وَصِيْفِكَ جَابُ يَا إِلَهِي مَا تَشَبَّهَ لِبَهَاكَ بِأَهْيَا مَا نُوبُ
 لَافٌ: لَمْدُونٌ وَلَافٌ: عَرَبُ

ومنهم من وقف عند محاسن الوجه ، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الثغر ، ومنهم من اكتفى بأشراقه بسمة ، أو رنين ضحكة بل قد نعتز على أبيات هنا وهناك ، وحتى على قصائد كاملة ، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل الى جمالها المعنوي ، رقة مشاعرها ... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها ، و و و إلى آخر محاسنها المعنوية .

وخير من أعطى العطاء الأوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو سيدي هاشم السعداني رحمه الله
 زَيْنٌ وَتَحْتَ الزَّيْنِ سَرٌّ مَا يُوصَافُ فَ: الْأَشْعَارُ مَا يَتَنَظَّرُ بِنَصَارُ
 زَيْنٌ اِيْحِيْرُ الْاَفْكَارِي زَيْنُ الرُّوحِ الطَّاهِجَا يَخْلِي لِمَحَاسِنَ عَاطِرَا
 وَقَلْبٌ حَلِيبٌ صَفَاوَتْهُ وَبُعِيدَا مِنْ كُلِّ غِيَارٍ وَالرُّوحُ مِنَ التُّطْهَارِ

"هِيَ سَبَّتْ تَطْهَارِي" وَالْعَرَّافُ : النَّفْسُ خَرَقَ عَادَا فَ : النَّظْرَا ظَاهِرَا
لَيْقَا وَمَأْدِبَا "لَطِيفَا دُرَّتْ الْإِبْكَارُ بِكَ يَطْهَجُوا الْإِفْكَارُ
يَا رُوحَ جَمِيعِ أَشْعَارِي يَا سِرَّ مَنْ أَسْرَارَ مَنْ عَمَلُ فَيْكَ أَسْرَارُ ظَاهِرَا
وَالرَّافَا ، وَالذُّوقُ ، وَاللُّطَافَا ، وَأَسْرَارُ كُتَّارُ فَيْكَ أَحْرَتْ الْإِحْسَارُ
وَطِيبَ عَبْقُ عِلَلِ الْقَمَارِي يَامَا وَرَدَّ الْخُلْدُ فِي مَرَشَا مِنْ جَوْهَرِ بَاهِرَا
فَيْكَ كُتَابِي فَيْكَ لَوْحَتِي ، فَيْكَ قَرِيتُ أَسْرَارُ مَا دَرَكُوهَا الْإِحْبَارُ
مَا كُتِبُوهَا فَ : شَطَارِي يَا سَبْحَانَ إِلَهِ أَشْشَاكَ شَهْدَا بِمَصَالُو عَامِرَا
فالمرأة إذن عند السعداني مأودة الخلد في مرشاً من جوهراً وتلك - لعمري - حقيقتها - فسيحان من أنشأها شهداً
بمصالو عامراً"

شعر الغربة

بقي أن أضيف أن 'ملحون الغربة' ويأما في ملحون الغربة ، من عواطف جياشة صادقة - هو أيضا يدخل في غرض
العشاق

شعراء من فاس تَبَاغَا" أو "لَبَّاطَا هاجروا الى مراكش ، والعكس صحيح ... شعراء مراكش "خَرَاذَا" أو "دَرَاذَا" هاجروا
الى سلا وأيضا العكس صحيح .

شعراء من فاس من مكناس ، من سلا "تَبَايَا" كَبَايَا" تَبَارَا" هاجروا الى الصويرة والعصر غير العصر ،
والموصلات غير الموصلات ، فينبعث الحنين الى الامل والاحباب ويكثر الشوق ، وتطول المسافات ، ولا يجد غريب الديار
كمتنفس يروح به عن نفسه إلا هذا اللون من الشعر

سَلَمَ يَا مَنْ لَامَ الْفَرَامُ طَعَنَنِي بَنَصَالُو كَفَ مَلَامَكَ لَا تَلُومَ لَوْمَانِكَ غَيْرُ كُتُوبُ
خَلِينِي كَيْفَ قَضَى وَقَدَّرَ الْمَوْلَى جَلَّ جَلَالُو وَالْوَعْدُ نَوْدِيهِ وَالْقَضَا لَيْسَ عَلَيْهِ أَهْرُوبُ
فِي كُلِّ انْتِهَارٍ نَكُولُ مِنْ غَدَا وَالْوَعْدُ بِمَجَالُو وَيَلَادِي جُوبَا مَدْرَقَا بِشَنَاقَرُ وَسَهْـوُوبُ
عَلَى رَفُودِ عَيْنِي يَظْهَرُ زَلَاغُ وَاجَةٌ تَفَاتُ وَ كُنْدَرُ دَارُ بِالْجِبَالِ الْمَنْصُوبَا
هَمَا يَفْكَدُونِي فِي بَرِّ مَرَامُ جَاوَرُو كِيلِيرَزُ أَوْ صَمْعَا مَقَابِلَاهُمُ مَنْصُوبَا

يَزِيدُ كُلَّ سَاعَةٍ شَوْقِي مَنْ فَقَدَ لَا مَتَى وَتَعُودُ الدَّمْعَا عَلَى خُدُودِي مَسْكُوبًا
 بَاقِي غَرِيبٌ فِي فَاسَ الْبَالِي فَرِيدٌ مَنْ شَفُو حَالِي ؟
 كَانِبَاتُ نَفْسٍ دَاجِي وَدَمَعَتِ الشُّوْقُ عَطِيَلًا
 ايمتى كَـانَ هَذَا الْفُقَرَا
 فَرَقْتُ نَاسِي وَرَجِي الْبَالِي أَوِ اللَّي شَطُنُو بَالِي
 وَالْمَسَايِفُ شَلًا وَطَرِيقَهَا مِنَ الْخَوْفِ طَوِيلًا
 طُولَ زَمَانِي نَسَعَى اللَّهُ لَجَلِيلِ الْعَالِي يَجْمَعُ شَمْلِي بِغَزَالِي
 لِلْمَدِينَا الْحَمْرَا نَمَشِي نَشُوفُ زَيْنَ التَّخَايِلَا
 غَايِبٌ غَايِبٌ هَذَا شَحَالٌ وَأَيَّامُ الْغِيَا طَالُو وَاللَّي رَادَ اللَّهُ فِي زَمَانِ الْغُرْبَا مَكْتُوبًا
 عَمْدًا عَمْدًا لَلَّي غَرِيبٌ كَيْفِي وَقَوَا تَجْزَوَالُو فَ : بِلَادِ النَّاسِ مَا يُصِيبُ الرُّحَا مَتَعُوبُ
 طَالِبُ نَعْمِ الْمَتَعَالِ مَا يُخَيِّبُ قَصْدٌ مَنْ سَعَالُو يَجْمَعُنِي فَ : مَدِينَتِ الْحَضَرِ قَامَانُو مُحْجُوبُ
 وَالْغُرْبَا جُوبًا وَحَرَمًا وَالْوَعْدُ الْمَكْتُوبُ
 مَصْبِرْنِي لِلتَّيِّ وَالْجَفَا وَغَرَامَكَ زَادَ الْقَلِيلُ رَجْفًا
 نَارُ الْفِرَاقِ صَعْبًا وَالْغِيَا وَاعْرَا عَلَى لَحَابِ وَالرِّزْقُ وَالطَّعَامُ يَنَادِي اللَّي سَابِقًا تَكْتَابُ
 وَاللَّي هَوَانٌ مَا يَصْنَفُ الْبَابُ
 طَالِبُ رَبِّي عَالَمُ الْخَفِيَا يَجْمَعُنَا فَ : سَاعَا زُهِيَا
 وَنَقُوسُ لَوْ عَلَى سَلَامَتِ الْغِيَا

هذه أغنية ملحونة السرابا وقد سبق أن تناولناها ببعض التفصيل في الفصل الاول من هذا الكتاب .

قلت هذه أغنية ملحونة كتبها شاعر مراكشي وهو في مدينة فاس ، ولا بأس في مقابلتها بأغنية ملحونة أخرى ، كتبها شاعر فاسي ، وهو في مدينة مراكش .

أُعْشِيرِي شِ يَنْسِينِي فِرَاقُ لُونِاسْ أُعْشِيرِي خَلَيْتُ أَنَا بِلَادَ الْحَضَرِ
 وَبَقِيتُ غَرِيبٌ فِي بِلَادِ النَّاسِ
 أُعْشِيرِي لَا غَاشِي لَا خَيْرَ رَقَاسْ أُعْشِيرِي يَا تِينِي بَ : الْبَرَا يُخْبِرُ
 وَيَهْنِيْنِي عَلَى مَدِينَةِ قَاسْ
 أُعْشِيرِي هِيَ أَرْضُ الْمِيَاهِ وَغَرَّاسْ أُعْشِيرِي هِيَ نَقْمًا لِكُلِّ ضَاسِرْ
 طَاطِيهَا خَادِفَ : الْعُضَا مَدْعَاسْ
 أَعْلِي ضَامِنَهَا سُلْطَانُ أَرْضِنَا عَسَاسْ
 نَاضَ بَحَرُو مَالِيهِ قَيَّاسْ رُوحَ دَاتِي مُوَلَايَ دَرِيَسْ
 لِيهِ طَاعَتٌ مِّنْ دُونِ عَكَاسْ مِّنَ الْهِنْدِ وَشَكَّ الْمَقْدِسْ
 وَالْغَرِيبُ امْلَاحَقْ الْانْقَاسْ تَاهَ عَقْلُو مَا صَابَ وَنِيَسْ
 أُعْشِيرِي وَقْتُ مَا شَفَتْ نُوْكَ الْاقْوَاسْ أُعْشِيرِي تَتَفَكَّرُ نُورَتِ النُّوَاعِرْ
 وَيَذُوْرُ الزَّيْنُ مِّنْ اخْيَارِ النَّاسْ
 أُعْشِيرِي يَظْهَرُ قَاسْ أَجْدِيدُ قَيَّاسْ أُعْشِيرِي مِيرُ الْعَلْفَاتِ وَالْفَنَاضِرْ
 ثَمَّا قَصْرُ وَيَّانَ فَ : الْعَسَقَاسْ
 أُعْشِيرِي شَاهَدَتْ تَفَاتٍ بَيْنَ الْأَغْرَاسْ أُعْشِيرِي يَظْهَرُ بَيْنَ الْجِبَالِ كَنْدَرْ
 زَلَاغٌ عَلَى مَدِينَتُو عَسَاسْ
 أَعْلَى شَوْفُ جَنَّانِ الدُّوْحِ فَ : الْبَطَايِحِ مَاسْ
 وَلَعَشِيْقُ بَ : الْغَرَامُ ثَقَاسْ
 عَلَالُ يَا عَلِي كَمْ لِي تَرْجَا مِّنْ غَرَبْتِي بَاغِي نَتَجَا هَذَا اشْحَالُ كَانَتْ رَجَا

وَلَا قُطْعَتَشِي لِيْـمَـسْ جَرَحَ الْغُضَا بِغِيْرِ مَـسْ
خُوِيَا وَصَاحِبِي طَالِبَ رَبِّي ، نَلْقَى عَشَائِرِي وَأَصْحَابِي ، نَنْسَى أَمْحَايِنِي وَشَغَابِي
مَنْ اللَّيْ نَرَى مَدِيْنَتَ فِـمَـسْ

يقولون : "الشقي للشقي سيب" ، أما الاغنية الثالثة في هذه المجموعة تقول "الغريب للغريب حبيب"

مَبَارَكُ عَيْدِكَ وَأَهْيَا الْبِرَّانِي مَنْ لَأَلُو سَنِيْدُ وَالْغَايِبُ يَتَرَأَّحُ مَعَا اللَّيْ مَتْلُوْفَ : الْغُرْبَا فَرِيْدُ
وَاللِّيْ عِنْدُو مَحْبُوْبٌ صَارَ لِيْهِ وَكِيدُ يَتَفَرَّجُ فَرُوْأ صَبَاحَ الْعِيْدُ
وَأَنَا مَعَكَ تَتَقَفَّرُ

قَرَّبَ لِيْ نَعِيْدُ لِيْكَ اخْبَارِي

وَتَعِيْدُ لِيْ خَبَارُكَ

نَحْكِي لَكَ أَشْ صَارَ فِيْ أَيَّامٍ اَعْدِيْدَا

أَنَا مَتَغَرَّبٌ ... وَالْغَرِيبُ يَرْجَاوُهُ نَاسُوْ

بَعْدَ حِيْنٍ فِيْ أَيَّامٍ سَعِيْدَا

وَأَنَا نَاسِيْ جُوِيَا اَضْحَاوَا

حَايِزُهُمْ وَادُ " غَمَّاتُ "

الْمَكْنَى " صَبْرَا "

وَوَادُ " نَفِيْسُ " مُوَاجَةُ لِلْجَدَارِ

وَجِبَالُ " الدِّيْرُ " وَ " تِيْوْدَارُ "

بَهْجَا وَنَعَمَ بَهْجَا

صَالَتْ بِسُرُوْرَهَا عَلَى الْقَلْبِ لَذِيْدَا

خُودَاتُ كَالْجُـ لَآيِبُ
 غَزْلَانُ يَبْهَوُفَ وَطَيَّانُ الْبَيْـ دَا
 أَنَا فِي فَاسٍ فَرِيدُ
 وَالْحَبِيبَا رَاهَا فِي بَهْجَتِ الْمَتُونِ "الْحَمْرَا" أَرْضُ اجْرِيدُ
 وَالْمَرْكَدُ نَادَا
 وَالْقَدَامُ يَجُولُو بِي عَلَى اللَّيِّ سَابِقُ لِي مَكْتُوبُ
 فِي سَطُورِ التَّنْفِيدِ
 وَسَوَائِعِ الْفَرَاقِ يَفْـ وَتُو
 وَتَرْجَعُوا الْفُرْجَاتُ لَذِيدَا
 أَنَا الْغَايِبُ بَيْتِي وَبَيْنَهُمْ
 عَشْرَ أَيَّامٍ طَرِيقُ
 وَالْمَسَافُ شَلَالٌ وَطَرِيقُهَا
 مِنْ الْخَوْفِ شَدِيدَا
 لَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَشْ بِيَدِي نَعْمَلُ لِحُكَّامٍ لِيهِ
 أَرْجَايَا فِيهِ يَلْمُ لِي الشَّمْلُ ، وَأَنْهَنَا وَلَا نَعُودُ نَكِيدُ
 نَفْرَحُ بِالرُّضَا وَتَزِيدُ
 أَوَاهِي : الْبَـ رَأْنِي ..
 قَرَّبَ لِي النَّوْحُ غَيْرَ أَنَّنَا وَيَّكَ
 شَاقُ شَوْقِي
 وَتَفَكَّرْتُ لَا مَتِي وَتَـ سِي
 وَصَبَحَ جَمْرِي زَنِيدُ يَوْمَ الْعِيدِ

وشعر الغرّيا لا يوجد في الاغاني الملحونة فحسب ، أعني السرايات بل في القصائد أيضا : يَا لَلَّيْ وَيْنَ أَنَا مَا جَابَ لِي
خَبْرٌ تَغْرِيبُهُ الْفَقِيهَ لِعَمْرِي بِتَادِلَةٍ ، وَمَسْقُطُ رَأْسِهِ مَكْنَسٌ :

يَا تَغْرَابِي عَلَى الْغَرْبِ أَتَغْرَابِي غَرِبَةَ بَنِ عَلِي الْمُسْفِي فِي التَّرَاكِ وَأَصْلَهُ مِنْ أَسْفَى تَغْرِيبَتِي غَرْبِيَا فَ ، التَّغْرِيبُ بوزيان
على كل حال أعرف ست قصائد من شعر الغربة ، وما اخترت الاغنية الملحونة "السرايا" إلا لأنها قصيرة خفيفة تيسر
التعامل مع أكثر من شاعر من جهة ، ولأن لها الحق في أن يكون لها مكانها هي الاخرى على صفحات هذا الكتاب .
والى جانب شعر الغرّيا نجد شعر الرحلات رحلة بلقاسم الى سلا :

قَالُوا الْاَحْبَارُ السَّفَرُ يَقْطَعُ اسْلَاسِلَ الْفَقْرِ وَالْجَوْلُ لَا تَنْبِيهُ لِلْفَكْرِ
وَتَزِيدُ دُؤَا يَضْمَارُ وَالرِّزْقُ يَنْبَادِي وَالْمَهْجَارُ
صَحَّتْ الْاَخْبَارُ اِنْهَارُ كِتَابِ سَرِيَتْ لِلْسَّفَرِ قُلْتُ الْجَوْلُ حَدَهَا شَهْرُ
هَائِمٌ بَيْنَ قَفَارِ تَائِيَةٌ فَوْقَ الْيَسِيدِ الْعَامِرِ
مَا عَيْتُ قُرَارُ غَيْرِ انْفَاجِي الْاَمْوَالِ وَالْكَدَرِ حَتَّى جَلَّتْ سَوَاحِلُ الْبَحْرِ
وَمَهْمَاةُ الْاَقْطَارِ رَيْتُ الْمَرْسَاتِ وَقُلْتُ يَا تَرَا
يَانُو الْجُدَارِ وَظَهَرَ حَسَانُ هَمَامٍ مَشْتَهَرٍ عَنْ شَلْيَافِي قُبَيْتِ النَّصْرَ
رَاقِبٌ عَلَى الْاَسْوَارِ بَيْنَ سَفَايْنِ وَيَحْزُورُ زَافَرَا

رحلة التجار الى فاس ، رحلة بوزايد الى تلمسان ، ورحلات ورحلات تحتفظ لنا بالكثير من أسماء القبائل وعاداتها ،
وتقاليدها كما تحتفظ لنا بالكثير من أسماء الانهار ، والعيون ، والآبار الى غير ذلك ، مما يزخر به شعر الرحلات - وهذه
الاسفار ، وهذه الرحلات قد أنتجت لنا شريحة أخرى من شرائح العشاق هي :

"شعر المراسلة"

قَدْ يَكُونُ سَاعِي الْبَرِيدِ مِنَ الْحَمَامِ
لَلَّهْ يَا حَمَامُ الَّذِي عُنْوَانِي مَعَ السَّيْلَامِ

لِلصَّحْرَى يَا وَرْشَانَ تَغْدَالِي وَهْدِي سَلَامَنَا كَانَ وَصَلْتِي لِلْأَشْرَافِ

فَكَدُّهُمْ فَ: الْغِيَابِ

سِيرَ بَكْتَابِي يَا وَرْشَانَ سَلَّمَ عَلَيَّ الْبَدْرُ السَّيَّارُ

وقد يكون مجرد نسيم ، أو ضوء القمر ، بل قد يكون من البشر :

أَمْرَسُ وَلِي لِلَّهِ صَبْرِي هَذَا اشْحَالُ وَأَنَا فَانِي مَهْجُورُ

مَيْسُورُ الْبَيْنِ وَطَالَ صَبْرِي نَوَاحٍ فِي أَبْلَادٍ بَعِيدَا مَهْجُورُ

وَالْهَاجِرُنِي مَا جَابَ خَبْرِي مَا خَفْتُ غَيْرَ نَمْضَا مِنْ قَبْلِ يَزُودُ



صَيِّفْتُ لِلْفَرَّالِ بَرَاتِي مَرْسُولِي مَشَا طَرْدَاتُو

قَرَأَ لَهَا حُرُوفَ ابْيَاتِي قَبْضَاتُ الْكُتَابِ أَرْمَاتُو



هذا وقد رمزوا بالمرأة الى أمنا الارض :

صَبَحْتُ بَارِزَا ف : كَسَاوِي حَسَان دَامَ اللَّهُ جَمَالَهَا وَحَسَنُو

ورمزوا بها الى الكعبة "مليكة" للغرابلي "فضيلة" ل : بن علي ...

"ليلي" للحاج ادريس ، ورمزوا بها الى الحكمة "دامي شرادا" لسبيدي عبد القادر .

ورمزوا بها الى "اشجيا" أو "الإلهام" أو "الموهبة" "حماضت الاسرار" للازموري و ... كما يقول المثل العربي : "ما لا يدرك كله

لا يترك كله" هذا باختصار شديد هو ما اصطلح أهل الملحون على تسميته ب : العشاق

* "الساقى" أو "الخمريّة" *

كل الإبداعات التي تسمى "الساقى" - قصائد الساقى ، سرابات الساقى ، عرويات الساقى هي خمريات والخمريات في الشعر المملوح ، لا تقف عند حد ما يوحى به اسمها ، بل تجوب فضاءات وقضاءات لا نكاد نجدها في أي غرض آخر من أغراض الملاحون .

لوحات الاصال ، نسانم البكور ، ألوان الشفق ، روح الفجر ، التراث ، أي نعم التراث ، هذا الفيض الزاخر من المعاني ، من التمثلات ، من الرؤى ، من التصورات . وقد أفاضه الصانع التقليدي والرجل الحرفي ، على شاعر الملاحون والفنون فن التعبير ، فن التصوير ، فن التشخيص ، فن التجريد ، وتجسيم ما لا يحسم ، وتجسيد ما لا يجسد ... يرحم الله الجيلالي متيرد إذ يقول :

"الزَهْوُ" فَ سَطُورٌ نَظْمُنْ نَـاهُ وَالْهَوَى سَاقِي سَمَيِّنْ نَـاهُ
وَالْوَدْنَ سَمَـأَعَا

وفي بعض النسخ زيادة هي : وَلَا زَيَادَا إِلَّا خَيْرٌ .

فرتين كؤوس الخمرة أذن ... وألوان أنواعها ، وأسماء عيناتها ، وجمال ساقيتها ، والزراعي ، والآراك ، والطنافس ... وما إلى ذلك ماهي إلا من قبيل "الاكسوسوار" في صناعة "السيناريو" أما المحتوى في أبعاده ومرامييه فهو أعلا وأرفع وأسمى بكثير من هذه الشكليات .

وسنكتفي في هذا الغرض بقصيدتين فقط فجر "التهامي لدغري" وفجر عبد القادر العلمي فاما فجر التهامي لدغري فسنورد منه مجرد أبيات من هذا المقطع أو ذاك وأما فجر عبد القادر العلمي ، فسوف نسجل نصه الكامل ، مع تحليل له شامل ساهم به الأستاذ عبد الصادق سالم في ندوة "الشعر الصوفي" بملتقى سجلماصة الثالث للملاحون أيام 8 . 9 . 10 يونيه 1990

يقول التهامي لدغري في نسانم الفجر :

مَا شَمَيْتَ نَسَائِمَ الْفَجْرِ حِينَ أَتَيْتَ تَبَشَّرَ الزَّهْرُ فَ : خَمَّ سَائِلُ الْأَدْوَحِ
وَتَرَشَّ كَمَا مَوْ الْفَائِئِ حَا وَتَغَرَّمَ ادْنَا تَرَّ الذَّهَبُ دُونُ شَحَا حَا

فالنسيم يهب على الاغصان فيحركها ، فيبدأ "الرش" من أوراق الاغصان و"الرش" قد يكون المقصود به "التصفيق" وقد يكون إشارة الى قطرات الطل المتجمعة على الاوراق ... وكيفما كان الحال ف : اللفظ من قاموس الدارجة المهجور ... وكذلك لغراما أي وريقات الازهار التي تتساقط بفعل النسيم وهي هبات الفارح المسرور لمن أدخل عليه الفرح والسرور .

ومن قاموس الدارجة المهجور أيضاً "التوريق" ف: العلامة المحدث يحدث الناس مما جمع الله في صدره فهو دوماً يرتجل حديثه ، أما الفقيه ، المورق* فهو الذي يحدث الناس من كتاب يقرأ لهم بعض صفحاته

والطير المعروف باسم "الباغ" يلقن "لمحضراً" أولاد الطيور - الورد الذي يردونه قبل الشروق في كل صباح وأشرقت الشمس ، أو على حد تعبير عبد القادر العلمي : "وَتَحَقَّقْ ضَلَّ الْوَرَقْ".

وهذه الاشارة الجميلة الى الرياح وهي تكتب على صفحات المياه الساكنة 'تسطور الوهب'

من أجل معجم الدارجة المهجور ، ومن أجل ما في هذه القصائد من وصف الأجواء الأصائل والبكور ، والضحي ... والليل إذا سجي ... والليل إذا يسري ... والصبح إذا تنفس ، من أجل هذا وما شابهه ... ومن أجل ما في هذه القصائد من إشارات صوفية سوف يكشف عنها الأستاذ عبد الصادق سالم بعد لاي ، من أجل هذا وغيره مما لا نريد أن تطيل بذكره ، نحب هذه القصائد ونعتز بها ، حتى ونحن نتخرج في إذاعتها ، أو الترويج لها .

اللازمة:

179

القسم الاول:

شُوفْ هَمَامُ الضُّوْ بَانَتْ عَلُومُو فَا : الْاَفْـسَاقُ
وَنَظَرُ لَشْمُسُو الْبَاهِيَا عَلْلُ لَجْدَارُ شَرِيْقَا
وَطِيَارُ الْبُسْتَانِ كَاتْسِيْحُ لِّلْحَيِّ الْبَاقِي
فُوقُ غُصَانِ الرُّوضِ كَاتَحْنِيْ بِاصْوَاتِ رَقِيْقَا
شُوفْ اُمُّ الْحَسَنِ شَاكِيَا لِّلْحَيِّ الْخَلَاقِي
بَغْرَامُ هَوَاهَا لَانْهَا مَوْلُوعَا وَعَشِيْقَا
وَالْحَرْبِلُ يَنْشُدُ مَايْتُوفُ : طُلُوعُ السَّرِيْقَا
وَالْحَدَادُ اِيْجَاوِيُو بَرْنَا فَا : نَغَامُ لِيْبَقَا
تَسْبِيْحِي السَّوَالِغِ وَالْعَشِيْقُ



القسم الثاني :

مَاسُ الْغُصْنِ النَّايِقُ وَزَخْرَفَتْ لَحْدَايِقُ وَتَحَقَّقْ ضَلَّ الْوَرْدَاقُ
وَالْبُسْتَانُ الْبَاسِقُ وَمِيَاهُو تَدَافِقُ فَفَرَّاسُ نَوَاحُو سَاقَا
فَاحُ الزَّهْرِ الْعَابِقُ وَاصْبَحْ غُصْنُو رَايِقُ وَرَوَاتُ الْغُصَانِ الرُّقَاقَا
طَابَ سُرُورُ الْعَاشِقُ ذَاتُ الْحُسْنِ الْفَاقِقُ يَخْجَلُ مَنْ شُوفُ الرُّمَاقَا
طَارَ غَرَابُ الدَّاجِ وَالْخَمَرُ فَا : الْاَوَانِي بَاقِي
اَهْدِيْ كَاسَكَ لِلْمَلِيْحِ وَخَضَعَ لُو بَتْنِيْدِيْقَا وَفَهْمُ مَعْنَاتُو وَعِيْقُ
رُوي يَا سَاقِي خَمْرُ قَمَصَا لَكَ وَسَطُ رَوَاقِي
وَيْلَا فَاَضُ الْكَاسُ كُلُّ قَطْرَا فَا الْاَرْضُ عَقِيْقَا وَاصْفَا مِنْ الدُّرِّ اشْرِيْقَا

غَدَرْ لِي تَكْمَلْ فَرَحْتِي يَتَحَقَّقْ رَوْنَا قِسِي
 تَرَكْ الْخَمْرَ وَهَاتْ لِي الصُّهْبَا فَ : الْكَاسُ حَقِيقَا وَمَلَا لِي ذَاكَ الْبَرِيْقُ
 كَاتَبْ مُوَلَانَا السَّعِيدُ سَاعَدَ وَالشَّاقِي شَا قِي
 لَا تَسْتَكْرِبْ مَنْ ذُنُوبُ وَلَا تَتَكَلَّ عَنْ تَيْقَا مُوَلَانَا غَانِي شَفِيقُ

القسم الثالث :

رَاحَ اللَّيْلُ وَلَابَقَا إِلَّا وَقْتُ الْمَعَانِقَا كُبْ .. أَرَا .. وَدُخِيَ الرُّوَا قُ
 بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَا أَوِ الْأَطْيَارِ النَّاطِقَا عَمَرْتُ بَلْغَاهَا اسْـوَا قُ
 كُبْ الْخَمْرُ الْخَارِقَا فِي كَيْسَانِ ابْنَادِقَا مَنْ رَاجَ ابِلَادَ الْعِرَاقَا
 تَظْهَرُ خَمْرًا بَارِقَا فِي أَوَانِي شَارِقَا فِي لُونِ سَحِيقِ الرَّمَا قُ

سَرُورُ الدُّنْيَا وَزَهْوُهَا فَ : الزَّيْنُ أَوْ الْعِرَاقُ قِسِي
 وَالصُّوْلَا وَالْعَزَّ فِي رُكُوبِ الْفُرْسَانِ حَقِيقَا وَمَعَ الْفَضَا وَالْوَرِيْقُ
 سَعَدَ زَمَانِي تَاكَ كَوَكْبِي وَتَنَوَّرَ إِشْرَاقُ قِسِي
 هَذَا وَقْتُ سَعِيدِ كُبْ كَاسِ الْخَمْرِ لَعْنِيْقَا لَا تَرْتَا شِي لِلرَّحِيْقُ
 غَنِي بِأَشْعَارِ الْقَدَامِ وَذَكَرْ طَبِيعَ الْعُشَاقِ قِسِي
 مَتَعْنِي فَ : جَمَالَ صُورَتِكَ وَالْحَاطَكَ لَفْسِيْقَا يَا خَدَّ الْوَرْدِ اشْـرِيْقُ
 بَصْنَايِعَ وَسَجْـوْلُ وَالتَّوَاشُّحُ مَنْ شَغَلَ نَوَاقِ قِسِي
 وَاذْكُرْ قُصْدَانِ الْكِبَاحِ وَبِرَاوِلَ فَ تَرُونِيْقَا مَنْ شَغَلَ الْحَبْرَ اللَّيْبِيْقُ

القسم الرابع :

خَلَعَ الدَّاجُ غَسَاقُـو وَرَخَا الصُّبْحُ أَرْوَا قُـو وَلَبَسَ حُلَّتُ الْأَشْـرَاقُ

دَاقُ الْحُسْنِ أَوْثَاقُ وَرَخَا سِرَّ امْسَاقُ وَالزَّيْنُ خَلَقُ وَالْيَاقُ
 دَارُ الْحُبِّ ثَمَاقُ لَمْطَرُزُ بَمْسَاقُ وَخَرَجَ لِاصْحَابِ الْاَشْوَاقِ
 وَأَمَرَ عَنْ عَشَاقُ قُدَّامُوا يَنْسَاقُ وَحَيَا لَعْنُهُودِ الْوَثَاقُ
 امْضِلْ ، وَقَادَاتُ ، وَالْمَزَارِقُ ، وَالتَّاجُ الرَّاقِي

وَكَدَّاشُو ، وَمَحَافُو وَرَايَاتُوفَ : ثَرْوَنِيْقَا وَطَبُولُ الْحَرْبِ الزَّعِيْقُ
 أَمَّا فَاكَمْ مِنْ دَهَاتُ ، وَمَا زَهَقُ مِنْ تَاقِي
 وَمَا بَعْدُ مِنْ اَفْضَالٍ عَنْ لَمَزُوا وَالتَّيْقَا وَمَا عَادَا مِنْ صَدِيْقُ
 مِنْ حَرِيْوُ لَعْصِيْفُ تَاهُ "قَيْسُ" وَ"جَابِرُ لَعْرَاقِي"
 وَالْعَبْسِي لُهُمَا "عَنْتَرَا" تَرَكُو الْحُبَّ فَضِيْقَا وَسَقَاهُ السَّمُ الْخَرِيْقُ
 كِي كَانَ مِنْ اَزْمَانٍ حَاطَ قُدَّامُو عُلَّ لَعْنَاقِي
 الدَّابَّاهُ مَا زَالَ سِيرَتُو عِنْدَ النَّاسِ حَقِيْقَا لَا حَدَّ لِحَرِيْوُ يَطِيْقُ



القسم الخامس :

يَا مَنْ دَرَا تَتَلَاَقَا بُونَجَلَاتُ غَسَاقَا وَكَيُّوسُ مَدَامِي يَنْدُوْقُ
 صَالٍ يَطْبَعُ عَشَاقَا وَكَيَّاسَا وَفَيَاقَا يَجْرَحُ مِنْ شَوْفِ الرَّمُوْقُ
 وَحَنَا زُوْجُ رَفَاقَا وَالصَّهْبَا دَفَاقَا ف : دَوَاحِلُ غُمُقِ الْغُمُوْقُ
 فِيكَ الشَّوْفُ عَشَاقَا بِوَصَالِكَ تَتَلَاَقَا رَاقَا يَا بَذَرَ الشُّرُوْقُ

وَصَالِكَ فُرْجَا الْمَرْسَمِي وَتَزَاهَا لَخْلَاقِي

وَصَالِكَ تَفْرِيجُ لِلْحَجَا ، وَصَدُوْدُكَ تَضْيِيْقَا لَا حَسَاسُ الْجِسْمِ الرَّقِيْقُ

إِلَى تَعَطُّفٍ لِي نَصِيبٌ عَقْلِي وَيَزُولُ حَمَاقِي
 وَيَلَا تَجْفِينِي تَعَوُّدُ رُوحِي فَ : الدَّاءُ قَلِيلٌ سَالَا وَالنَّفْسُ فَ : صَدْرِي تَضِيقُ
 لَا يَنْ طَبَعَ الزَّيْنُ عَارِفُو فَ : نَهَايَتُ تَحْقَاقِي
 رَاكِبٌ عَنْ سَمَحُوجٍ لِلْفَدْرِ سَالَا مَا عَنَدُو حَتَّى صَدِيقُ
 وَوَصَالَا كَمَيَّا لَحَبِيبٍ فَكْرِي ، وَضِيًّا لِفَسَاقِي
 وَمَصَالَاكَ رَافَا وَصَدَّ هَجْرَانُكَ نَارَ حَرِيقَا بَجَمَارِ الضَّالَّاهَا حَرِيقُ
 ☆☆☆

القسم السادس :

صَدْرُ الزَّيْنِ رَوَامَقُو وَرَخَا السَّرُّ اسْتَوَابَقُوا وَحَلَفَ عَارِي لَا تَقَا
 تَظْهَرُ غَيْرُ مَزَارَقُو وَسَيُوفُو وَدِمَاجَقُو يَطْعَنُ ذَاتُ اللَّيْ لَقَا
 وَخَيُولُو وَصَوَاعَقُو وَيَطَالُو وَزَوَاعَقُو مَنْ قَابِلُ جِيَشُو الْقَا
 مَا قَدَيْتُ نَرَأَفَقُو وَلَا طَلَقْتُ نَرَأَفَقُو وَكَيْسُ مَدَامِي سَقَا
 رَاكِبٌ عَنْ شَلَوِي سَرِيعٌ شِيهَانُو مَنْ لَعَنَاقِي
 اِهْمَزْ سَمَحُوجُ وَنَسَارُ خِلَانِي فِي تَشْوِيقَا نَرْتِي بِالدَّمْعِ الدَّفِيقُ
 سَلَّتْكَ بَ : الْخِلَاقُ قُلْتُ لُو : يَا سَلْطَانُ رَفَاقِي
 وَقَفَ لِي حَتَّى نَكَلَمَكَ يَا بَاهِي لَخْلِيقَا هَجْرَكَ بِسِي مَا يَلِيقُ
 رَاقِبٌ فِي وَجْهَةِ سِيرَتِي وَعَشْرَتِي وَمَلَاقِي
 شَاهِدٌ فِي وَجْهَةِ طَاعَتِي وَعَهْدِي لَوَيْقَا وَحَسْبِي خَوْكُ اشْقِيقُ
 هَذَا حُكْمُ اللَّهِ ، الْجَلِيلُ ، الْبَرُّ ، الرَّزَاقِي

يَا سَعْدَاتُ اللَّيِّ سَعَادَتُوفَ : الازل سَيْبَقَا وَرِضَاهُ الْحَقِّ لِحَقِيْقُقْ



القسم السابع والاخير :

مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاسِقًا هِيرِيًّا سَبَاقَا مَا يَرْبِي نَهْجَ الطَّرُوقِ
مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقَا مَا يَبْرَأُ مَنْ فَاَقَا وَلَا يَتَدَانَا لُسُوقِ
حَفْظُ النَّظْمِ فَيَاقَا وَفَرَّاسَا وَحَدَاقَا يُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخَلْقِ
وَالْمِيزَانَ الْيَاقَا وَلَطَافَا وَلِبَاقَا شَلَا يَدْرِیوَا الْوَشُوقِ

أَوْيَحُ الدَّاعِي إِلَى يَذُوقُ فَنَاجِلَ تَرِيَاقِي
زَهْلُوْلِي بِمَخَالِبُو يَمَزُقْ دَاتُو تَمَزِيْقَا وَدَمَاهُ يَتَرَكُو هَزِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ طَاغِي رَاحَ يَشْتَكِي مَنْ ضَرَبَتْ سَعْنَاقِي
وَأَمَّا مَنْ بَاغِي تَرَكْتُ دَاتُو بِالشُّوْمِ حَزِيْقَا وَسَقِيْتُو خَرَقُ الْخَرِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ هُوَ جَحِيْدُفَ سَنَجَانُ غَلَالِي بَاقِي
وَأَمَّا مَنْ هَرَّتْكَالُ غَرَّتُو النَّفْخَا وَالْتَزِيْقَا سَرَطُو الزُّخَارُ الْغَمِيْقِ
وَسَلَامِي لِلْمَاهِرِيْنَ الْارْخَاخِ أَهْلُ التَّحْقَاقِي
مَا هَبْ نَسِيْمُ الْازْهَارِ وَدُكَا بَشُومُ غَبِيْقَا مَهْدِي لَارَبَابِ الطَّرُوقِ



كان هذا هو النص الكامل لقصيدة "الفجر" أو "الساقى" كما يسمونها في حضيرة الملحون . وهذه مداخلة الاستاذ عبد الصادق سالم كما سبقت الإشارة إليها .

وإذ نشبت هنا بكل فخر واعتزاز ، وبكل غبطة وانشراح وارتياح اجتهد هذا الشاب الطيب ، الهادئ ، النبيل ، فلان المحاولة في نظرنا ، وحسب اطلاعنا وتببعنا ، الباكورة الناضجة الاولى في التعامل الصحيح الجاد ، مع القصيدة الملحونة

قراءة في قصيدة الساقى

بقلم الاستاذ عبد الصادق سالم

العنوان : الساقى ، من السقى - الري والارتواء

والسقى والري لا يكون إلا بالماء : " وجعلنا من الماء كل شيء حي " السقى إذن هو " زرع عنصر الحياة في الجسد " : إخراج الحي من الميت " حديث قدسي : " الناس نيام ، إذا ماتوا استيقظوا "

إن العالم كتاب مسطور الهي - الفتوحات / ج / 2 / ص 163

1- في عنوان القصيدة : الساقى

يحمل الكثير من قصائد الملحن الخمرية عنوان "الساقى" مثلما نجد عند الجيلالي أمتيرد، أو عند التهامي المدغري، أو غيرهما ، والساقى في أدبيات الخمرة هو الغلام أو (الجارية) الذي يتولى توزيع الخمر على الندامى . يخاطبه الشاعر في لازمة القصيدة:

رَاحَ اللَّيْلُ وَعَلَّمَ الْفَجْرُ تَاكَ الصَّبْحُ الرَّاقِي يَا سَاقِي
دُرُّ عَلَى الْحَضْرَا بِفَنَجْلِكَ تَرْيَانُ الْمُوسِيقَى وَأَزْرَعُ لِلْسَاهِي أَيْفِيقُ

فإن عبارة "ياساقى" يحافظ المنشدون على ذكرها ، فتشكل شطرا متميزا داخل البيت وتمنح القصيدة وجهة خاصة مفادها ان الخطاب من المرسل (الشاعر) موجه الى المرسل اليه (الساقى) ، فما دلالة هذا المفهوم المركزي في القصيدة ؟ كلمة "الساقى" اسم فاعل من فعل سقى ، أي أروى الغلة والعطش -

فالسقى هو الري والارتواء ، والري لا يكون إلا بالماء ، والماء هو مبدأ الحياة: وجعلنا من الماء كل شيء حي " فالسقى إذن هو : الارتواء وإخراج الحي من الميت .

وفكرة خروج الحياة من الموت الواردة في قوله تعالى : "يخرج الحي من الميت" طالما استغلها الصوفية للدلالة على سلوك الطريق وخوض التجربة، إذ أن التصوف هو إخراج للحياة الحقة ، المتمثلة في الروح ، الجوهر الرباني في الإنسان ، من الجسد أي المادة رمز الموت والجماد ، والصنمية . ولا يأتي هذا للصوفي إلا إذا "قذف الله في قلبه نورا " على حد تعبير أبي حامد الغزالي ، وهذا هو المسمى إشراقا أو إلهاما أو حدسا ...

وعليه فإن مفهوم السقى والساقى هنا يفيد الإشراق والنورانية

2- البنية السردية في القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على خطة سردية ، يبرز فيها تدرج الحالات والحظات الشعرية بشكل سقى ، يتضمن الثوابت الأساسية التي تقوم عليها البنية الدلالية للقصيدة .

تتكون القصيدة من سبعة أقسام ، كل قسم تتقدمه سويرجة (أوناعورة) ، باستثناء القسم الأول . وفي كل سويرجة 4 أبيات ثلاثية الاشطار ، كما أن باقي أبيات القسم أربعة ، تتضاف إليها في نهاية القسم لازمة القصيدة ، وذلك عند الانتشار وبهذا تكون لدينا سبع وحدات شعرية هي التي تشكل الخطة السردية للقصيدة .

ففي الوحدة الأولى : يخاطب الساقى ويتوقف وإياه عند العنصر الأول في المنظومة الرمزية للقصيدة : وهي الطبيعة ...
شَوْفْ أَهْمَامْ الضَّوْ بَانَتْ عَلُومُو قَلَّا فَأَقْبِي وَأَنْظُرْ لَشَمُوسُو الْبَاهِيَا عَلَى لَجْدَارْ شَرِيقَا
هَزَمَتْ سُلْطَانْ لُفْسِيْقْ

وَأَطْيَارِ الْبُسْتَانْ كَتَسْبَحْ لِلْحَيِّ الْبَاقِي فَوْقْ أَغْصَانِ الرُّوضْ كَتَقَنَّ بِأَصْوَاتْ رُقِيْقَا
صَاحَ الْبَلْبَلْ وَالْبَسِيْقْ

ففي الوحدة الثانية والثالثة : يظل عنصر الطبيعة حاضرا ، ويتوجه بالخطاب إلى الساقى لطلب الخمرة . فالعنصر الرمزي الثاني الذي ظهر هنا هو : الخمرة فيصفها ويصف مجلس الطرب المصاحب لها .

مَّاسْ الْغُصْنُ النَّايِقْ وَتَرْخَرْقَتْ أَحْ—دَاقْ
وَأَتْحَقَّقْ ظَلَّ الْوَدَاقْ
وَالْيُسْتَنَانِ الْبَاسِقْ بِمَيَّ—أَهْوَتْ—دَافِقْ
وَادَوَّاحْ أَغْرَاسُو سَيِّ—بَاقْ

إلى أن يقول :

- وَأَرْوِي يَمَّ سَاقِي ...

- غَدْرُ لِي تَكْمَلْ ...

إلى أي يقول في القسم الثالث :

- اسْنَرُورْ الدُّنْيَا ...

- سَعْدِي زَانْ ...

في الوحدة الرابعة والخامسة : ينتقل إلى العنصر الرمزي الثالث : الحب . فمن الحسن إلى الحب ، يصف سلطانه وجبروته وقوة تأثيره ، ومن الحب إلى المحبوب ، يصف قوته ، ويفتح باب المناجاة والتدريج إلى المعشوق .

- دَكُ الْحُسْنِ أَوْ تَأَقُّو
 - دَارُ الْحُبِّ ائْتَمَّاقُو
 - وَأَمْرٌ عَمَّنْ عَشُّاقُو
 - بِمَضَالٍ أَوْ كَدَاتُ
 الى أن يقول :

- سَلَّتْكَ بِالْخَلِّاقُ
 - هَذَا حُكْمُ اللَّهِ الْغَنِيِّ

في الوحدة السادسة والسابعة : يدخل الشاعر لحظة الحيرة بين الخوف والرجاء في الوصال والاتصال ، ليبرر في النهاية السبيل الى ذلك : ضرورة سلوك الطريق، متحديا العوائق المادية الشهوانية

- أَمَدْرًا نَتَلَّاقِي
 - فَيْدُ الشُّوفِ اعْشَاقًا
 - أَوْصَالُكَ فَرَجًا
 الى أن يقول :

- مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاقًا
 - مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقًا
 الى أن يقول :

- وَأَمَّا مَنْ دَاعِيَ اجْهَدْ
 - وَأَسْلَامِي
 يتضمن البيت الأخير في القصيدة الذي يتضمن السلام - على عادة الملحون - عبارتين جديرتين بالانتباه : "أَهْلُ التَّحْقَاقِ"
 "أَرْبَابُ الطَّرِيقِ" ...
 من خلال هذه العجالة نتبين أن العناصر المكونة للمنصوصة الرمزية في شعر الخمرة الصوفية ، تحتويها القصيدة وهي ثلاثة

الطبيعية - الخمرة - الحب (أو المرأة) فما دلالات هذه الرموز ؟ وما هي البنية الدلالية التي توظف القصيدة ؟

3- البنية الدلالية في القصيدة :

ستقف هنا عند المفاهيم الأساسية الثلاثة التي استخلصناها من وحدات القصيدة للبحث في دلالاتها :

أ - مفهوم الحب :

هذه مقولة أساسية ضمن أدبيات التصوف ، بل هناك من الصوفية من يعتبر المحبة حالا من الأحوال أو مقاماً من المقامات ، فلا يوجد صوفي من المتقدمين والمتأخرين إلا وتحدث في الحب والمحبة ، وهذا امر طبيعي لأن التجربة الصوفية مبنية من مبدئها على أساس الحب ، فلو لا حب الله والتعلق به الى درجة الحلول والفناء أو الاتحاد ، لما انقطع الصوفية عن الدنيا وملذاتها لينقطعوا الى الله كلية .

وهنا حديث نبوي يدعم هذا المسمى ويحفز عليه وما يتقرب الى عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه ، وأنه ليتقرب الي بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببت كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ویده التي يبطش بها . إن دعاني أجبت وإن سألني أعطيت .

هكذا تبلغ العلاقة بين المحب والمحبوب اقصى درجاتها وهي حالة التوحد حين يجعل الرضا والقبول من طرف المحبوب ويتحقق الاتصال . فالرضا وهب من الله يمنحه لمحبيه . وهذه حال السعادة القصوى يقول شاعرنا :

يا سَعْدَاتُ اللَّيِّ سَعَدْتُ فِي الْأَزَلِّ سَبِيْقًا وَأَرْضَاهُ الْحَقَّ الْحَقِيْقَ

وهكذا تتبين أن مقولة الحب والمرأة وشبابهما من الكلمات ليست إلا رموزاً يوظفها الصوفي لاداء معاني دقيقة وحالات خاصة

ب - مفهوم الطبيعة :

ما دلالة أن يتوجه الشاعر في مطلع القصيدة الى الطبيعة : شُوفْ أَهْمَامُ الضُّوْبَانَتْ عُلُومُو فَاَلْأَقَايِي ... يتعامل الصوفي مع الطبيعة تعاملًا متميزًا ، وينظر اليها نظرة غير نظرة الانسان العادي اليها . فليست الطبيعة هي ذلك القطاع الذي يتحرك فيه الحسد . وتتحقق المازب والاغراض المادية بل هي - حسب اتجاه صوفي عريض - تجلي لله "الذي أحب أن يعرف بعد أن كان سرا مجهولا ، فخلق الخلق ليعرف" كما قال محيي الدين بن عربي . فذات الله تعالى تتجلى في مخلوقاته على درجات من ادناها (الجمادات) إلى اعلاها (الانسان) باعتباره العالم الصغير الذي انطوى على العالم الكبير

وبذلك تصبح ذات الصوفي بعد أن تتحقق لها الكمالات ، ترى الله في كل شيء : كما قال ابن الفارض .

تراه (أي الله) إن غاب عني كل جارحا في كل معني لطيف رائق بهج

في نغمة العود والناي الرخيـم إذا تألقا بين الحان من الهـزج

لماذا لم يختَر من أسماء الله الحسنى إلا اسمي "الحي" و "الباقى" ؟

فالعلاقة واضحة هنا ، إذن بين رمزية الطائر الى الخلود والبعث وبين مفهومى الحي / الباقي ، حالة غيبوية أو سكر . والسكر كناية عن الوجد الصوفي " وما تقابله من معاناة في طلب المحبوب ، وهذه هي الحالة التي تجعل عقدة لسان العارف تنفك فتبوح الذات بأسرارها وتنطق العبارة بالإشارة ، لأن العبارة مهما أفصحت وبانت لا تقوى على استيعاب المعطى الحاصل ، ألا ، هو انكشاف الحقيقة ، فتخرج اشارات مختصرة ، وعبارات مبهمة وهي ما يعرف في اصطلاحهم بالشطح الصوفي .

أما الحالة الثانية فهي حالة الصحو أي الارتباط بالواقع العيني والمادي ، وهو عالم مرفوض من طرف الصوفي وهكذا فالخمرة التي تحدث حالة السكر ، ليست شيئا آخر غير الحقيقة التي تشرق في قلب العارف ، فتدخله في غيبوية ، يتنوق فيها نشوة السكر وحلاوة الوصال فهذا ابن الدراج السبتي يقول :

ألا كل عقل لا تخامره الخمر — فمعناه من معنى اشارتهم فقصر
اضاعت كمشكاة غدت في زجاجة — تلالى اشراقا كما يشرق الشهر —
خلعت عذارى في لدا نذ شربها — فلا خير في اللذات من دونها ستر —
سمحت لنفسى كي افوز بنيلها — ومن خطب الحسناء لم يغفلها المهر —

أما الاواني التي يتناول فيها شاعرنا الخمرة ، وقد ذكرها في أسماء متعددة : الفنجل (الفنجان) / الكأس / الابريق / ... فإنها لا تخلو هي الأخرى من إيماد رمزية ، فالكأس للاستمتاع بنعيم الجنان ، يقول تعالى في سورة الواقعة : " يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين " .

ويقول في سورة الانسان : " وسقاهم ربهم شرابا طهورا " .

(وهكذا نجد الصوفية ينتشون بالنعيم الذي يشربونه خمرة ورحيقا وصهباء .)

يقول العلمي في القصيدة نفسها :

غَدَرُ لِي تَكْمَلُ فَرَحَتِي يَتَحَقَّقُ رُونَا قِي — تَرَكَ الْخَمْرَ وَهَاتِلِي الصَّهْبَاءَ فَالْكَاسُ حَدِيقًا
وَأَمْلَأُ لِي ذَاكَ الْبَرِيْقَ

الصهباء هي الخمر ذات اللون الأبيض تخالطه خمرة . فهي خمرة جيدة ونفيسة ومؤثرة فهو يفرق هنا بين مستويات في جودة وفعالية الخمرة ، كما يفرق الصوفية بين درجات في الحقيقة . فهناك الحقيقة التي هي من شيم الخاصة وهناك الحقيقة الحققة وهي من شيم خاصة الخاصة أي الاولياء والانبياء

4- بنية النور / الظلام :

بعد أن تبيننا العناصر الرمزية الأساسية التي تتشكل حولها القصيدة وهي : الطبيعة - الخمرة - المرأة - نتوقف لاستخلاص البنية التي تنظم هذه العناصر الرمزية في بناء نسقي محكم يعكس رؤية خاصة للحقيقة .
ووقوفنا عند المعجم اللغوي الذي وظفته القصيدة ، نجد مفهومين توزعا فضاء النص كله ، يتمظهران في أشكال مختلفة حسب كل عنصر من العناصر الرمزية المشار إليه ، هذان المفهومان اللذان يشكلان البنية العميقة للقصيدة هما :
مفهوم النور ومفهوم الظلمة والظلام .

أ - مفهوم النور : والعلامات التي تعبّر عن مفهوم النور في قصيدة نذكر منها : ورد أولا في المطلع :

شُوفْ هَمَامُ الضُّوْ بَأَنْتْ عَلُّومُوْ قَالْأَفَاقِيْ

فهناك كلمة الضوء والتي لم يستعملها الشاعر لوحدها بل جاءت مضافة لكلمة همام ، أي سلطان ، للدلالة على السلطة والنفوذ والجبروت .

المعجم : هَمَامُ الضُّوْ - بَأَنْتْ عَلُّومُوْ - شَمُوسُو الْبَاهِيَا - اشْرِيْقَا - عِلْمُ الْفَجْرِ - تَاكَ الصَّبِيْحُ الرَّاقِيْ - الشَّارِقَا - تَاكَ كَوْكُبِيْ - اَنْتَوْرُ يَشْرَاقِيْ - ارْمَى الصَّبِيْحُ ارْوَاهُوْ - لَيْسَ حُلَاتٌ لَشَرَّاقٍ ...

ومع هذه الكلمات الدالة على النور بصورة مباشرة ، هناك جهاز مفاهيمي مركب من افعال وأسماء تفيد هذه الدلالة بصورة غير مباشرة مثل :

مَاسَ الْفُصْنُ - تَزَخَّرَفَتْ اَحْدَاقِيْ - فَاحَ الزُّهْرُ - وَارَوَاتْ غُصَانُوْ - طَابَ اسْرُورُ الْعَاشِقِ ...

الْبُسْتَانُ الْبَاسِقُ - الْفُصْنُ النَّايِقُ - اغْصَانُوْ ارْقَاقٍ ...

فالنور والجمال والجلال ... صفات لحقيقة واحدة هي التي اشرقت في فضاء القصيدة . والنور في النسق الرمزي الصوفي هو الله جل علا ، مصداقا لقوله تعالى : " الله نور السموات والارض " (سورة النور) . وكتوبه في سورة القصص : فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب الطور نارا ، قال لاهله : امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاهما نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انا الله رب العالمين .

ب - مفهوم الظلمة : والعلامات التي تفيد هذا المفهوم في القصيدة :

رَاحَ اللَّيْلُ - طَارَ غُرَابُ الدَّاجِ - خَلَعَ الدَّاجُ اغْسَاقُوْ - اغْسَاقِيْ

يلاحظ أن هناك تفوق للمعجم النوراني عن المعجم الذي يفيد الظلمة وذلك لان فضاء القصيدة ، فضاء الاشراف والنور

والتجلي ... بين الليل والداج و (الدجى) قد انهزم وولى ، فلم يرد حضوره في القصيدة إلا بصورة سلبية .
 ومعنى هذا بلغة الصوفي ان الظلمة رمز لحجب النور الحقيقة ، والذين تظل بينهم وبين الحق سبحانه حجب . فهم بعيدون كل
 البعد عن الحقيقة .
 وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب سورة فصلت ، اما الذين ارتفعت الحجب بينهم
 وبين الحق فاولئك هم السعداء .
 تنتهي من كل هذا الى أن القصيدة التي بين أيدينا تعكس تجربة صوفية ورحلة رمزية ، توجت بالوصال ، لان صاحبها يَدْرِى
 نَهْجُ الطَّرِيقِ ويملك طاقة لانه "صبر لبق" ومن "أَهْلُ التَّحْقَاقِ" و "أَرْبَابُ الطَّرِيقِ" .



✧ "الترجما" ✧

"الترجما" بتسكين الراء والجيم هي كما قال عنها الحاج إدريس في قصيدة "الكاس" : **قَصًّا ... وَعَجُوبًا ... وَتَرْجَمًا** .
فهي أولا قصة ، **قَصًّا جَرَاتُ لِلْخَادِمِ وَالْحُرَّةِ يَا قَاضِي قَصًّا جَرَاتِي مَعْتَاهَا سَمِعُوا قَصَّتْ حُمَانٌ** .
وهي ثانيا "أعجوبة من أعاجيب الزمان" إذ أن الحياة الرتيبة الهادئة التي لا غرائب فيها ولا أعاجيب ، ربما لا تثير انتباه
الانسان العادي ، فضلا عن أن تحرك شعور الانسان الممتاز

وهي ثالثا "تترجم" لشخص أو لاشخاص ، تماما كما تفعل "الترجمة" في الادب الفصيح ... إلا أنها في الملحون لا تترجم
للشخص أو لاشخاص ، من الميلاد الى الوفاة وإنما تهتم فقط ، بالحظات الغير المألوفة في حياة من تترجم لهم . لنقرأ أولا
هذه "الترجمة" لشيخ هرم ، تزوج بفتاة في عمر الزهور ، وبعد سنة أو أقل من سنة ، ضاقت به ذرعا وقررت أن تنفصل عنه
مهما كان الثمن :

قَالَ الشَّايِبُ لِلشَّابِّ **مَا لَكَ لِفِرَاقِي زَارِبًا**
قَلْبِي أَنَا مَغْرُومٌ بِكَ ، وَتَعْرِفِينِي يَا حُرَّتُ الْغَوَالِي وَالْفَتَكِ مَا نَطِيقُ صَبْرًا ، وَلَا تَقْدَرُ عَلَى
فِرَاقِكَ .

لِلَّهِ الْحَدُّ ... أَشْ ذَنْبِي يَا مُوَلَاتِي ؟ وَبَاشْ مَنْ جَرَمَ كَرِهْتِينِي وَحَرَسْتِي ف : فِرَاقِي بَعْدَ الْمُوَالَفَا
وَالْعَشْرَا ؟

ولا قطعت في قلبك ونسيتي وصايت امك وباك منين رحت ليك .
وَصَاوُوكَ ، مَا تَمَرَّتِينِي ، وَتَسَعَفِينِي وَلَا تَهُونِي بِي طُولُ الْحَيَاتِ . وَقَبْلَتِي وَبَغِيَّتِي عَلَا رُضَايَتِ
نَفْسِكَ ، وَنَهَارُ جِبْتِكَ تَعَاهِدْنَا بِيَنَاتِنَا ، وَف : الْمَصْحَفُ احْلَقْنَا لِبَعْضِنَا لِبَعْضِكَ مَا نَكُونُ رَاجِلٌ وَنَتِ
لِلْغَيْرِ مَا تَكُونِي زَوْجًا ، وَلَا تَفَرَّقْنَا غَيْرَ الْمَوْتِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا وَتَرَاضِينَا عَلَى الْمَحَبَّا ، عَشْنَا وَعَطَاتْنَا
الْوَجِبَا ، وَطَبَايَعْنَا اتْوَالِمُو ، وَنَتِ كُنْتِ مَطَاوَعَانِي وَأَنَا مَأْمُورٌ كُنْتُ عِنْدَ كَلِمَتِكَ ، وَبِوَالِدِيكَ رَافِعُ ،
وَضِيَا فَتَهُمْ كَيْفَ شَفَقْتِي عَمَرْنِي مَا بَخَلْتُ فِيهَا ، وَصَدَاقَكَ بِالْوَفَا اذْفَعْتُوا وَآكْثَرُ مِنْهُ عَطِيَّتَهُمْ زِيَادَا
مَنِّي حَسَانُ .

وَعَطَاوُوكَ لِي ب : الصَّفَا عَلَى السَّنَا وَالْكِتَابُ وَأَمْرُوكَ عَلَى الطَّاعَا مَا تَخَالِفِي ف : كَلَامِي . وَالْيَوْمُ

بَعْدَ مَا تَوَّضَعْتَ أَيَّامَهُمْ ، جَرَّتِي عَنِّي بَعْدَ الْعَطُوفِ ، وَسَعَفْتِي قَوْلَ الْحَاسِدِينَ فَيَا وَكَرِهْتَنِي بِدُونِ
سَبَبٍ وَلَا خَفَتِي مِنَ الزَّمَانِ يَفَادِي وَعَقُوبَتِ الدَّهْرِ وَالْوَقْتُ ابْتَقَلَبَ لَا غِنَا وَتَجِيبُكَ الْإِيَّامُ كَيْفَ جَابَتْنِي
إِلَيْكَ وَطَاحَ بَيْنَ رَجْلَيْهَا وَدَمُوعُو سَكَابِ . وَتَنْتَرَاتِ الْبَنَاتِ مِنَ الشَّائِبِ مَا سَمِعْتَ لَوْكَلَامَ ، كَانَ تَسْأَلُو
يَا حَاضِرِينَ .

نَطَقَاتِ الْبَنَاتِ عَلَى الصَّوَابِ قَالَتْ لِلشَّائِبِ فَ : الْجَوَابُ

بَعْدَ مِنِّي ، يَكْفَاكَ مَا تَعَزَّرَ فَيَا ، مَلَيْتَ مِنْ عَشْرَتِكَ ، وَاللَّهِ مَعَاكَ مَا نَزِيدُ نِكَابَرُ وَلَا نَكُونُ مَرَّتَكَ ،
وَلَا لِي تَكُونُ رَجُلٌ ، دَوَّرْنَا مَا كَتَّابُ .

وَالْيَوْمَ انْتَبَا سِيرَ شَوْفِ غَيْرِي ، وَنَا نَمَشِي شَوْفِ غَيْرِكَ ، وَالشَّائِبِ مَا تَنَاسَبُوا غَيْرَ مَرَا قَدُوا
تَسَاعَفُوا وَيَسَاعَفُهَا وَيَتَوَالَمُوا فَ : الْعَشْرَا مِنْ حَالَتِ الْكَبَرِ ، فَارَقْنِي اللَّهُ سِيرَ شَوْفِ مَرَا قَدَكَ شَائِبَا
ابْحَاكَ ، وَتَقَبَّلْ عَلَيْكَ بَرَمْنَهَا ، وَتَطِيبْ إِلَيْكَ مَا كَتَّابُ مِنَ الْقَوْتِ عَلَى شَهْوَتِ نَفْسِكَ .

وَيْلَا جِيتِي تَلَقَا ، مُوضَعَكَ مَفْرَشَ ، وَالطَّعَامَ وَاجِدَ ، وَالضُّوْ مَشْعُولَ ، وَالْوَضُوْ يَسْنُخُنْ لَكَ .
ظَنَيْتِ الرِّتَاجَ زَهَقَ لَكَ ، عِنْدَكَ الْوَضُوْ يَبْرُدُ لَكَ .

وَيْلَا وَجِبْتَ لَوْقَتِ تَوَضُّؤُ تَوَضُّؤَا ، وَقَابِلِ الْقَبْلَا وَتَهْلَا فَ : دِينَ رَبِّي .
وَعَمَلِ تَسْبِيحِ اللَّذْكَرِ ، وَتَوَلَّعَ بِالصُّومِ ... وَالْفَجْرِ ، صَلَّيْهِ فَ : وَقَتُّو لَا يَفُوتَكَ وَعَمَلِ فِي بَالِكَ
الشَّهَادَا ، وَشَهْوَتِ النَّفْسِ تَبَ عَنْهَا .

وَحَتَالِ اللَّيْلَتِ الْقَبْرِ ، وَاعْتَصَمَ بِاللَّهِ لَا يَنْ كِبَرْتِي وَهَرَمْتِي وَلَا بِقَالَكَ قَدْ مَا فَاتَ فَ : الْعَمْرُ
وَأَنِيَا مَا زَلْتَ شَابَا وَصَغِيرَا ، رَبِّي يَجِيبُ لِي رَجُلَ قَدِّي نَوَالْمُو وَيُوَالْمَنِي وَتَحْسَنَ زَوَاجِي وَنَفَادِي
كُلَّ مَا مَضَا ، وَتَدَوَّرَ صَغِيرِي وَصَوْلَتِ شَبَابِي كَيْفَ بَغِيْتِ ، وَتَتَمَتَّعَ بِنَزَايَةِ كِي نَرِيدَ ، فِي أَيَّامُو نَبْرَزَ
فَابْرَازَ ، أَوْ نَعْمَلُ مَا دَارَتِ الْبَنَاتِ ابْحَالِي ، وَتَذُوقِ غَلَّتِ الرَّجُلَ . وَنَتَ كُلَّ مَا خُسْرَتِي قَبْضُو وَعْطَنِي
فَصَالِي بِالْعَقْلِيَا بَلَا شَرَعَ تَتَفَرَّقُو ، وَلَلَّ تَدَوَّرَ عِنْدَ الْقَاضِي ؟

يَفْهَمُ كَلَامَنَا وَيَجُولُ فَ : مَعْنَاهُ وَيَفْرَقُنَا بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ ... هَكَذَا قَالَتْ لَوْ مَرْزُوبَا .
وَالشَّائِبِ كَشَفَ الْحَيَا وَشَدَّ عَلَى الْعَيْبِ أَحْزَامَ ... كَانَ تَسْأَلُو يَا حَاضِرِينَ

تَمَّ الشَّائِبُ حَالُو نَضَامٍ وَغَوْلٌ عَنْ تَاجِ الرِّيَامِ

وَجَهْلٌ عَنْهَا مَنْ حَيْثُ جَرَحًا تُوفِي قَلْبَ جَوَارِحُو وَقَالَ فِ قَوْلُو :

خَمَمْتُ فِيكَ يَا أَدِيًّا وَنَظَرْتُ فِيكَ نَصِيبَكَ مَبْغُوضًا وَفَاجِرًا ، وَقَلِيلَتُ لَحْيًا وَبَانَ عَيْنِكَ وَلَا صَبْتِي
حُكَامٌ ، وَتَشْهِيَّتِي لَفَجُورٍ وَالْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرُ السَّائِيَا قُلْ اللَّهُ حَيَاكَ يَا لِرَهْطِيَا ، يَا مَكْرُوهَتِ النِّسَاءِ ،
يَا عُرْتُ لَبَنَاتٍ ، يَا لِمَقْضُوحَا ، يَا قَصَارَتِ الرِّقَابِ ، اغْوَاكَ الشَّيْطَانُ يَا لِكَرْفَا ، وَتَنَفَّكْتِي عَلَى النِّعَايِمِ ،
مَا خَلَيْتِي حَيًّا لِنَاسِكَ وَلَا هُمَا وَلَا عَنَايَا وَفَضَحْتِي عَرْضَهُمْ ، أَوْ سَقَلْتِي وَلَا بَقَاتُ فِيكَ تَمَارًا ،
وَمَنْزِنُ شَفَتِي حَالِكَ يَا مَخْرُوبَتِ الْعَقْلِ ، وَتَفَكَّرْتُ أَحْسَانَ وَالِدِيكَ ، ابْغَيْتِكَ تَبْقَايَ كَيْفَ كُنْتِي ، مَنْ
نَاسُ الْعَرَضِ وَالْعَمْرُؤُ ، وَحَفَرْتَكَ خَفْتُ مِنْ عِيُوبِكَ وَسَتَرْتُكَ مَارَضِيَّتْ شَوْهَا ، وَتَسْفَهْتِي وَلَا قَبْلَتِي
رَغْبَا .

وَقَرَّتْ مَا نَفَعَتْ وَقَارًا ، بَشَرْتُ مَا نَفَعَتْ أَبْشَارًا ، وَكَرِهْتُ بِالْحَوَائِجِ ، وَعَطَيْتُ الْمَالَ وَالنِّعَايِمِ فِي كُلِّ
اصْنَافٍ مَا خَطَاوَكُ ، وَنَتِ دِيمَا امْخَنَّتَا فِي دَارِكَ ، وَالسَّخَارَا عَلَا مَرَامَكَ ، وَلَا خَلَيْتُ لِيكَ بِأَشْ
تُعِيْبِي يَا الْعَايِيَا ، وَبَغَيْتِي عَنَّا بِلَا سَبَابٍ خَصَامِي يَا كَ الظَّالِمَا شَفَتِي زَعْمًا كَبِيرًا ، وَحَتَّجْتِي
بِالشَّيْبِ يَا الْبَرَهُوشَا ، الشَّائِبُ اللَّهُ وَقَرُّو ، وَسَتَحِيًّا مَنُو إِلَى حَسَنَ دِينُو بِالتَّقْوَى وَشَابَ مُسَلِّمٌ وَحَفَرَ
رَجُلُو مِنَ الْحَرَامِ ، وَخَالَفَ نَفْسُو وَلَازِمَ أَوْقَاتُو وَأَهْدَاهُ الْكَرِيمُ .

وَنَا مَنْ فَضَّلَ اللَّهَ وَالنَّبِيَّ ، عَمَرُ لَوْقَتَ مَا خَطِيئَتَهَا ، وَالْجَامِعُ دِيمَا مُوَابِدُوا ، وَالْفَجَرُ مَعَا النَّاسُ
كَانَصْلِيَّةُ فِ : وَقَتُو مَا يَدُورُنِي ، وَنَخْرَجُ لِعِشَارَ وَالزُّكَا وَنَصَدَّقُ وَنَحَاسِنُ الْمَسَاكِنُ

وَالشَّائِبُ فِ : الْإِسْلَامُ دِيمَا مَكْرُومٌ بِغَايَتِ اسْمَاحَا

وَالشَّائِبُ سِيرَتُو قَوِيْمَا يَخْبَرُ وَيَفِيدُ بَ : النَّصَاحَا

وَالشَّائِبُ بَرَكَتُو عَظِيمَا عِنْدَ أَهْلِ الدِّينِ وَالنَّصَاحَا

الشَّائِبُ مَا يَعْرِفُ حَقُّو غَيْرُ اللَّيِّ صَوْرُو وَخَلَقُو

وَالشَّائِبُ حَقَّ يَنْعَذَرُ ، وَبَنَاتُ الْعَرَضِ كَايَقْبَلُوا بَ : الرَّجُلُ يَا الظَّالِمَا كَيْفَ مَا جَابُوا اللَّهَ

وَجَهْلٌ عَنْهَا وَبَغَايَسْفَهَا لَوْ مَا فَكَّوْهَا النَّاسُ مَنُو وَقَرَّا لَعَقُوبَا ، كَانَ تَسَالُو يَا حَاضِرِينَ

قَالَتْ مَصْبَاحُ الْبَاهِيَّاتِ لِلشَّائِبِ حِينَ تَغْلُغَلَاتِ

هَذَا الْمَعْيَارُ امْعَا اللَّيْ بِحَالِكَ دِيرُو، وَنَامِرَا عَلَيْكَ بَ: لَوْقَرْ، وَحَلَفْتُ لَوْيَمَا يَلْزَمُهَا، لَا بُدَّهَا فَ: دَارُ الْقَاضِي ...

وَمَشَاتِ لَالًا كَاتِّمَائِحْ كَالْعَلَمِ بَيْنَ عَسَاكِرْ فِي حَوْمَتِ السَّقَرِ، وَالشَّيْبَانِي فِي خِلَافِهَا تَابِعُهَا .
مَنُوضُ الْعَجَاجِ بَرْجَلِيهِ، وَمَتَبَعُ الضَّبَابِ بَعِينِيهِ، وَحَالَتْوُ تَشْفِي، وَسَبَقْتُ الْبَاهِيَا الدَّارُ الْقَاضِي،
وَبَقَاتِ وَأَقْفَا نَصْرُ نَهَارُ تَعَايِنُو يَلْحَقُ بِهَا، وَمَنْيْنُ جَاوَزَادُوا عِنْدَ الْقَاضِي بَرْوَجِ .
كَعَدُوا قَدَامُو بَعْدَ بَايَعُوَالِيهِ، رَفَعَ سَيِّدُ الْفَقِيهِ عَيْنِيهِ، يُصِيبُ مُقَابِلَاهُ بِنْتُ صَغِيرَا، تَسْحَرُ بَرْيِنَهَا
وَحَدَاهَا رَجُلٌ كَبِيرُ شَائِبِ، يُحْسَابُو غَيْرُ جَدِّهَا، وَتَلَفْتُ لِلْبِنْتِ قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَتْ لُو، خَيْرُ
يَالْقَاضِي، حَالِي يَغْنِيكَ عَنْ سَائِي، هَذَا الرَّجُلُ قَلَّ جَهْدُو، وَكَبُرَ وَالشَّيْبُ هَرَمُو، شَوْفُ أَوْصَالُو
رَاجِفِينَ .

جَاوْخَطْبَنِي مَنْ عِنْدَ وَالِدِيَا، وَغَوَاهُمْ يَا فَقِيهَ بِالطَّمْعِ وَلِيهِ عَطَاوَنِي، وَصَبْرَتْ صَبْرَتْ، صَبْرَتْ،
يَالْقَاضِي، أَنَا بِاللَّهِ وَالشَّرْعِ فَاصِلْنَا بِحُكَامِ اشْرِيْعَا، هُوَ يَمْشِي شَوْفُ غَيْرِي، وَنَا نَبْقَى أَمَامَنَا
فِي دَارِكَ، حَتَّى تَشَوْفَ لِي مَنْ يَا خَدْنِي عَلَى يَدِيكَ، وَالْقَاضِي فِي عَوْضِ وَالِدِيَا، نَحْسَنُ دِينِي عَلَى
الرِّضَا وَتَوَلَّى مَنْ جُمِلَتِ النِّسَاءُ وَتَوَلَّدَ أَوْلَادِي إِلَى عَطَانِي رَبِّي، وَالْحَالُ مَاخَفَاكَ تَعْرِفُو، وَنْتَ تَبَارَكَ
اللَّهُ فَفِيهِ نَبِيهِ ... وَأَشْ فَارَسْ مَقْوَارْ بِصَارْمُو مَهْنَدْ يَشْبَهُ تَرَأْسُ عَنْ شَمَالُو كُلْخَا مَعْيُوبَا؟ وَيَاكَ اللَّيْ
مَا فِيهِ قَائِدَا مَا يَدْخُلُ لَزْحَامُ كَانَ تُسَالُوا يَا حَاضِرِينَ .

انْطَقَ سَيِّدُ الْقَاضِي وَقَالَ هَذَا الشَّائِبُ بِهِ الْهَيْبَا

وَنْتِ يَا هَذَا الْبِنْتُ غَيْرُ هَنِّي نَفْسِكَ، وَاللِّي يَلِيْقُ بِكَ نَدِيرُو، أَنْتِ مَا نَتَاعَتْ مُحَنَّا عَمَرُ الرِّزْنِ مَا
يَتَمَرْتُ، وَعَلَا الصَّوَابُ صَبَتْ كَلَامَكَ لَا عَيْبَ فِيهِ وَالشَّرْعُ الْحَبِيبَا اللَّهُ جَعَلُو رَحْمَا، وَالْحَقُّ مَا
يَنْجَحْدُ وَبِحَالِكَ فَ: الْبَنَاتُ مَا يَتَغَيَّرُ .

سَبَّحَانَ مَنْ نَشَاكَ وَوَدَّكَ بَ: الرِّزْنُ وَالْبَنَاهَا وَالطَّيِّبَا، وَالسَّرُّ وَالْحَيَا وَالْهَيْبَا وَلَا نَسَاكَ رَبِّي مَنْ

مَنْ شَيْءٍ ، وَقَالَ بِالْأَمْرِ لِلشَّائِبِ هَذَا أَلَمَّا شَكَتَ بِعَيْنِكَ جَهْرَاتٍ بِهِ ، وَالْعَيْبُ اللَّيِّ بِأَشْ عَابَتْكَ ، فَبِكَ
ظَهَرَ لِي بِشَوْفٍ عَيْنِي ، مَا نَحْتَجُّ لَوْ شَهَادَ .

قَصَرَ الْكَلَامَ وَتَوَضَّ لِلْعَدُولِ اعْطِي لِلْخَلْقِ بَرَائَتَهَا وَسَتِرْ رَأْسَكَ مَا أَتَا أَدْيَالَ صَغِيرًا يَكْفَى خَلَاصَ
رَأْسِكَ كِبَرَتِي ، وَاللِّي كِتَابَ دَوْرَتِيهِ مَعَهَا وَمَا يَغْلِبُكَ مَنْ غَيْرَ اللَّيِّ يَقُولُ لِيكَ فَرَقْنِي ، أَوْ اعْطِينِي
مَتَاعِي أَوْلَا خُرْجَ مَنْ مَكَانِي وَنَتِ هَانُوا جَرًّا وَلَكِ بَثْلًا .

وَعَطَاكَ خَاطِرَكَ ، دَوْرَتِيهِمْ بَعْدَ مَا سَمِعْتِيهِمْ ابْنُ ذِيكَ غَيْرَ مَنْ سَيَّالًا لَعْرَابٍ قَالَتْ ف : مَعْنَاهَا
قَطْرَانٌ ، الْعَرَّ وَلَا عَسَلُ الدَّلَا هُوَ طَبِيعُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يَنْبِي بَعْدَ ادْوِي نَسَمَعُ كَلَامَكَ ، وَنُوي وَقَالَ ذَاكَ
الشَّائِبُ أَيَا فُكِيه .

لَوْ كَانَ نَمُوتُ حَرَامٌ مَا نَطْلُقُ مَرَّتِي لَنِي فَرِيدٌ ، مَا عِنْدِي وَلَدٌ وَلَا بَقَاتِلِي بَنَتْ تَشَوْفُ الْحَالَتِي
وَكِبْرِي وَلَا عِنْدِي مَرًّا خَفِيفَتِ الْعَضَامُ ، تَقَرَّبُ الْبُعِيدُ وَتَجَالَسْنِي إِلَى صَبَحَتْ ف : دَارِي ، وَتَكُونُ لِي
وَنَيْسًا ، وَتَوَالِيهَا وَقُلْتُ بِهَا نَكَلَعُ خَمَجًا عَلَى قَلْبِي ، وَتَوَاكُضْنِي إِلَى وَقَالِي عَمْرِي عَنْ كَلَمْتُ اشْهَادًا
حَتَّى يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَسَكَتَ مَسْكِينٌ ، غَرَّغُوا بِالدَّمَغِ عِيَانًا وَصَارَ يَشْهَقُ وَيَكُحُّ وَطَاحَ عِلَلُ الْأَرْضِ
أَيَقُولُ أُنِيَا ف : عَارَ رَبِّي وَفَ عَارَكَ رَدَلِي عَمَارَتُ دَارِي مَالِيكَ خَيْرٌ ، أَيَا قَاضِي مَالِيكَ خَيْرٌ
نُوبِي فِي حَقِّ الْكَرِيمِ ، بِأَحْسَانِكَ صَالِحِي مَعَا غَزَالِي ، سَاعَا وَحْدًا إِلَى أَخْطَاتٍ عَلَيَّ رَأْنِي بِذِ
نَمُوتُ ، وَفَرَّاقُ الزَّيْنِ صَعُوبًا كَانَ تَسْأَلُوا يَا حَاضِرِينَ

مَيْرُزُهُمْ فَصِيحُ الْعُلُومِ وَلَقَا تَفْعُوفَ : فَرَأَقَهُمْ

شَافَ الْفَادَا تَسَاهِلُ النَّصْرَ بَسُوَالَفَ يَهْجِيُوا بِالْعَطَرِ

وَالْفَرَاكَ : دَارَتِ الْقَمَرُ

وَخَوَاجِبُ نُؤْمِينَ ف : السُّطْرُ وَالْعَيْنَيْنِ كَوَابِسُ الْغَدْرِ

وَخَدُودُ كَمَا الْوَرْدُ وَالزَّهَرُ

وَشَفَايَفُ تَقْصِيرُ لِلْعَمَرِ وَعَلَى الْجَوْهَرِ فَايِقُ الثَّغَرِ

والرقيباً عراض في قفر
وَالْعُضْدَيْنِ اصْـوَارَهمْ اسْقَرَّ
وَصَبَّاعٌ قَلْبُومًا بَلَا فُخْرَ
وَالْبَلَّارَ رَخَامَتِ الصُّدْرَ
وَالنَّهْدِينَ اتْفَافَحَ اشْجَرُ
وَرَدَفٌ بُو دَوَّاحٌ مَعْتَمَرُ
وَالْبَطْنِ الطَّائِي مَعَا الْخَصَرُ
وَالسَّرَّاءُ : طَاسَتِ الْخَمَرُ
وَالْفَخْدَيْنِ اشْوَابِلُ الْبَحْرِ
وَالسِّيْقَانِ تَهَيَّجَ الْفَكْرُ
وَقَدَامَ اخْدَلَجَ بَلَا عَكْرُ
وَالْقَدَفُ : جَهْدُوا بِلَا حَكْرُ
وَالْعَدْرَا تَرْيِيَّتِ الْخَضَرُ
وَالْقَاضِي مَا فَادَلُّو صَبْرُ
تِيَهْتُو مَسْبُوتِ اشْعَرُ
بَصْفَرُهَا وَالتِّيَّةُ وَالْعَفْرُ
وَيَذَاكَ الشَّمُوخُ كِي ظَهَرُ
فَ : وَجِيهٌ كِي طَلَعَتِ الْبَدْرُ
أَوْثَرِيًّا وَسَنَطُ شِي قَصْرُ
وَالشَّيْبُ مَنْ يَمَازِيرُ الْكَبَرُ
وَالشَّايِبُ مَسْكِينٌ ، غَيْرُ كَا يَبْكِي وَيَبِينُ ، مَا أَلُو ؟ مَا أَلُو ؟
مَغْبُونٌ عَاجَزُ الْقُدْرَا وَكَبَرُ مَا بَقَاتُ فِيهِ مَزِيَا ، وَمَلَامَحُو اشْهَابُو ، وَالسَّعْلَا قَبْطَاهُ ، عَادَ يَكْحَكُحُ
وَيَزِيمُ وَالْبَخَاشُ تَعَاقَبُ ، وَلَا بَقَا فَ : عَمَ الشَّايِبُ ، مَنْ غَيْرُ مَا بَقَا يَاحْضَرَا فِي شَيْخِ الضَّبُّوعَا قَلَّتْ
لَمَلَقُ وَالنَّكَارُ ، وَقَالَ الْقَاضِي - وَشَارَ لَاعَوَانُو - : عَدَلُ لَعْدُولُ دَوَّوهُ ... أَوْدَغِيَا ... سَيِّرُوا مَعَاهُ ،
يُعْطِي لِلْمَسْكِينَا اِبْرَآتَهَا فَ : السَّاعَا ، وَيَلَا تَقَاصِلُوا رَدُّوْهَا بَيْرَآتَهَا الْعَنْدِي ، وَمَا خَسَرُوا غَيْرُ
نَوْضُوهُ السَّعْدُولُ بَقَا وَلَا كَرَهُ حَتَّى طَلَقَهَا وَصَيْفُطُوهُ مِبَالُضُ ، وَمَشَى بَلَا عَقْلُ لُوْكَارُو وَيَقُولُ مَنْ

صَمِيمٍ اسْتَيَّارُو ، اغْرَبْتُو فَرَقَ خَنَارُو ، وَيَقَى بِلَا عَمَارَتِ دَارُو ، وَمَنْ الْفَرَاقُ شَعَلَتْ نَارُو .

وَالشَّابَّاءُ رَجَعَتْ أَمْعَا الْحَرَسِي مَطْلَقًا لَا عِنْدَ الْقَاضِي وَيَنْدَقَتْ لِيَه ، وَقَالَتْ لَوْ يَجْزِيكَ خَيْرَ عَنِّي وَأَنِيَا
لِيَكْ يَا الْقَاضِي خَادِمَ مَكْسُوبَا ، وَمَشَاتِ الدَّارُ وَأَمْعَا الْجَوَّارُ أَوْتَقَطَعَ الْكَلَامُ ، كَانَ تُسَالُو يَا حَاضِرِينَ
وَيَعْدَهَا شَخْشَ الشَّخْشُوشِ حُبُّوهُمَا جُ وَمَا سَامَحُوشُ

وَنَدَمَ عَنْ مَرَّتُو غَايَتِ النَّدَامَا ، وَالْقَاضِي لُونُ غَرَضُ طَلَّقَهَا لُو .

وَالْحُبُّ جَارُ عَنُو وَفَرَعَتْ عَزَائِمُو وَبَارَتْ الْحِيَالُ وَقَالَ مَا يَفَاجِي ضَمِيمِي غَيْرُ الْهَمَامِ ، وَيَقَا وَأَقَفْ
سَاعَا وَكَأَ يَرْجُلُ رَاسُو وَيَرِيضُ الرِّعَامَا وَيَجُولُ فَا : مَا يَقُولُ قَدَامَ الْمِيرِ إِلَى دَعَا الْقَاضِي ، وَرَجَعَ
عِنْدَ الْفَقِيهِ وَدَعَاهُ وَسَارَ مَعَ الطَّرِيقِ كَايْتَخْرُوعَ ، مَرَا يَنْوُضُ مَرَا يَكْعُدُ ، مَرَا يَزِيدُ مَرَا يَسْخَفُ ،
وَحَدِيثُنَا لِسَيِّدِ الْقَاضِي ؟

وَلِلَّأَلْقَبِ دَارُو ، وَرَفَدَ مَصْحَفَ تَحْتَ بَاطُو ، نَادَا لِلشَّابَّاءُ تَبِعْتُو ، وَمَشَاوَا بَزُوجَ لَحَقُوا لِلشَّابَّابِ ،
صَابُوهَ كَا عَدُ وَكَأَ يَنْهَجُ ، فَا : الْحَيْنَ جَاوَا زُوجَ مَنْ أَصْحَابِ الْمِيرِ زِيدُوهُمْ بَثْلَانَا وَالْهَمَامُ جَلَسَ فِي
مَحْفَلٍ مَا يَلُونَهَا يَا وَالْوَارَا عَلَى يَمِينُو وَشَمَالُو وَالْمَزَارِكِيَا ، حَتَّى الْقِيَادَ وَالْفَرَادَا ، وَالْأُمْنَادَ كُلَّ
حَنَطَا وَالشَّكَايَا مُصَافِينَ ، مَنْ مَوْرَاهُمُ لِمَسْخَرِينَ ، عِنْدَ الطَّاعَا مَشْتَمَرِينَ ، وَكَلَمَتِ الْمَلِكُ نَافِدَا ،
وَالْمَشُورَ بَعْجَابِ الْمَلَاكَا عَامَرَا .

وَبَشَّرَتْ سَيِّدُنَا مَبْشُورَا ، وَكَذَلِكَ صُورْتُو مَهْيُوبَا ، وَالشَّابَّاءُ مَعَ الشَّابَّابِ وَالْقَاضِي سَرَاتِ فِيهِمْ
رَهْبَا مَنْ هَيِّتُو ، وَنَطَقَ الْهَمَامُ اللَّهُ يَنْصُرُو قَالَ لَهُمْ : ادْوِيُوا مَا لَكُمْ أَشْكِيُوا عَلَيَّ وَخَضَعَ لِيَه الشَّابَّابِ
وَنَوَا وَقَالَ لُو : يَا سُلْطَانُ ، أَنَا جِيتُ شَاكِي لَلَّهِ وَلِيكَ خُذْ لِي حَقِّي وَأَنْظُرْ مَنْ الْحَالُ هَذَا الْخُلُقَا مَرَّتِي
وَجَارَتْ عَلَيَّ وَيَغَاتِ الْفَرَاقُ مِنِّي وَأَنَا وَالْفَتْهَا وَقَلْبِي مَا طَائِقُ لِلْفَرَاقِ ، وَعَيَّيْتُ أُمُولَايَ مَا نَسَاعَفُ ،
وَنَسَمَعُ الْعَيْبَ وَنَتَعَامَا ، وَمَنَّاينَ شَفَتْهَا بَغَاتِ الْمُنْكَرُ حَجَبَتْهَا فَا : دَارِي ، وَيَعْدَهَا غَدَرَتْ بِي وَمَشَاتِ
دَعَاتْنِي لِهَذَا الْقَاضِي وَشَكَاتِ لُو بِشَيْبِي وَرَجَعَ لِي خَصِيمُ ، وَشَتَمَ فِي قَدَامَهَا ، وَبَهَذَلْنِي ، وَنَهَرْنِي
وَبَزَمْنِي طَلَّقَهَا لِي وَحَارَهَا لُو كَارُو ، وَلَا قَرَا عَقُوبَتِ مَخْرَنَ ، وَنَتَ قَضِي بَعْرَقَكَ ، شَافَ السُّلْطَانُ

ف : الْفَقِيهَ أَوْ فَهَمُوا بِرَجَاحَتِ الْعَقْلِ ظَلَمَ الشَّائِبَ فِي غَرَضٍ لَمْرًا ، وَأَمَرَ سِيَّافٌ قَالَ دَرَجَ رَأْسُو ، وَتَشَوَّفَ سَيِّدُ الْفَقِيهِ اجْبَدَ مَصْحَفٌ لِلدَّخِيلِ وَحَطُّوا لِلْمِيرِ فَوْقَ صَدْرُو وَيَسْطُ خَدُو وَكَتَفَ يَدِيهِ وَقَالَ أَنَا ف : جِيرَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَفَا عَنْهُ سَيِّدِي وَخَيَّرُو وَحَلَفَ لَوْ لَوْلَا كِتَابُ رَبِّي حَتَّى يَبْرِيهِ .

وَأَمَرُو يَلَازِمَ دَارُو ، وَلَا بَقَاتَ لِيَهَ حَكَمًا ، وَأَمَرَ عَلَيَ الْعَدُولُ اتَّوَجَّهُوا ف : الْحِينَ رَجَعُوا لِلشَّائِبِ مَرَّتُو وَسَارَ بِهَا مَبْشُورٌ وَخَاطَرُو مَهْنِي وَتَمَامَ الْقَوْلُ : خَالَقِي يَسْمَحُ لِي "قَصًا" بِدَعْتَهَا لِلنَّاسِ فَرَاجًا وَلَا يَظُنُّو صَارَتْ وَلَا جَرَات ، غَيْرَ رَجَاحَتِ عَقْلِي مَعَا الرِّيَّاسَا ، مَا جَبَّتْ خَبَارَ مَنْ الشَّائِبِ ، وَلَا شَاهَدَتْ شَابًا مَغْرُورًا وَلَا تَوَاصَلُوا لِلْقَاضِي ، وَالْمِيرَ مِنْ سُلَاطَنَ الْهَوَى ، أَمَّا الْهَمَامُ سَرَفَ ف : لَوْ قَرَّ وَمَعَا أَهْلَ الْإِفْكَارِ كَلَامِي ... وَالدَّامِرِينَ هَلْ الْعُقُولُ الْمَخْرُوبَا ، مَا فَفَقَهُو مَعْنَا وَلَا الدَّوَا يُقَادَ التَّمَامُ ... كَانَ تَسَالُو يَا حَاضِرِينَ .

خَذَ أَحْقَاطَ عَلَيَّ التَّقَانُ حُلَا مَرَكُومًا ف : الْوَزَانُ

بِجَوَاهِرَ زَهْوًا لِلدَّاهَانِ ، وَالْيَاقُوتِ الشَّعَّالِ وَالتَّبَرِّ ، وَسَلَامِي بِالْوَرْدِ وَالزَّهَرِ وَالْخَيْلِي وَالْيَاسَمِينِ ، وَالنَّسْرِي وَالسُّوسَانَ وَالْعَطَرِ ، وَعَطَرُشَا وَالْغَالِيَا وَعَنْبَرٍ ، وَالنَّدْمَا مَعَا الْغَيْبِ ، وَالْجَاحِدْنِي مَا جَافَ : شَايَ يُعَذَّرُ ف : جَهَادُو مَا يَلُو دَرَايَا ف : فَنُونُ الْقَوْلِ ، وَالْكَلَامُ مَعَا هَلْ لِعَقُولٍ فَاهِمِينَ الْمَعْنَا ، وَمَعْنَتَهَا عَجِيبًا بِلِسَانِ الْحَالِ رَاقِيًا كَمَا تَشْرَحُ لِعَقُولٍ ، وَالْفَنَى يَسْمَحُ لِي فِيْمَا عَصِيَتْ ، مَا وَقَعَ خَصَامٌ وَلَا حَضَرَتْ لَوْ غَيْرَ النَّاسِ الْحَالِ كَيْفَ رَادَ تَكَلَّمَ ، وَخِيَارَ مَا نَقُولُ : الشَّائِبُ حَاشَا نَمَازَحُو ، مَوْلَانَا عَذْرُو وَسَامَحُو ، وَسَمَعْتَ اللَّيَّ شَابَ ف : الْإِسْلَامُ مَعْنَى غَدَفَ ف : الْآخِرَا مَا يَدْخُلُ لِلنَّارِ مَا يَرَاهَا وَدَعَوْتُ الشَّائِبِينَ : مَقْبُولًا مِنْ رَبِّي وَقَالَتْ أَهْلُ التَّحْقِيقِ "الشَّيْبُ نُورٌ"

وَاللِّي مَا شَابَ يَشِيبُ لَا غَنَا يَا حَقَّاطَ إِلَى طَوَالٍ لَعَمَرَ كَمَا قَالُوا شِيَاخُ مَنْ قَبْلِي حَتَّى أَنَا نَقُولُ مَا أَنَا جَاحِدٌ مَا أَنَا سَفِيهٌ ، مَا أَنَا دَاعِي مَا أَنَا وَقِيحٌ ، قَابِضٌ وَقَرِي وَمَلَازِمُ الصَّبْرِ وَالِدَعْوَا مَا أَنَا ف : سَوْفَهَا يَا أَهْلَ الدَّعْوَا مَا لَهُمْ صَوْلًا ، وَلَا وَصَلُوا الْجَاهُ وَسَلَامُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْرَافِ نَعَمْ أَسِيَادِي وَعَلَى الْأَشْيَاخِ هَلْ الْأَمْجَادِي ، وَعَلَا

اهل الغُـلُومِ اُوطْلِبَا
وَعَلَى اهل الذِكرِ مَثْرَادِي
وَعَلَى الاقْطَابِ هَلْ لَمَحَبَا
وَعَلَى السَّامِعِينَ انْشَادِي
دُونِ الْجَحُودِ وَهَلْ الْغُتْبَا
وَعَلَى أُمَّتِ الْمَهْتَادِي
سَيِّدَ الرُّسُولِ خَيْرَ النَّسَبَا

مُحَمَّدُ الْمَفْضَلُ عَيْنَ الرَّحْمَا شَفِيعَنَا صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ قَدْ مَا دَائِمَ مَلِكُ الرَّافِعِ السَّمَا وَعَلَى الْوُغَايَتِ
الرَّضَا ، وَهَلُوَ وَأَزْوَاجُوهُ وَآمَتُوهُ وَأَنْصَارُوهُ ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلدَّائِمِ وَسَمِي نَبِيَّنَا "الْمَدَانِي" عَبْدُ
الْإِشْرَافِ هَلْ الْإِسْرَارُ الْمَوْهُبَا ، قُولُوا كَاغَ : اللّٰهُ يَرْحَمُو ، وَالرَّاحِمُ يَرْحَامُ . كَانَ تَسْأَلُو يَا حَاضِرِينَ

الحربة ، او "اللازمة"

شَاهَدْتَ الْيَوْمَ عَجُوبَا شَايِبَ ضَلَّ مَعَا الشَّابَا ف : مَعَايِرُ وَخَصَامُ
كَانَ تَسْأَلُو يَا حَاضِرِينَ

هذا إبداع من إبداعات "فن الترجما" في الملحون ، ولا أقول قصيدة من قصائد "فن الترجما" فنحن في هذا الإبداع لم
نكن مع "الشعر الملحون" وإنما كنا مع "الادب الملحون" مع "النثر الفني" المعروف باسم "السوسي" وقد مر معنا ذكره في أول
الفصول .

نعم ليست كل "الترجما" في السوسي بل فيها ما هو مكسور جناح "أَقَاضِي قَصَا جَرَاتِي مَعَتَاهَا" "الْخَادِمُ وَالْحُرَّةُ"
"الْجَلَنَارَا" "الطَيْرُ" وفيها ما هو من الشعر العمودي "الدَّيْجُورُ" حَمَانُ وَحَرَارِيْزُ
إلا أن معظم "الترجمات" وأروعها ، هي تلك التي في "النثر الفني" أي السوسي وقد قدمت منها "الشايب والشابا"
كنموذج .

فماذا يرى القارئ الكريم في هذا النموذج الأدبي الدارجي الذي عمر مائة سنة بالتمام والكمال ؟ أو تحتاج الى شيء من
التجاوز لنطلق عليه اسم : "أقصصوصة" ؟ فهو كما لا شك قد لا حظت لم يبدأ بتمهيد ولا بتوطئة أو مقدمة ، وإنما بالحوار
قال الشايب للشابا "ومن خلال الحوار ، والتعليق على الحوار نبدأ في التعرف على الحدث شيئاً فشيئاً الى أن تكتمل
الصورة ...

حتى رسم الشخصيات لا يأتي إلا حيث ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، مَلَامَحُوْ شَهَابُو ، وَالسَّعْلَا قَابِطَاهُ "مَنْوُضُ الْعُجَاغُ"
بِرَجْلِيَّةٍ "مَتَّبِعُ الضَّبَابِ بِعَيْنِيَّةٍ" بل نحن لم ننتبه لفاتن الحسناء ، إلا عندما رأيناها من خلال نظرات القاضي وهي تكاد
تلتهمها ... أما اللفظة العامية الساطعة والعبارة الشعبية الرائعة وكيفية السير في الموضوع ، وتلك السلسلة وذلك الانسياب ...
وما بين السطور من إشارات خفية يستلزمها الطرح ولا ينبغي الإفصاح عنها ... على أية حال النماذج بين يديك ، والرأي
رأيك ، وما أنا إلا دَلَالُ الْخَيْرِ "والله الموفق . صحيح أننا في الملحون ، لا نعرف عن هذا الغرض إلا أنه طافح بالمستملحات

اللطيفة والطرائف الشيقة ، والهزليات الممتعة ، والانتقاد الساخر لكل من ، وكل ما يستحق الانتقاد . والحق أنه . أي هذا الغرض . أكبر بكثير من مجرد مستملحات ، وطرائف ، وهزليات ... ف : ترجمات الحراز مثلا ... وقد تجاوزت في عددها المائة حراز ... لو وجدت من يحلل بعضها التحليل السيكلوجي الصحيح الجاد ، لتبين أنها في جملتها تحارب الكبت والقهر بكل أنواعهما ، وفي تفصيلاتها تحارب سائر ضروب الاحتكار والاستغلال ، وجميع أشكال الشعوذة والتدجيل ، وأنماط الذل والمهانة وأوضاع الدعة والاستسلام .

وإذا كان الملحون خصوصية مغربية لا يمكن أن توجد إلا في البلاد المغربية ، فإن الحراز خصوصية من خصوصيات الملحون المغربي ، ولا يمكن أن توجد في غيره من سائر أنواع فن القول .

و ترجمات " الخادم الحرة " وهي أربعة إبداعات ، ظهر الأول في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ، وظهر الثاني في التسعينيات من نفس القرن ، والثالث في الثلاثينيات من هذا القرن ، والرابع في الخمسينيات منه ، وأصحاب هذه الإبداعات هم على التوالي :

"الحاج أحمد الغرابلي ... فاس" ، "المدني التركماني ... مراكش"

"الحاج الحسن بنشقرون مراكش" "العيسوي الفلوس ... فاس".

فقراءة متأنية في هذه القصائد تظهر بوضوح ، أنها أكبر من مجرد شجار عابر بين امرأة سوداء وأخرى بيضاء ، بل أنه الصراع الأزلي المزمع ، بين سكان شمال أرض الله ، وأبناء جنوبها ، بدأ بالاسترقاق والاستعباد ، مروراً على الاحتلال والاستغلال ، وصولاً إلى انتفاضات الأفارقة التي لا تزال متوالية في بعض الجهات إلى يوم الناس هذا ...

وترجمات "الفقيه المسلم والمبشر المسيحي" و"العابد والراهب" و"النخلة والصفصافة" و"الناسك والشيطان" كل ذلك فكر ... وفن ومعرفة وثقافة .

وليس من لغو القول أن أشير إلى أن هذا الغرض الذي يسمونه "الترجمة" يعيد قراءة كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، سواء منها ما تناولناه حتى الآن ، وما لم نتناوله بعد ...

فالمناجات الالهية والامداح النبوية نجدها في ترجمات "جمهور الانبياء" "جمهور الاولياء" "جمهور اهل النوايا" جمهور رجال الله

والوصايا "لوصيات" ... تتناولها "الترجمة" ... لا بالاسلوب الواعظ ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل بأسلوبها الفني الرائع الذي يجعل الشعور يمقت المساوى ويهجمها ، ويقتبط بالمحاسن ويتعشقها ...

ف : "الترجمة" لا تقول عن الخمر مثلا : "كُلْ مُسْكِرٌ حَرَامٌ" وكفى ... أو "يَبِعْهَا وَشَرَاهَا وَشَرَابُهَا حَرَامٌ" ... وإنما تصور لك المضمور الفاقد الوعي ، الذي "عَمَا لَمِيعَتُو الْعَيْنِ" ، أو الذي صفع أباه ... أو الذي تبول في الفراش ليلة زفافه ، وهكذا كل أنواع الفسوق والفجور والزنيغ ، من كذب ، وخيانة ، وغدر وما شابه ، وغرض "العشاق" في ترجمات الحراز وفي غيرها ... ووصف الطبيعة في الربيع ، وفي غيره من فصول السنة نجده في "تَرْجَمَاتُ الْفَصَادَةِ" ، والشراطة ، وألوشام للآفات و ترجمات ، الصيد

والقص والنزه الجماعية "للتذكور ... وهكذا وهكذا الى أن نأتي على كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، فنجدها جميعها حاضرة في هذا الغرض الذي أطلقوا عليه اسم "الترجمة" أتراهم قد أخطأوا الصواب بتسميتهم للابداعات هذا الغرض ... الترجمة ؟ لنرى .

إذا نحن اعتمدنا مفهوم اللفظ كلفظ "ترجمة" وتجمع على "ترجمات" فقد سبق لاحد رواد الفكر ، وجهابذة اللغة ... أن أطلق على ديوان شعر له اسم : "ترجمان الاشواق" انه محي الدين بن العربي .

وإذا جاز أن نعتبر الشعر ترجمان الاشواق ، جاز أن نعتبره ترجمان الخلجات التي تختلج في الاعماق ، وترجمان المشاعر والاحاسيس بل وجاز أيضا أن نعتبره ترجمان الاحوال في كل الحالات ، وتلك هي حقيقة "الترجمة" الملحونة .

أما إذا اعتمدنا مفهوم اللفظ كاصطلاح أدبي "ترجمة" وتجمع على "تراجم" ، فإن هذا الاصطلاح ما كان ينبغي أن يقتصر فقط على الترجمة للأشخاص ، النابغة فلان ، والعبقري فلان ، والبطل فلان ... فأمثل الملحون مثلا ترجموا للمدن :

مَدِينَتُ سَلْوَانَ كَالْمَنَارِ مَنْ سَبَّعَ مَدُنَ مَا تَبِيعُوا
مَاقْبَلُوا نَاسَهَا جَسَارًا كَتَبُوا فَا : شَوَاهِدُ السُّطُورِ
لُوجَاتُ قُبَايِلِ الْجَسَارِ تَفَنَّا بِدَوَائِبِ الشُّرُورِ
صَالَتْ بِأَسْوَارِ قَلْعًا مَبْنِيًّا حَازَتْ الْوَعْرَ بِالْهَيْبَا وَالْعَزَّ وَالْوَقْرَ
وَمَنَازَةَ وَدِيَارِ بَيْنَ سَقَايِلَ لِبَرَاكِ عَامِرَا
فِي كُلِّ شَبَارِ مَهْرَازِ الْكُوزِ يَهْدُ مَنْ دَسَرَ وَتَفَاضَ الْعَسَا عَلَى النَّمْرِ
وَالْعَسْكَرُ جَرَارِ وَصَحَابُ الْوِزْنِ بِمِيزِ غَازِرَا

وترجموا للجبال :

حَدَّثَنِي عَنْ عَيْنٍ فِي ضُلُولِ الصَّفْقَصَافِ مَبْرَدًا وَعَذْبَا تَحْيِي الْأَرْوَاحِ
وَعَلَى شَيْ طَفَلَاتٍ رَايَحَا وَالشَّيْخُ رَوَايَحُوا فَا : الْهَوَا فَيَا حَا
يَاطُودُ مَنْ أَطْوَادُ أَرْضِنَا عَالِي مِثْلِ انْفُوسِنَا اللَّي مَا تَخْصَعُ لَوْقَا حَا
حَدَّثَنِي عَنْ كُلِّ مَا ضَحَا كَايْنُو لَيْسَ كَانَ يَخْطُرُ فِي وَاحَا
حَدَّثَنِي لِلَّهِ عَنْ الصِّيَادَا وَعَلَى خَيْلِهِمْ وَعَلَى ذَاكَ التَّحْيَا حَا

وَسَرَّابُ الضَّأْيَا اللَّائِحَا وَالصُّلَّاحُ الْقُطَابُ وَقَتُ السَّيَّاحَا

وترجموا للحصان :

هَاجَ وَجَدِي وَجَوَادِي هَاجَ لِي مَسْرَجُ نَجَالُ جَرْدٌ مَجْرَدٌ مَتَفَنِّجَا دُعَاجُو

☆☆☆

سَالُ عُودِي عَنْ وَعْدِي يَبَاتُ يَرْتِي وَيُضِلُّ مَعَا اللِّجَامُ مَسْكِينُ يَكْدُدُ

وترجموا للنحلة :

صَوُّلِي يَا شَامَا الضَّرِيفَا وَزَهَايَ وَغَنِّي وَدَنْدَنِي قَطْفِي مَنْ الْأَزْهَارُ

يَا تَرِيَاقَ عِلَاجِ كُلِّ ضَرٍّ يَا بِنْتَ الْمَلِكِ فَيْكِ هَمًّا وَتَجَارَا

وترجموا للشمعة :

لِلَّهِّ يَا الشَّمْعَا سَلَّتْكَ رَدِّي لِي اسْأَلِي اَعْلَاشُ كَاتِبَاتِي تَبْكِي مَا دَا لِكِي شَعِيلَا

بل وترجمو للفتيل الذي بداخل الشمعة :

أَنَا اللَّيِّ اتَّحَرَّقْتُ وَمَا انْتِيَاغِي الصُّهُدُ اَكْوَاكُ

ترجموا للذئب :

فَرَخُ الذِّئَابِ مَا يَتَرَبَّأُ قَالُوا النَّاسُ وَأَنَا رَبِّيْتُو

ترجموا للنملة :

لَحْوِيْدَكَ دِيمَا امْحَرَّمَا مَشْمُورَا وَمَخْمَلَا جَلَالِهَا كُلَّ نَهَارُ

هِيَ وَالنَّحْلُ لَا مِنْ الْفَجْرِ وَجَنُودُ الْمَلِكِ مَا اتَّخَالَفَ لِيْشَارَا

وترجموا للاطلال :

جِيَّتَكَ يَا رَسْمَ الْبَاهِيَّاتِ صَبَّتَكَ خَالِي مَهْجُودُ

سُكَّانَكَ جَابُونِي نَزُودُهُمْ لِلَّهِ وَأَيْنَ سَارُوا وَأَعْطَيْنِي الْاِخْبَارُ
وترجموا للمسجد :

لَوْ شَفَقْتَنِي كَمْ مِنْ حَبَابٍ دَخَلُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، مَنْ عَلِمَا وَأَقْطَابِ
مَنْ ذَاكَ الْيَوْمَ الدَّابَا وَالصَّلَاحُ اللَّيِّ اعْتَاكَفُوا فِيهِ سَنِينَ مُوَاضِبَا
وترجموا الانهار ...

مَلُوبَا ، مَنْ حَيْثُ عَايَرَتْ وَرَغَمَا بَيْنَ هَضَابٍ وَ"سَبُو" يَسْمَعُ لَخَطَابِ
وَاللَّيْرَ وَالسَّبَابَا وَالرَّغِيَانِ يَوْرَدُوا وَلَبَنَارَتْ عَلَى الْمَذَاعِبَا

لا بد من أن نعود الى "الترجما" مرة أخرى ، عند تناولنا للملحن المعاصر ، أما الآن ، علينا فقط أن نتم لها حصتها من
النماذج كباقي الاغراض .

"بَيْكُ مَالِيُون" كما لا يخفى على مثقف ، ينحت تماثيل الاجسام من الحجر ، ومن غير الحجر ، وقد نحت مرة تمثال امرأة
فأبدع فيه كما لم يبدع في أي تمثال آخر قبله ، ولما فرغ من العمل ، وأصبحت المرأة ماثلة أمامه تكاد تخاطبه ، أحبها ، وطلب
من الآلهة أن تهيبها الحياة ففعلت ، وارتمت المرأة في أحضانه وجن جنونه ، وقرر أن يتزوجها ... فصببت عليه اللعنات ...
وسمع الاصوات تردد من كل جانب "بيكاماليون الملحن" ... أو يتزوج الخلاق من مخلوقاته ؟ "هذه في سطور ، هي أسطورة
"بيكاماليون" وكما ترددت في اليونان قبل الاف السنين ...

وسوف يأتي "برنادشو" فيستوحي من الفكرة مسرحيته المشهورة : "سيدتي العزيزة" وستأتي السينما ، فتننتج المسرحية
في أكثر من فيلم ...

ويأتي "بن الصغير الصوري" - وقد مر معنا ذكره ... وسبقت الاشارة الى أنه شاهد عهد السلطان العلوي الحازم مولانا
الحسن الاول فيستوحي من الفكرة هذا الابداع الخفيف المرح ،

كَانُوا بِأَثْنَيْنِ مُسَافَرَيْنِ فَ : طَرِيقُ الْخَيْرِ مُرَافِقَيْنِ

وَأَحَدٌ فِيهِمْ نَحَاتُ صَانِعٌ رَفِيعٌ بِهِزَ جَمْعِ الْعُقُولِ ، مَا عِنْدَ بَنَادِمٍ مَا يَقُولُ ، مَنْ غَيْرُ صَوِيرِي مَا
يَطْوَعُ جَدْرَ دَالْعَرَعَارِ الْهَشِيشِ ، مَنْ غَيْرُ فُشْرٍ مَنْ نُونٍ فِيشُ كَايَصْنَعُ بَ : الْعَرَعَارُ شَيْ عَجَائِبُ مَا
يَشْرِيهَا الْوَيْزُ وَلَا جَوْهَرٌ وَلَا بَرِيزُ وَالثَّانِي كَانَ مُجَادِلِي ، وَفَ كُلُّ افْرَاحٍ مُوَاوِلِي

وَتَجَرَ دَغْيَا دَغْيَا غَنَاهُ أَتَايَ وَصَارَ مِنَ الْبَابِ يَبِيعُ وَيَشْرِئِي فَ : الْاَثْيَابُ ، عَنَدُو لَحْرِيرُ مَعَا

السَّابِرَا ، عَنَدُو الْمَلَفْ مَعَا الْكَامَر ، عَنَدُو لَفَوَالِي الْعَاطِرَا وَعَكْرَ وَالْحَرْقُوسَ وَالسَّوَاكَ وَالْكَحُولُ ،
وَمَا عَلَى الْجَمَالِ مَنْ حَمُولُ ، زَارُو مَقَامَ سَيِّدِي مَكْنُولُ أَوْسَكْنُولَا
خَرَجُوا فَ : السَّرُويَا مِنْ الصُّوِيرَا جَدُّوا فَ : السَّيْرُفَ : الْفَيَافِي وَأَقْفَارَ ، كَايَغْنِيُوا اشْعَارَ
قَاصِدِينَ بَعَزَمَ وَنِي الْبَهْجَا الْحَمَرَا



فَ : غَوِيَنْتُ سَيِّدِي يَاسُّنِ صَابُو صَاحِبَتَا بَنِ الزَّيْنِ
هَرُوهَ وَكَالَ كَلَامَ مَا نَقَدَ نَكُـوَلُو ، وَاللِّي قَوَا عَلَيْهِ فَضُولُو ، زَعَمَا
بَغَا يَسْمَعُوا ، إِجْجِي حَتَّى الْعَدْنَا وَيِرَافَقْنَا فَ جَمَعْنَا وَنَجِييُوا إِلَيْهِ خَيْنَا
وَحَدَاهُ نَهْرُوهَ إِلَيْهِ ، أَوْ يَسْمَعَ أَشْ يَكُولُ إِلَيْهِ ، عَنَدَاكَ يَكُولُ عَلَى سَفِيهِهِ لَحْدِيثَ قِيَاسَ وَغَايَتُو دَرَاوَهَ
قَابَطُ دِيكَ الطَّرِيقُ

وَرَجَعَ حَتَّى هُوَ رَفِيقُ ...

يَا مَا حَلَاهَا دِيكَ الْمَرَافَقَا ، مَنْ حَكَايَاتُو الْخَارِقَا ، وَالْمُغْرِبَاتِ رَايِقَا وَالضُّحُكَ أَوْ الْأَقْجَامَ فِي
طَرِيقِ السَّيَّارِ ، هَكَذَا دَارَ أَنْهَارَ ، رَوْحُو فِيهِ الْفَرْخَ عَرِيسَ لِلْمَسْرَا .

رَاحَتِ شَمْسُ أَنْهَارِ الْأَثْنَيْنِ دَقُّو قَيْطُونَ مُعَاوِزَيْنِ
تَوَضَّأُوا وَصَلَّوْا عَادَ جَبَدُوا الْعِشَا وَيَعْدَمَا تَرَايَا وَأَيَقَسَمُوا لِيْلِهِمْ
عَلَى الْعِشَا مَا بَيْنَهُمْ ، بِالْمَشْخَرَا ضَرَبُوا الْعُودَ ، عَاوَدَ ثَانِي ضَرَبُوا الْعُودَ
وَيَانَ شَكُونُ اللَّوْلِ أَوْشَكُونُ الثَّانِي ، وَجَا الْعُودَ فَ : التَّيْجَانِي

وَخَرَجَ مَنْ الْكَيْطُونِ يَنْوُزُ نُوَيْتُو ، يَحْرَسُ بِالْجَدِّ رَفَاقَتُو ، بَاشْ يَنْوُزُ وَقَتُّو ؟ وَيَاشْ يَتَوَنَّسُ ؟ صَابُ
صَنِيعَتُو ، صَابُ جَدْرَ دَالْعَرَعَارَ غَيْرَ مَرْمِي وَطُولَ مَنْ طُولَتُو ، اجْبَدَ أَدَوَاتُو وَزَادَلُو ، يَنْقَشُ وَيَدَقُّقُ
وَيَمْرِي بِالْمَلَائِكَا ، وَكَانَ مَسْكُونُ مَعَا الصَّنْعَا مَخْلَخَلُوا الْأَفْكَارَ ، وَلَا ابْهَالُو صَبَّارَ ... صَانَعُ تَقِي
... وَنَقِي ... وَمُعِيشَتُو مُعِيشَا مَرَا .

عَسَّ سَوِيْعَاتُ وَكَامِلِينَ وَنَحَتْ قَامًا تَسْبِي الْعَيْنِ
مُرَا خُمْرِيَا كَامِلًا وَقَفَّهَا وَقَفَا صَايِلًا

وَمَشَافِيْقُ مَنْ نُوبِتُو يَعْسُ ، وَتَكَا فَفَرِيَشُو نَعْسُ وَالتَّاجِرُ مَنْ حَيْتُ شَافَهَا ... اجْمَدَ فِيهِ الدَّمُ ،
أَوْفَهَى ، وَتَرَاجَعَ دَغِيَا وَعَرَفَهَا ، دَاتُ مِنَ الْعَرَعَارِ صَنَعَهَا دَاكُ الْجَنِّ ، وَبَدَّ يَخْمَمُ أَوْ يَتَمَكَّنُ وَيَعْدَهَا
مَشَا كَايَجْرِي لَصَنَادَقُو ، جَبَدَ قَفْطَانُ خَضَرَ دَا الْمُوْبَرُ وَقَمِيصُ مِنَ الْحَرِيرِ وَالسَّبِينِيَا وَزَوَاقَهَا مَشَجَرُ
، وَسَقَلَهَا كَثِيرُ وَالْعَبْرُوقُ أَوْعَصَابَتُو دَا لَوْبَرُ وَالشَّرْبِيلُ الْكَبِيرُ لَبَسَهَا .. نَبَتْهَا .. وَزَيْنَ لَهَا .. خَلَاهَا
فِيْنِ صَابِنَا لَلْتَبَّهَارُ ، وَفِيْقُ الْبَاعْمَرُ ، بَنُ الزَّيْنِ يَعْسُ الثَّوْبَا ، وَيَلْقَى لَمْرَا



فَهَا فِيهَا يَافَاهِمِينَ دَارَتْ بِهَ الدُّثْيَا فِ : حِينَ
زَكَا رَاسُو دَغِيَا وَزَادَ لِيهَا وَخَزَرَ فِيهَا مَلِيحُ ، طَيْرٌ سَبْنِيَّتَهَا الرِّيحُ وَعَلَى رَاسُو غَادِي تَطِيحُ ،
غُمَاتُو ، فَرَعَاتُو ، وَهُوسَاتُو ، وَقَلَّتْ لِيهِ الرِّتَاجُ زَادَ تَفَاكُمُ لِيهِ الْمَزَاجُ

أَوْ مَنْ هَازِي مُحَالَ وَاشْ بَاقِي يَفَلَّتْ

اتْلَاحَقَاتُ فِيهِ أَنْفَاسُو وَطَاحَ فِ : الْوُطَا كَايَلَهَتْ
لَوْكَانَ شَاهِدُوهُ وَنَاسُو مَسْكِينُ كَيْفَ كَايْتَمَرَتْ
اشْحَالَ عَادَ عَرَا رَاسُو

وَمَنِ شَافَ فِ : جَنَابُو صَابِ أَمَامَنْ شَلَاخُ الْعَرَعَارِ الْكِبَارُ أَوْ الصِّغَارُ
ابْحَالَ مَنْ جَاهُ أَوْ مَرْمَقُ لُو وَعَرَفَ الْجَرَا

عَادَ وَلَلْ عَنُو لَعِيَا وَعَادَ مَسْكِينُ انْهَارَ وَعَاوَدَ ارْفَعَ الْإِبْصَارُ
بَاشْ يَنْظُرُ هَازِ الْخَشْبَا وَجَاتُو حُكْرَا

كَيْفَ حَتَّى يَتَفَرَّغَ بِالْخَوَا وَهُوَ عِيَارَ مَا بُحَالُو عِيَارَ

وَيَاشَ مَنْ كِيدَ يَرَدُّ الصَّاعُ بَأْلَفَ عِبْرًا
 بَدَا يَخْمَمُ كَيْفَاشْ وَيَاشَ خَصَّ يَأْخُذُ بِالنَّارِ مَنْ خَسِيسُ التَّجَارِ
 عَلَى اللَّيِّ مَا خَبَرُوا وَتَخَانَفَاتٍ فِيهِ الْحَسَرَا
 وَبَعْدَ سَاعَا ضَرْبٍ كَفُوفُوا الْأَرْضَ ضَرْبَتْ تَطْهَارُ تَيْمَمٌ بِاخْتِصَارِ
 وَدَارُ لِلْقَبَلَا يَرْجَا خَالِقُو عَظِيمِ الْقُدْرَا
 وَغَيْرُ كَبَرٍ وَسَجْدَ سَجْدًا سَمِعَتْ عَطَسًا بِجَهَارِ أَحْيَاتٍ بَنَتْ الْعَرَعَارِ
 وَغَيْرُ سَلَمٍ طَاحَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَذْرَا سَمَرَا
 كَالِ لِيهَا نَبْغِيكَ تَفِيْقِي عَدِيمِ الْيَضْمَارِ أَوِ الدَّيْبِ النَّجَارِ
 وَغَيْرُ فَاقُوا شَعَشَعَ لَحْمَاقَ فَا : الْاِثْنَيْنِ بَمَرَا
 شَكُّونَ مَنْ حَقُّ يَأْخُذْهَا مِنْ اِثْلَاثَا يَذْكَارُ وَاهِيَا هَلْ الْاَفْكَارُ
 يَالْوَدَّ بَايَاهِلَ لَعْلُومَ نَعَمَ الْفَرَا
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّغِيرِ وَالسَّلَامُ فَا : الْاَشْعَارُ عَمَ سَايَرَ الْاَبْرَارُ
 وَالْجَوَابُ يَصِيْبُوا مَنْ رَادَ فَا : "الْبَيَاتُ الْعَشْرَا"

اللازمة:

هَـاَذِ هِي ، مَا هِي غَيْرُ مَنْ جَدَرَ دَالْعَرَعَارُ نَحْتُ مَا هَرَّ عِيَارُ
 دَمٌ وَلَحْمٌ رَجَعَتْ وَحَيَاتٌ وَلَلَاتُ مَرَا

شغل هذا السؤال الكثير من الناس مدة ليست بالقصيرة ، بل وجدتهم في حضيرة الملحون عندما التحقت بها في الاربعينات ، لا يزالون يرددون : "شَكُّونَ مَنْ حَقُّ يَأْخُذْهَا" تماما كسؤال من سبقت الى الحياة البيضاء أم الدجاجة ؟ ولقد قال عبد الواحد العصفوري لشيخنا الجليل سيدي ادريس متضاحكا فكر معنا ياسيدي ، من أحق بهذه المرأة من الثلاثة ؟ فقال له سيدي ادريس : ولماذا تريدني أن أفكر في شيء ما كان ، وإن يكن ؟ فقال العصفوري والبيضة فالدجاجة ؟ فقرأ سيدي ادريس قوله تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"

ويصرف النظر عن الفكرة التي قامت عليها هذه القطعة الأدبية الدارجية ما دمنا لم نعتز حتى الآن عن الأبيات العشرة التي تحمل الجواب ، بل ولا نعرف حتى هل هي سرابية من عشرة أبيات ؟ أو أعروبي في عشرة أبيات ؟ أو أنها عشرة أبيات من قصيدة ما من قصائده ؟...

بصرف النظر عن الفكرة ، يبقى الابداع كمرآة ساطعة تظهر فيها بجلاء مدينة الصويرة على عهد السلطان المقدس ، مولانا الحسن الاول تغمده الله برحمته .

في النحت مَنْ غَيْرِ صَوِيرِي مَا يَطْوَعُ اجْدَرَ دَالْعَرَعَارِ الْهَشِيشُ ، كَا يَصْنَعُ بِالْعَرَعَارِ شَيْ عَجَائِبَ تَبْهَرُ جَمَعَ الْعُقُولُ

الصناعة التقليدية ، الحضارة ، الرواج ، الفرص المتاحة ، الطموح الذي لا تضيق معه الفرص

... كَانَ مُجَادِلِي بَوَفِ كُلِّ افْرَاحٍ مُوَاوِلِي ، وَتَجَرَ دَغْيَا دَغْيَا غَنَاهُ أَتَايَ وَصَارَ مِنَ اللَّبَابِ ، يَبِيعُ وَيَشْتَرِي فَ : اللَّيَابُ .

وذاك الوصف الجميل النبيل لدعابات أوقات المرح وسويغات الانس ، وذاك التشخيص الدقيق للحظات الفزع المفاجيء والروع المباغت .

أَتَلَا حَقًّا فِيهِ أَنْفَاسُ وَطَاحَ فَ : الْوُطَا كَا يَلْهَثُ

ورحابة الترحيب ، وكرم الضيافة ، ودفع التالف .

يَجِي حَتَّى الْعِنْدَنَا ، أُوِيْدْخُلُ فِي وَسْطِ جَمْعِنَا ، وَحَدَاهُ نَهْرُوهُ لِيَهْ

على كل حال ربما لا يستغني من يؤرخ للصويرة ، أو يترجم لها عن شعر محمد بن الصغير الصويري ... لأنه يأتي من قلب أحياء الصويرة وأسواقها وبيوتاتها ...

وسوف يأتي معنا ذكر بن الصغير مرة ثالثة ، عندما نعرض للهجا وتتناول من ضمن ما سوف نتناول فيه ، تراشق فن الرزُونِ الصَوِيرِيّ أما الآن فإلى لمسة أخرى من لمسات الثقافة العالمية في الملحون إنه الموضوع الذي قامت عليه رسالة الغفران .. لأبي العلاء المعري ، و "الكوميديا الإلهية" ل: دانتي ، موضوع ما بعد البعث ، والحشر والحساب .

وقد سبقت الإشارة الى أن "الترجمة" لا تكون فقط في "النثر الفني السوسي" وإنما تكون أيضا في الشعر العمودي "لمبيت" وفي "مكسور جناح"

وهذه المرة مع "لمرماً الثلاثياً" من الشعر العمودي الموزون المقفى

كَانَ رَاجِلٌ مَعَا مَرْتَوْفَ : الدُّنْيَا عَشْرَ رَآنِي تَابِعِينَ الشَّيْطَانَ

لَا صُلَا لَا زَاكََا لَا صَوْمَ عَائِشِينَ عَلَى الْمُنْكَرَ

ويصف هذا المنكر في أبيات ، فيصور بيت الزوجية لهذين الزوجين وقد تحول الى حانة خمر وقمار تقع فيها من القانورات البشعة ما يجعل الشرفاء من الناس يتمنون إحراقهما في الدنيا قبل الآخرة .

ونحن نترك كل ذلك الوصف ، لننتقل مع الشاعر الى حيث يقول

نَهَارَ مَا تُؤْهَدُونَ بَزُوجِ يَا فَاهِمَ تَمَكَّنْ خَلَّوْصِي عَرِيَّـانَ
كَانَ خَادُو رَجُلٍ مَسْكِينٍ حَايِزُو عَنَدُو فَ : الدَّارُ

وينشأ الطفل اليتيم في بيت صلاح وورع ... ويحفظ القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ، ويتعلم من العلوم ما يصلح الحال والمال ... ويفتح الله عليه ... فيصير من السبعة بالصفات السبع .

اقْرَأَ الْقُرْآنَ تَفَقَّهُ فِي عِلْمِ دِينِ الدِّيَّانِ بَدَأَ يَقْرَأُ الصَّبِيَّـانِ
وَكَا يَحْدُثُ وَيَوَاعِظُ فَ : الْعِبَادُ وَيُرْتَلُ الْاَسْوَارُ

وهنا يقف وقفة خاشعة أمام فضائل القرآن ، وأسرار القرآن ، يختتمها بقوله :

نُورَ رَبِّي فَ : قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ سَرُّو رَبَّانِي بِهِ تَصْلَحُ الْأَزْمَانُ
عَزَّنَا فَ : الدُّنْيَا وَفَ : الْآخِرَى اَيْنَجِي فَ : الْمَحْشَرُ

ونفخ في الصور ، وانتهى كل شيء وقال الله ولا شيء معه : لمن الملك اليوم ؟ ليحيب عن سؤاله بنفسه جلت قدرته وتعالى عظمته : "لله الواحد القهار"

ونجدنا مع الشاعر الفيلالي فيما بعد البعث

جَا انْهَارَ الْمُوقَفِ لِعَظِيمِ وَالرَّجَالِ أَوْسَوَانِي شَاخَصِينَ بَ : الْأَعْيَانِ
فَ سَايِرُ الْأَنْبِيَاءِ وَتَبَاعَهُمْ شَلَا رَاتِ عِيَانِ

وينتهي يوم الحساب ، وتمتلئ الجنة بأهلها والنار بأهلها ... ويحدثنا الشاعر عن الشاب حافظ القرآن الذي نشأ في عبادة الله ، وهو يمرح في الجنة بين الحور :

فَ : حَرِيْنٌ نَادَاتُ حُورِيًّا وَقَالَتْ لَوْ أَيَا "بَانِي" يَا السَّاكِنُ لَجَنَانِي
رَأَهْ يَمَّاكَ اَمْعَا بَابَاكَ حَارَقَاهُمْ نَارَ الْحَرِّ

ويضحك الشاب من قولها ، ويشير الى الاسرة التي تبنته ، وهو يحسبها أسرته الحقيقية . وتتغاضى الحورية عن ضحكك وتؤكد :

ابـأَكْ فِي أَشَدِّ الْحَالَا ، أَمْكَ فِي شَرِّ أَمْحَانِي فِي غَمُوقِ النَّيِّرَانِ
وَسُؤْلِ اللَّيِّ رَبَّأَوْكَ بَالِثَيْنِ يَعْطِيُوكَ لَخْبَرُ

ويستفسر عن جلية الامر ويأتي الجواب مصدقا لما قالته الحورية :

كَالْلُو لَوَاهُ أَوْلَدِي الْبَاكُ وَسَطُ النَّيِّرَانِ أَمْعَا أَمْكَ فَا : التَّمَحَّـانِ
مَا أَحْتَا الْأَرْبَنَّاكَ يَا الْمَحْبُوبُ مِنْ صَغَرُ

وَمَا كَرَمْنَا رَبِّي إِلَّا عِلَّ الْخَيْرِ أَوْ الْإِحْسَانِ اللَّيِّ اَعْمَلْنَا بِنْتَانِ
أَنْهَارَ مَاتُوا وَحَسَنَّاكَ فِي مَعِيشَتِ دِيكَ الدَّارُ

ويتقترح المحسنة على الشاب حامل القرآن ، أن يتشفع لوالديه عند الله ويتوسل إليه بالقرآن الكريم ...

زَاوُكَ فَجُودُ اللَّهِ عَلَى الْبَاكِ وَمَكَ بَالِثَانِ بَجَاهَ حَقِّ الْقَرْعَانِ
مَا يَخِيبُ سَائِلَ رَبِّي كَرِيمَ يَسْمَحُ أَوْ يَغْفَرُ

ويتوسل الشاب الى ربه الكريم أن يعتقهما من النار ويدخلهما الجنة برحمته ويقول الله : لك أن تخرج أحدهما ... عليك أن تختار ... ويمضي الشاب الى حيث النار ... ويقترّب منها ... فتبتعد عنه . ثم يقترّب منها فتبتعد عنه ، وخازن النار في حيرة مما يجري ... لا الشاب تراجع عن النار ، ولا النار التهمته ... ويعلق الشاعر على المشهد :

"حَيْثُ مَا شِئِي مَنْ أَهْلُ النَّارِ كَاتِبَعْدُ بَلْعَانِي" ويتساعل هو أيضا فِي حِيرَةٍ لَكِنْ يَا إِخْوَانِي بِأَشْ
عَرَفَاتُو ؟ أَمْرٌ غَرِيبٌ بَايْنُ يَحِيرُ الْفَكْرُ

ويفترض افتراضات :

وَأَشْ شَمَا تُوصَابَتْ رِيحَتُو رَوَائِحِ الْجَنَانِي ؟ أَوْ هُوَ نُوْدَانِي ؟
غَيْرَ بِالشُّوْفَا عَرَفَاتُو ، وَكَاتَشُوفُ بِغَيْرِ بَصَرُ

ويأتي الامر الالاهي بالسماح للشاب بأن يدخل النار ليخرج منها من يختار من أبويه ...

ويبدأ في البحث عنهما ... وتثير انتباهه بعض الوجوه من أصحابه ومعارفه كان يحسبها في الدنيا وَجُوهَ الْجَنَّا ولكن سرعان ما نسيها في غمرة البحث عن أبويه ... وأخيرا يجد الام ... ويعرض عليها أن تخرج ... لكنها تمتنع :

سِيرَ خَرَجَ بُوكَ أَوْلَدِي اشْحَالَ قَاسًا لَمَحَانِي عَلَ اللُّقْمَا وَاحْزَانِي
وَالْيَالِي وَهَرِيدَ الْمَا فَ كُلَّ لَيْلٍ وَكُلَّ نَهَارٍ
اشْحَالَ مَنْ مَرًّا كَانَ مَرِيضٌ وَيَمْشِي جَسْمُو فَانِي كَا يَغَانِي وَيَنَانِي
بَاشَ يَاتِي لَنَا بِالْقُوتِ مَا تَخْلِيْهَشَ فَ : النَّارُ

وينزل عند إرادة والدته ، ويذهب للبحث عن والده ... ويجده ويخبره بما دار بينه وبين أمه ، ويعرض عليه أن يخرج معه ...
فيأتي هو أيضا :

امِيْمَتَكَ يَا وَلَدِي لِيهَا جَرِي عَلَيْكَ الرُّضْوَانِ حَارَقَاهَا النَّيْرَانِي
جَرِي عَتَقَهَا عِنْدِي هِيَ أَوَّلَا بَجْنَاتِ الرُّضْوَانِ
يَا كُدُوْرَتِي تَسْعُ شَهْوَرٌ فَوْسَطُ بَطْنِهَا فَانِي وَالْدَهْرَ عَاوَدَ ثَانِي
وَمَا رَضَعْتِي مَنْ بَزُوْلَةٍ حَلِيْبَهَا صَافِي الْأَعْيَارُ

ويحتار الشاب بين والدته ووالده ، ويلجأ مرة أخرى إلى ربه الكريم ويرحم الله ضعفه ، ويتكرم عليه بعنقهما معا ... وفي طريقه بهما إلى الجنة ... يتكره أهل الجنة ، من روائح النار التي تفوح منهما ... ويأتي الأمر الإلهي بغسلهما في "وادي الكوثر" سبع مرات ... ومرة أخرى يقع نظره بالصدقة على أناس كانوا في نظر غيرهم كفرة فجرة لا مال لهم إلا النار ...

وبعد ... إذا سلمنا بأن الفكرة التي قامت عليها قصيدة بن الصغير تسربت إلى مدينة الصويرة ... من تجار الشواطئ ، الذين كانوا يجوبون البحار المغربية جيئةً وزهايا . وللفننيين آثار لم تزل قائمة بالجزيرة إلى الآن . أو تسربت من القوافل التي كانت تمر بالصويرة سواء تلك التي تمضي من الشمال إلى الجنوب ، أو تلك التي تأتي من الجنوب إلى الشمال ، أو جاءت مع أفواج اليهود الذين تساكفوا مع المسلمين ، بل فاقوهم عددا في بعض الفترات ... إذا سلمنا بشيء من ذلك ، فإننا لا نسلم أبدا بأن الفيلالي بن الفيلالي قد جاعته الفكرة من هذه الجهة أو تلك ، أو بهذا السبب أو ذاك .

فهو بالتأكيد ما قرأ : "الكوميديا الإلهية" لدانتى . ولا سمع عنها ... لا ولا أطلع على "رسالة الغفران" للمعري ، ولا بلغه خبرها ... فالمسار غير المسار ، والطرح غير الطرح ، والقصد غير القصد ... ولا أثر فيها لاية أيديولوجية ، وما قلت عنها أنها لمسة من الثقافة العالمية ... إلا لأن الشاعر الممتاز ... قد تصل إبداعاته إلى مستويات عالمية ، وهو ما برح قريته أو : "كصره" ، فالإنسان الممتاز ، ممتاز في أي زمان ومكان ، ويكل لغة ولسان .

فلقد كان قصد القصيدة في بادئ الأمر ، ترغيب الآباء في تعليم أولادهم القرآن ، كما تفهم من بيت القصيد ، أي اللازمة أو "الحربا"

يَا لَيْلِي عَنَدُو تَرِيكَاً حَلَالاً تَقْرَأُ الْقُرْآنِي رَاهُ فَضْلُو فَضْلَانِ فَضْلُ ف : الدُّنْيَا وَفَضْلُ الْآخِرَى أَكْثَرُ يَا هَلْ لَفَكْرُ

ولا شك عندي أن هذا البيت هو أول ما خطر بباله ... وبشيء من التأمل فيه رأى أن عليه أن يبين بعض أفضال القرآن على أهله في الدنيا ، ففعل وأوضح أنه يصلح الحال والمال ، ويصلح ما فسد في الزمان وييسر العيش النظيف ، ثم رأى أن يوضح بعض أفضال القرآن في الآخرة ... فحاول ... فإذا به في هذا السياق ... فاستمر فيه وانساق معه الى النهاية ولكاني بالقصيدة كلها ماقامت إلا على تداعي الافكار و الفكرة عن الفكرة من بدايتها الى نهايتها ، وهي في مجموعها لا أثر فيها لاي لغم .. ف : الشاعر مثلاً لم يجد في الجنة أصحابه ، وفي النار خصومه ... بل وجد العجب ، وجد في النار من كان بعض الناس يعتقدون فيهم الخير ، ويرون أنهم من أهل الجنة ، ووجد في الجنة العكس تماماً ...

ثم أنه جعلنا في بداية القصيدة نذكره من الابوين ، ونشتمز من مآتيهما وفي نهايتها نتعاطف مع الشاب ونتمنى أن يعتقهما الله من النار بفضلهم ، وأن يدخلهما الجنة ورحمته .

بل وفرحنا له ولهما بالخروج ، ثم فوجئنا معه بتركه أهل الجنة لروائح أهل النار ، وأصبحت القضية وكأنها قضيتنا ، أو على الأقل هكذا تكون مع هذه القصيدة ، ونحن نستمتع إليها بأصوات فيلالية شجية رخيمة ، وبإلقاء معبر يوصل المعنى الى أعماق أغوار النفس ...

حسبنا هذا القدر من "الترجمات" والحديث عليها ، بل حسبنا هذا القدر من الحديث عن الأغراض ، لأن معظم شعر ما تبقى منها ومعظم نثره ... هو للمتأخرين ، وسوف نفتتح به الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله ... لنبني حاضر الملحون على أسس ماضيه ، ولنؤكد على أن الصلة بين حاضره وماضيه هي صلة وصل ... لاصلة فصل .





البديع في فنون الملحون

✱ البديع في فنون الملحون ✱

إن إشغال الفكر بالبديع يكاد يكون ضياعاً، لأن عهد البديع ولى وانقضى ... ولكن هذا لا يعني أن الكتابة عنه وخاصة في الملحون هي عديمة الجدوى ، لاسيما إذا علمنا أن البديع ، كان إلى الامس القريب قد سجل في الادب الشعبي من التحف الرائعة ما الله به أعلم ، وأرى أن لا أغفلها في هذا الكتاب ، وأن النقاد العرب قد أسهبوا في الكتابة عن بديعيات الادب العربي ، سواء في المشرق أو في المغرب في حين بقي بديع الملحون في زاوية النسيان ، ولذلك أحببت أن يطل القارئ ولو إطلالة قصيرة على هذا الجانب الذي كان في وقت مضى مهما بالنسبة للإبداعات الملحونة

ولقد عرف الملحون كل المحسنات اللفظية والبديعية بدون استثناء وستناولها جميعا في هذا الفصل ، ولو بنفس الاختصار الشديد الذي تناولنا به الجوانب الأخرى

التضمين

ضمن أهل الملحون شعرهم بعض الآيات من القرآن الكريم ، يقول مريفق في الحسناء التي يرمز بها إلى "العروبة" ، وقد جاعتنا من شبه الجزيرة العربية متمطية صهوة جوادها ، تماما كما وصفها "بجيوات" في قصيدة : "الضيف"

مَكْتُوبٌ عَلَى جَبِينِهَا : "أَلَمْ نَشْرَحْ" وَحُرُوفُ الزَّيْنِ شَرَحٌ وَيَكُلُّ فَصَاحَاً

سَعَدَ اللَّيَّ حَبَهَا بِقَلْبُو : "قَدْ أَفْلَحَ" يَتَامُ أَفْرَحَتْهُ عَلَى جَنْبِ الرَّاحَاً

هذا عن التضمين الحرفي ... أما تضمين المعاني ، فحدث عن البحر ولا حرج .

استوحى السي التهامي من قول الله عز وجل : وَالتَّفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ قَوْلُهُ :

وَالْتَفَّ السَّاقُ مِنَ الْفَرَقَا بِالسَّاقِي وَرَجَايَا فَالْجَلِيلُ لَكَرِيمِ الْبَاقِي

ووظف المشهد القرآني للكيفية التي غرق بها فرعون :

رَمَانِي فَ : الْبَحُورُ وَجَمَعَ لَمَلَاقي

وضمنوا شعرهم أمثال سائرة .. اقرأوا هذا المثل البديع ، وقد تكرر عند مريفق في أكثر من قصيدة :

هَازُوكُ يَضَايِفُوكُ يَاوَلَدَ الْعَرِيْفُ ؟ مَا فِيهِمْ غَيْرُ : فَمُ صَيْفٌ وَكَلْبٌ خَرِيْفٌ

وهذا المثل ... وهو أيضا من البادية ... "الصَّبْعُ لَعُوجٌ مَاوَاتَاوَهُ الْخَوَاتِمُ"

وقد سبق تضمينه في لامية العلمي ... بل ضمنوا شعرهم بعض الأمثال العربية ... وأيضا مريفق في الحالية :

كُلُّ مَنْ قَالَ مِنْ مَطِيرَا مَلِيَتْ لَمِــــرَاسُ قُلْ صَدَقَتْ حــــَدَامِي وَلَا تَعــــَاكُسُ

وعند لعميري في أول الاغراض

في " حيصاً بيضاً " ليس نفعاتو حيلاً

التجريد

يجرد الشاعر نفسه من المسألة ، ويتحدث بضمير الغائب ، كما لو أن الواقع ليس واقعه ، وإنما هو واقع غيره ، فإذا اطمأن الى أنه أثار انتباه المستمع ، وأنه اهتم بالمسألة الى حد أن اندمج مع فيها وانفعل بها ، وبدأ يتعجل النهاية ... حينئذ فقط ... يقول له : "أنا المعني بالامر"

نجد مثل هذا التجريد عند "التهامي لذغري" في "طالق المسروح مثلاً" ، استعمل ضمير الغائب لا في المقطع الاول ... ولا في المقطع الثاني :

دِيمَا مَدَامْعُو مَجْرِيَا تَجْرِي عَلَى الْخُدُودِ سَخِيَا
الْيَعْتُو ... وَتَزْلَعُو ... وَدَمُوعُو ... وَكَيْتُو وَوَجَاعُو ... وَفَرَايَحُو وَسَهْرُو ، وَمَحَانُو ف : الْهُوَى وَعَشَقُو ، وَأَشْوَاقُو وَالشَّغَابُ .

وَالْتَلْحَاحُ أَوْتَقَطِيعُ خَاطِرُو ، وَلَهِيْبُو وَمَحَاوِرُو وَفَقْدُو ، وَغَرَبَتُو . وَالنَّوَّاحُ وَخُدُو مَثَلُ الْمَلِيُوحِ بَيْنَ الْعَدَا ، مَنْ تَخَمَّامُو ... مَعَا غَرَامُو ... طَارَ مَنَامُو ... مَنْ نِيَامُو .
هَائِمٌ مَهْمُومٌ مَنْ هَجَرَتُو نَائِحٌ ، يَشْفِي النُّصَارَا وَلَا مَثَلُو حَمَامٌ ف : السَّتَوَّاحُ مَنْ فَقْدَ لَا مَتُو مَجِيُوحٌ . فَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَغْرُدُ مَسْكِينٌ مَا يُصِيبُ الصَّبْرَا مَنْ اللَّيْ تَقَاطَعُو الْاَرْيَاحُ .

☆☆☆

نَارُو افْخَاطِرُو مَكْدِيَا فِي قَلْبٍ مُهْجَتُو مَكْمِيَا
وَحَدُو عَلَى اجْمَرَ يَتَكَلَّبُ ، فَاِنِي عَلَى اللَّهِيْبِ مُصَلَّبٌ ، بِمَحَاوِرِ الْجَفَا مُتَعَذِّبٌ قَلْبُو هَمِيمٌ .
هَائِمٌ وَالْهَ عَطُشَانٌ ... مَنْ فَرَّاقُ احْبَابُو وَلَهَانٌ ... حَالَتُو عِدَاتُ الْيَرْقَانُ ، مَا يَطِيقُ صَدُودُ الْهَجْرَانُ ... وَقْتُ مَا يَتَكَلَّبُ ، يُوقَعُ فِي غِيَارُو ... مَنْ تَمَرَّارُو قَوَا كَدَارُو ... فَوْقَ اسْيَارُو
مَا يَحْنُ وَلَا يَشْفَقُ ... مَا يَرُوفُ ، وَمَصْمَمٌ يَا لَطِيفُ مَا يَطْلُقُ سَرَاحُ مَا دَارَ دُونُ : دُونُ الرُّوحِ
قَلْبُو مِنَ الْحَجَرِ وَالْهَنْدِ وَصَمَّ اَوْحَدِيْدُ زَادَ قُصَاخُ

فإذا كان المقطع الثالث يباغتنا بقوله : تسللا تصيف صائرٌ بي أي أنه يصف حاله هو . وليس حال غيره .
ونجد مثل هذا التجريد عند الحاج ادريس ، في مثل قصيدة زينب :

أَهْ عَلَى مَنْ شَافَ وَنَكَوَى بِالْجَمْرِ اللَّهَّابُ مَنْ نَارَ الْخَدِّ الْمُنِيرِ كَيَّ عَلَى
جَرَحٍ صَغِيرٍ

جَرَحٌ بِسَيْفٍ سَقِيلٍ عَنَتَرِي مَسْقُولٍ مَهْدَبُ
أَهْ عَلَى مَنْ كَانَ شَوْفَ عَيْنٍ لِبَلَاةٍ سَبَبُ وَلَا صَابَ أَشُومٍ لِيَعْتُو دُونَ الْوَصْلِ
طَيِّبُ

وَالْهَاجِرُ خَلَاءَ رَائِحٍ وَقَائِمٍ يَتَعَذَّبُ
أَهْ عَلَى مَجْرُوحٍ جَائِحٍ وَنَائِحٍ عِنْدَ الْبَابِ دَمْعُوفُوقُ الْخَدِّ مَا فَتَرَ
مِثْلُ الْمَطَرِ سَكِينُ

يَشْبَهَ قَيْسُ فُ : حَالُ غُرْبَتُو مَفْقُودُ مَغْرَبُ

فهو حتى الآن لا يتحدث إلا بضمير الغائب ، وأن الآمات الثلاث التي افتتح بها الابيات الثلاثة كانت وكأنها عن غيره ،
فإذا ما اطمأن إلى أن المستمع بدأ يهتم بالقضية ... وبدأ يتساءل : من هو هذا التمس الذي عاش هذا الواقع ، سارع إلى
القول في البيت الرابع :

حَالِي مَنْ حَالُوْ لَا يَشَابَهُ لِيْ فُ : عَذَابُ مَنْ فَكَّدَ اللَّيْ حَبَّهَا تَرَكَتْنِي تَحْضُرُ وَتَغِيْبُ
ضَبِيَّاءُ تَلْعَبُ بَ : الْأَسَدُ لَعَبُ الْخَمْرِ بَ : اللَّبُ

هذا هو التجريد كما تعارف عليه شيوخ الملحون الأوائل ... بل وكما عرف به ناقد عربي كابن كثير في كتابه "المثل السائر"
وهو - في نظر شعراء العصر من أمثال عبد المجيد وهيبي ، وبوشعيب مجبور وأمثالهما - تجريد شكلي متجاوز ... إذ التجريد
الحق هو تجريد معنى الصورة من الصورة نفسها ، وعرضه للناس على حدة - تجريد المضامين من أشكالها وطرحها بمفردها
تجريد الاحاسيس من الاحساس ، تجريد المشاعر من الشعور ، تجريد الخلجات من الاعماق التي تخلق فيها ، ومحاولة
استخراج كل ذلك من قلب ظلمات أغوار النفس ، ونشره في العراء ، تحت أشعة الشمس

والحق أن بعض شعراء العصر - وسنتعامل معهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله - نفذوا إلى المراتب وعانوا

منها بمشاهدات ، فهم لا ينظرون بالنظر بقدر ما يبصرون بالبصيرة .

فالمتظورات عندهم إذا لم تفضي إلى مشاهدات ، فهي لا تستحق أن ينظروا إليها . اللهم الله إلى ما يحبه ويرضاه ، فلقد زودوا الملحون المعاصر ، بكل ما يمكنه من البقاء في محله الرفيع ، بين سائر الفنون المعاصرة ، كما كان في كل عهوده الزاهرة ، ولنعد إلى البدیع وكما كان في الماضي .

"الجناس" ويعرف بين أهل الملحون بالتجنيس وهو اللفظ المشترك أو بعبارة أوضح : أن يكون اللفظ واحداً ، والمعنى مختلفاً

فعندما يقول أبو تمام مثلاً :

فأصبحت "غرر" الأيـام مشرقة

باليمين تضحك من أيـامك "الغرر"

تكون "الغرر" الأولى استعارة من غرر الوجه ، و "الغرر" الثانية مأخوذة من غرة الشيء ، وكذلك عند ما يقول شاعرنا الكندوز :

مَا شَفَكَ تَعَذَابِي وَلَا "مَحَانِي"

سِيفُ الْجَفَا "مَحَانِي"

تكون "محاني" الأولى جمع محنة ، و "محاني" الثانية : لم يترك لي أثر .
وعندما يقول البحترى :

إذا "العين" راحت وهي "عين" على الهوى

فليس بسر ما تسر الأضـالع

تكون "العين" الأولى : العين المعروفة ، و "العين" الثانية "الجاسوس" ، وكذلك عندما يقول شاعرنا امتيرد :

"كَتَافِي" مَنْ الْهَجْرُ يَا شَارِدَ الْعَفَا خَفَّفَ حَمْلَ الْجَفَى الَّتِي هَذَا "اكتافِي"

وَأَنْعَمَ لِي بِالسَّرَاحِ مَنْ قَيْدَ "اكتافِي"

تكون "كتافي" الأولى بمعنى : كفاك ، والثانية بمعنى : كتفائي أما الثالثة فتعني قيدي

وهكذا أشرك الجيلالي امتيرد ثلاث معانٍ في لفظة واحدة لم تتغير ، ولست أريد أن أطيل في الاتيان بالأمثلة والنماذج ، إذ خير الكلام ما قل ودل .

وحسبي أن أسجل هنا : أن القصيدة التي تسمى بهذا الاسم : قصيدة مجنسة تكون جميعها مجنسة ، ولا يخلو أي بيت من جناس ، أضف الى هذا أن الجناس في القصائد المجنسة يلزم أن يكون في آخر لفظة في الصدر ، وآخر لفظة في العجز هذا إذا لم يكن البحر ثلاثيا أو رباعيا ، فما فوق ، أما إذا كان كذلك ، فالجناس يكون في لفظة قافية كل شطر من الاشطار الثلاثة ، أو الأربعة ، أو ما فوق ، ذلك في حين ، أن الجناس في الشعر العربي يكون دائما حيثما اتفق ، وأينما تيسر ، هذا باختصار هو الجناس ، أو التجنس في الشعر الملحون ، ومن أراد المزيد فليراجع القصائد المجنسة ، غاسق الانجال للكنوز راحة المهج للزفري - الهيفا للجيلالي متيرد - الهيفاء للحاج ادريس ، ومجنسات أخرى لشعراء آخرين .

الترزم إنه لزوم مالا يلزم ، ولا يبي العلاء المعري فيه صولات وجولات وكذلك الحاج أحمد الغرابلي في "مليكته" وبين سليمان في الرعد ، والعميري في "الغربة" والكنوز في أكثر قصائده وغيرهم كثير .

ومن أمثلة هذا النوع من البديع ، أعني لزوم مالا يلزم ، هذه الابيات من قصيدة مليكة للحاج أحمد الغرابلي .

أَيْلًا وَفِي مِيعَادَكَ

رُوحِي نَهِيْبٌ لَفْدَاكَ

نَنْكِ اَعْدَايَ وَعَدَاكَ

★☆☆

نَبِيْفِي تُوْدُنِي وَتَوْدُكَ

وَزَيَارَتِي اَجْعَلْهَا وَرْدَكَ

حَتَّى حَبِيْبٌ مَا هُوَ بِعَدُكَ

يَا مَنْ قَوَامٌ قَدَدُكَ

مَرْهَافٌ اَسْقِيْلُ هَا زَمَ اَعْدُوكَ

وَيَحْدُ نَاسٌ حَسْبُكَ

تلاحظون أن كل شطر من هذا المقطع ينتهي ب : الدال قبل الكاف فإذا كان في مقطع آخر يعوض الدال ب : الراء ويترك الكاف على حاله كقافية رئيسية ثابتة ويقول :

مُحَاسِنُكَ وَسَمِيرَاكَ

فَتَنَّةٌ لِكُلِّ مَن رَاكَ

وَبِهَآكَ لَيْسَ يـــــــدْرَاكَ
لَا زَلْتُ أَرْتَجِي بِشـــــــأْرَكَ
يَأْنِي لَمَنْزِلِي بَخْبـــــــأْرَكَ
وَيَفِيـــــــدْنِي بَصَحْ أَمْرَآكَ

وهكذا يمضي بالقصيدة من بدايتها الى نهايتها الكاف هو الكاف والحرف الثاني ، الذي يلزمه يعوض بأخر في كل مقطع ومنهم من يلتزم بحرفين اثنين لا يتغير أي حرف منهما في كل القصيدة ، وذلك ما فعله أحد المتأخرين في قصيدة القلب :

الْيَوْمَ أَقْلِبِي رَأَيْدُ نَسْأَلُكَ
تَسْأَلُ وَالْ مَنْ تَعَذَّبُ بَعْدَآبِكَ يَا الْقَلْبُ وَرَيْتُ لِي لَهْلَاكَ
لَلَّهْ أَحْكِلِي شَايِنْ جَرَاكَ
وَرَوِي قَصِيَّتَكَ يَا قَلْبِي نَصْغَاكَ لَا يَنْبِي مَا عَنـــــــدِي الْإَكْ
أَنَا الْمَمْلُوكُ أَنْتَ اللَّي مَالُكَ
إِلَى سَعْدَتِي نَسْعُدُ وَيَلَا نَبْلِيَتْ لَا غَنَا نَتَّبَلَا بِيـــــــلَاكَ
شَوْفُ لَجَسْمِي مَنْ حَرَقْتِكَ هَاكَ
وَالْعَقْلُ يَا قَلْبِي سَاكِنُ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ أَوْ الْإَنْجَمِ أَوْ الْإِفْلَاكَ
وَالدَّمَغُ فْ : خَدِّي شَاقُ مَسْأَلُكَ
هُوََادُ مَنْ جَفُونِي غَلِيَانُ تَقُولُ طَابُ عَنْ صَهْدُ لَهْيَبُ صَلَاكَ

ومن بديعيات الشعر الملحون كذلك "النشيب" ، وهو أن يكون أول الشطر يبتدىء بأخر الشطر الذي قبله كما فعل بوزيان في قصيدة المحبوب.

أَمِنْ تُلُومِنِي شَعَلْتُ نَارَ ادْخَالِي ادْخَالِي كَاوِي بِفَرْقَةِ الشَّمْلَالِ
شَمْلَالُ مَنْ فَرَاقَهُ لُعْقِيلُ مَشَالِي مَشَالِي وَالنُّومُ ضَجَّ مِنْ الْإَنْجَالِ
الْإَنْجَالُ عَلَى الْخَدِّ دَمَعَهَا سَلْسَالِي سَلْسَالِي يَهْوَى كَمَا الْمَطَرُ هَطَالُ

أو أن يكون أول البيت بيتدي ، بأخر شطر من البيت الذي قبله أو ما قبل الآخر . مثل ما فعل التهامي لدغري في قصيدة "فارحة" :

سَأَلْتُكَ بِبَهْكَ يَا لِرَائِحِ مَالِكُ سَكْرَانَ دُونَ رَاحِ
وَنَآءَ عَقْلِي مَعَاكَ رَاحِ بِكَأَيْتَ مَنْ لِيَعَةُ الْقَرَايِحِ
سَاهَرُ وَالنَّاسُ رَايَحَةُ
"بِكَأَيْتَ مَنْ لِيَعَةُ الْقَرَايِحِ"
عَقْلِي بِهِ وَكَأَنَّ مَا ارْتَحَاحِ
وَبَقَرْدُ غَيْرِ رَاحِ أَحِ
"بَيْنَ التَّهْـلُوكِ وَالْجُودِ وَأَيَّاحِ"
كَأَوِي بِجَمَارِ لَافِحَةِ
بِالشُّوْقِ نَكَمَدُ الْجُورَاحِ
وَنَصَارَعُ دَقَّةَ اللَّمَّاحِ
وَالْفُجَاءِ مَابَغَا يَسَامُحِ
وَلَا يَدْرِي أَمْسَامُحَةِ

وَالْغَالِبُ مَا أَبْغَا يَسَامُحُ ... وهكذا .. سلسلة أبيات متصلة الحلقات من أول القصيدة الى آخرها .

"أما التصريح" لا من ناحية الشكل ، ولا من ناحية المضمون ، لا تخلو منه أية قصيدة من قصائد الملحون على الإطلاق .

أقول التصريح من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون لعلمي : إن التصريح من ناحية الشكل ، هو أن تكون القافية من البيت في الصدر والعجز معا ، وعلى هذا قامت قصائد الملحون جميعها ، وليست في مطلع القصيدة فقط . كما هو الشأن في الشعر العربي ، وإنما في القصائد كلها . ومن أولها إلى آخرها ، ومن دون أدنى تكلف أو تصنع وهذه وحدها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة القدرة في أفانين الكلام عند جميع شعراء الملحون .

أما التصريح من ناحية المضمون ، ففيه مراتب منها :

أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج الى صاحبه الذي يليه .

مثال ذلك ، قول امرئ القيس :

أفأطم مهلاً بعد هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرماً فأجملني

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج الى ما يليه ومثله قول : "عبد القادر العلمي" يناجي خالقه
بَابُ الْإِجَابَةِ عِنْدَكَ مَا تَسْدُ بِقِفَالٍ

مُخَارَظَتِكَ مَفْتُوحَةً لِلْسَّاعِي بِحَالٍ

ومنها : أن يكون المصراع الاول مستقلاً بنفسه ، غير محتاج الى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به
كقول المتنبي مثلاً :

الرأي قبل شجاعة الشجيمان هو أول وهي المحل الثاني

أو كقول المدغري :

يَا الْفَرْصَةَ صَوْلِي ، صَوْلِي بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ سَاكِنَكَ سَيِّدِي وَلَدَ السَّاكِنِينَ طَيِّبَةً

فالمصراع الاول في كلا البيتين ، غير محتاج للثاني في فهم معناه ، لكن لما جاء الثاني ، صار مرتبطاً به
على العموم ، التصريح بكل مراتبه المعروفة في الشعر العربي ، له نماذج كثيرة في الشعر الملحون ، بل ان قصائد الملحون
جميعها نماذج له .

وهذه القصيدة لعبد القادر العلمي خير دليل :

يَا لَلِّي قَلْبُهُ بَعْدَ زِيَانٍ عَاوَدَ شِيَانٍ يَا لَلِّي عَدَّتِي مَن شُورِي حَذِرَ نَاكَرٍ
يَا كَمَا دَخَلُوا مَا بِنَاتِنَا الْعَدِيَانِ يَا كَمَا عَوَّلْتِي مَن جَانَّبِي تَسَاكَرٍ
قَصَدَتْ شَاطِأُ نَهْرَكَ زَعَمًا نَعُودَ رِيَانٍ مَشَارِيكَ نَدِيرَهَا وَنَعُودَ بِكَ ظَاكَرٍ
أَحْسَنْتَ فِيكَ النِّيَّةَ وَقَرِيتَ فِيكَ الْإِمَانُ حَيْثُ كُنْتُ تَاتِيَنِي كُلَّ يَوْمٍ زَايِرٍ
إِلَيْكَ حَزَتْ اِكْتَا فِي وَحْيَتُ بِكَ فَرَحَانٍ عَلَ الْكَلِمَةِ وَالطُّاعَةِ مَا نَخَالَفَ أَمْرٍ
حَاجَتَكَ نَقْضِيهَا دَغِيًّا بِشُوفِ الْأَعْيَانِ مَعْتَتِكَ نَفْهَمُ دُونِ الرُّمُزِ وَالْأَشْيَاءِ أَيْرٍ
إِلَى حَضْرَتٍ تَحْضُرُ لِي مَعَاكَ الْإِدْهَانُ إِلَى تَغِيْبٍ تَدْهَلُ وَيَغِيْبُ لِي الْخَاطِرُ

بَاشْ نَطْفِي نِيرَانَكْ مِنْ صَمِيمِ الْاَكْثَانِ
نَارُ حُبِّكَ مَا تَطْفِئُهَا مِيَاهُ وَيْـدَانِ
مُحِبَّتْكَ يَشْهَدُ لِي بِهَا الْإِنْسُ وَالْجَانِ
جِيتْ نَكْتَمُ حُبُّكَ مَا فَادَ فِيهِ كُتْمَانِ
لَيْعَةُ الْقَلْبِ سَفُورَتُهَا فِي الْوَجْهِ تَبَانِ
تَزُودُنِي حَتَّى يَشْرِقَ مِنْ ضِيَاكَ الْمَكَانِ
تُرُوفُ حَتَّى يَبْدَأَ حَالِي مَعَكَ تَرْيَانِ
إِلَى هَذَاكَ عَلَى الرَّحْمَانِ يَا الْغِيْضَانِ
إِلَى اخْطَأْتُ ، أَوْ اغْلَطْتُ مَعَكَ يَا الْفَتَانِ
دَرْتُ مَدْحَكَ مَا بَيْنَ بَدْرٍ أَرْضَنَا شَانِ
فَرَحْتُ سَاعَةَ زَرْتِنِي يَا هَلَالَ الْمَكَانِ
نُكْتُ سَاءَ شَرِبْتِنِي اَكْوَرَسْ هَجْرَانِ
يَاكَ الْوَفَا الْعَفَّةُ مِنْ شَرْوُطِ الْإِحْسَانِ
يَا أَلِيَّ مَا مَيَّا لِي مِنْ مَدِيحِكَ لِسَانِ
وَيَاشْ يَبْرُدُ مِنْ قَلْبِي حَرَّهَا الرَّافِرُ
وَلَا تُحْدِ جَمْرَهَا مُوجَاتُ بَحْرٍ زَاخِرُ
مَا بَقَا لِي مَا نَكْتَمُ بَحْتَ بِالسَّرَايِرِ
وَلَوْ نَكْتَمُ عَشْقِي حَالُ الْعَشِيقِ ظَاهِرُ
وَاللِّسَانُ يُخْبِرُ بِالنَّعْتِ وَالْإِشَارِ
تَغِيبُ حَتَّى مَا يَبْقَى مِنْ بَهَاكَ أَثَرُ
وَحَيْثُ تَهْجَرُ يَرْجِعُ سَعْدِي مَعَكَ خَاسِرُ
رَدَّ سَيْفِ صَنْوُودِكَ لَجَوَاهُ يَا الْقَاصِرُ
رَأَيْتُ قَطَعْتِي قَلْبِي بِسَيْفِ بَاسِرِ
كَيْفَ يَفْخَرُ بِمَدِيحِ الزَّيْنِ كُلُّ شَاعِرِ
بَتَ ذِيكَ اللَّيْلَةَ مِنْ دُونِ خَمَرٍ سَاكِرِ
بَاتَ دَمْعِي فَوْقَ خُدُودِي سَكِيبُ كَاطِرِ
وَالسَّمَاحَةُ مِنْ بَعْدِ الْقَلْبِ طَبَعُ وَأَفْرُ
وَأَشْ تَعَذَّبِي يَطْلُعُ لَيْكَ فِيهِ الْإِجْرُ
هذه واحدة : عشرات الالاف ، من قصائد الملحون المبعثرة هنا وهناك فماذا في هذه القصيدة يا ترى ؟

لا جدال في أن فيها عاطفة صادقة ، وحرارة انفعال جد مرتفعة ، وتعبيرا عن هذا إلا أن كقول ما يكون التعبير أضف الى ذلك التصريح الرائع الذي يتجلى في كل شطر من أشطارها ...
أعيدوا قراءتها يا أعزائي القراء ، لتلاحظوا أن ليس من بين أشطارها شطر واحد لا يظهر معناه كاملا إلا ببعض الذي يليه أو كل الذي يليه كما هو الشأن مثلا في هذا البيت للمعري :

يفادر غايه الضرغام كيما ينار ع ظلي رمل في كناس

يعتبر في عرف أهل الملحون رديء التصريح ، وأرد أمنه في فهمهم هذا البيت ليشار :

حـــــوراء ان نظرت اليك سقتـــــ
ك بالعينين خمـــــرا

ويعلقون عليه بقولهم : "ماكفاه تمزاق المعنى قطع الكلمة"

وخلاصة القول ، هي أن فن القول قد خضع لشعراء الملحون ، ودان لهم بالطاعة دون غيرهم ، فاستعملوه وأحسنوا استعماله .. لكن بالدارجة .. انما ماذا يضير الشعر والادب اذا كان بالدارجة أو بالسوسية ، أو بتمازيغت الشعر والادب ، هو الشعر والادب في أي زمان ومكان ، وبأي لغة ولسان ... هو :

هَبْهَ هَآذَ الشَّعْرَ الْعَبَادَ وَهَبَهَا مَوْلَاهُمْ رَوْحَ وَرَحْمَةٍ لِلْقُلُوبِ وَضِيَاءَ نُورِ الْإِفْهَامِ
بَرْدَ وَسَلَامٍ أُونُسِيمٍ فِيهِ لِلرَّوَّاحِ ذَوَاهُمْ فِيهِ الرَّاحَةُ لِلنَّفُوسِ لَا تَحَاسِبُوهُ وَهَامِ

رحم الله السي اسماعيل ، لقد عرف كيف يعرف بالشعر ، في بيتين اثنين فقط أنها قصيدته "لمزركشة" تلك التي اعتبرها شخصيا لوحات رائعة من معرض الكون الهائل ، تحدث فيها عن البحر ، والليل ، والمطر والشعر ، والحب ، والحياة ، والناس والشقاء والبؤس ، وعن السعادة والهناء والامل ، واليأس .. و .. أشياء كثيرة ، لابد أن أطلع القراء عليها عند تناولي للشعر المعاصر إنشاء الله .

بقي أن أقول عنها أنها من لزوميات السي اسماعيل ، ولكن التلزم ما خلق الا لها ... وأن تصريح أبياتها في منتهى الروعة .. وبها وبأمثالها من القصائد الخالدة ، كتب الخلود للشعر الملحون.

ومن بديعيات الشعر الملحون "السجع" أو التسجيع على حد تعبير أهل الملحون .

يقول التهامي المدغري في قطعة : "طالق المسروح" وهي قطعة من "أدب السجع الملحون" كما سبق القول زَحْمِيَّة ، وَسَالِي فِيهِ ، عَالِجِيَّة ، وَدَاوِيَّة وَسَاعِفِيَّة كَافِيَّة ، لَا تُحَافِيَّة ، تُعَالِي لِيهِ ، مَعَ الطُّفْلَاتِ لِلرَّسَامِ وَيُقِفْ هُنَا ، وَأَحْسَ بِهِ يَلْهَثُ مِنْ كَثَرِ مَا هَرُول ، وَيَبْطِئُ الْجَرَسُ الْمَوْسِيقِي وَيَطِيلُ جَمَلُ السَّجْعِ شَيْئًا مَا .

تَعَالَوْا لِي بِجَمِيعِكُمْ ، تَتَوَصَّلُ بَيْنَهَا زَيْنُكُمْ حُرْمَةُ مَوْلَاكُمْ مَنْ أَنْشَأَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
وَلَاخُنِي فِي عَشْقٍ هَوَاكُمْ ، وَدَرَانِي يَسِيرُ بِهَاكُمْ إِلَى آخِرِهِ .

ويقول بلقاسم في "مينة" وهي أيضا قطعة من أدب السجع الملحون

"مِينة فِي رِيَاضِي كُلِّ أَنْ ، تَتَعَالَى مَا بَيْنَ الْأَغْصَانِ ، فِي حَرَائِجِ بَلْعَمَانِ"

بَيْنَ وَرْدٍ وَيَاسٍ وَسُوسَانٍ ، وَالْأَغْصَانِ يَنْتَبِهُوا تَيْهَانِ ، بِأَهْنِي أَحْدَاهَا

جَمَعَ الْأَلْوَانَ ، فَاقَتْ بِالْقَدِّ الْخَيْرِزَانَ ، وَالْبَانَ أَمْنِيَنَ تَبَانِ ، وَسَطَّ

تُسْتَانِي بَيْنَ أَغْصَانِ ، كَايْتَنْدَقُ لِيهَا .. إِلَى آخِرِهِ .

الاشتقاق في الشعر الملحون ... أو التشقيق كما يسمى عندهم . ومثال ذلك قصيدة "مسعودة للتهامي المدغري

قُولُوا لِمَسْعُودَةٍ يَا طُلُوعُ كَوَاكِبِ الْأَسْعَادِ"

أَنَا مِنْ سَعْدِي "سَعَادَتُكَ وَتَتِ مَسْعُودَةٌ" وَتَنِي "سَعْدُ السَّعُودِ" وَتَتِ هِلَالُ السَّعُودِ"

فهو يشتق من اسم المحبوبة : "كواكب الاسعاد" و"سعدة" أي حظه من ساعاتها "ثم أنها مسعودة" أي محظوظة ، وبالتالي ، هي "سعد السعود" الذي يبشر بالربيع ، وهي هلال السعود .

وهكذا يمضي في شحد قصيده بمعطيات هذه المشتقات ، وهو لا يعدو التفرز في حبيبته ، والتغني بمحاسنها ، ومفاتها ، فهو من مواليد ليالي كواكب الاسعاد ، ولهذا مسعودة من "سعدة" أي من حظه ، وحيث أنها : "مسعودة" أي محظوظة ، كان من نصيبها هو ... ومن هو ؟ وهنا يمضي في التعريف بنفسه كشاعر مبدع وكانسان خلاق ، وكعقري ملهم .

يرى أن الشعر والحسن توأمان وأن التفرز بمحاسن الجميل ، تعويذة لتلك المحاسن ، وهكذا الى أن ينتهي القصيد .

كذلك فعل المدغري في قصيدته "مسعودة" وكذلك أيضا فعل أحد المتأخرين في "قاطمة" اشتق من اسمها "القطام" .

وذهب يقول : إذا ما أقطموا الطفل عن لبن ثدي أمه ، عوضوه له بشيء آخر ... وأنا : أنا الذي ليس لي سواك ، ولا أستطيع أن أحب غيرك ، فبماذا يا ترى أعوض هواك ؟

أَنَا قَطْمُونِي عَلَى هَوَاكَ أَبَاشَةَ الْأَرْيَامِ

وَتَنِي مَقْطُومَةً عَلَى عَذَابِي يَا فَطِيمَا وَيَلَا كُنْتُ أَذْنِبْتُ فَأَيْنُ عَفْوِ صِيْلَةٍ لَكَرَامٍ ؟

كان هذا هو فن البديع كما اتفق النقاد العرب على تسميته منذ القدم ، ومن الفنون البلاغية أيضا ، تجسيم مالا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد ... وسوف نكتفي بأغنية ملحونة واحدة "سرايا" ... كنموذج للدلالة على وجود هذا الفن في الملحون كثيره من سائر فنون البلاغة ... ما ذكرت منها وما لم أذكر .

فَصَلَ الرَّبِيعُ أَقْبَلَ وَالْوَقْتُ زَيَانٌ وَعَلَامَاتُ الْخَيْرِ لِلْوَرَى بَانُو

جَادَ الزَّمَانُ وَضَحَكَ ثَغْرُ السَّلْوَانِ

من هنا نبدأ "وضحك ثغر السلوان" أو "السلوان" أو "السلوا" أو "السلوى" ماهي الاحالة شعورية مريحة جسمها الشاعر ، وجعل لها الثغر ... وتركها تضحك تماما كما تعامل البحري مع "الربيع الطلق" في هذا البيت :

"أتاك الربيع الطلق يَخْتَالُ ضاحكا" من الحسن حتى كاد أن يتكلم "فهنا جسم البحري الربيع الطلق وجعله يفتال ويضحك ، هناك جسم رجل الملحون "السلوان" وأكسبه الثغر ، وجعله يضحك ، وكلاهما لا يجسم لا "السلوان" ولا الربيع .

جَادَ الزَّمَانُ وَضَحَكَ ثَغْرُ السَّلْوَانِ وَالنُّكْدُ تَفَاجَأَ وَزَالَتْ احْزَانُو

وَبَطَّائِحُ الزَّهْرِ عَلَى كُلِّ الْأَلْوَانِ تَسْبِي مَنْ رَأَاهَا بِشَوْقَتِ أَعْيَانُو
وَالْأَرْضُ غَيْرُ حُورِيٍّ مَنْ رَضُوَانِ لَبَسَتْ مَنْ ثُوبَ الدِّبَاجِ حِيَجَانُو
"صَبَحَتْ" بَارِزًا فَ: كَسَاوِي حَسَانُ دَامَ اللَّهُ جَمَالَهَا وَحَسَانُو

وهنا أيضا يجعل من الأرض ، العروس الحسناء ، وقد تزينت بأفخر الأزياء ، وتزينت بأثمن الحلبي .. و .. "صبحت" بَارِزًا" لفظ "صبحت" لا علاقة له بالظرف الزماني على الإطلاق .. بل هو اصطلاح يطلق على تقليد .. الصبوحى " أو "الصباح" هو الحفل الذي يقام للعروس البكر المصون وقد جعل منها زوجها امرأة .. ربما لا يقام حفل "الصبوحى" أو "الصباح" إلا بعد الظهر ويبقى اسمه "الصبوحى" ويعد أن يأتي الفطور .. من دار لعروسة" ويعد أن يقدم الزوج لزوجته هدايا "الصبوحى" ... يبدأ الاستعداد لـ "البرزا" أو "أبراز" وهو تقليد آخر من تقاليد "العرس المغربي"

وشتان بين "بارزا" في البيت الأخير وبين "تبرجت" في هذا البيت لابن الرومي ، والأرض هي الأرض لا عند شاعرنا ، ولا عند ابن الرومي

"تبرجت بعد حياء وخفر" تبرج الانثى

الحفر هو الخفر ، "النكافات" "القلات" "لوزيرات" إلا أن العروس عندنا تكون "بارزا" في حياء .. وحتى إذا ما جاوا بالزوج لينظر إليها وهي في أكمل زينتها ... لا تنظر إليه ، لا تحببه ، بل لا تبسم له حتى مجرد ابتسامة ...

لكنها عند ابن الرومي "تبرجت بعد حياء" وهذا كله لا يهم .. المهم هو أن شاعرنا جسم الأرض وجعلها العروس البكر المصون "صَبَحَتْ" بَارِزًا فَ: كَسَاوِي حَسَانُ" وابن الرومي جسم الأرض وجعلها غانية من الفواني الحسان وقد تبرجت بعد حياء وخفر .. والشعر يقبل هذه الصورة كما يقبل تلك والمعلول ليس إلا على صدق التعبير ، وجمال العرض وأن تكون كل صورة في إطارها الحقيقي

مَهْمَا نَظَرْتُ بِأَعْيَانِي فَ: كَمَالَ زِينَتِهَا وَمَحَاسِنَتِهَا بِأَحْ كُلُّ مَكْنُونِ
طَبَّعِي مِنَ الصَّفَرُ فَـأَنِي وَقْتُ الرَّبِيعِ تَوَجَدَنِي مَا بَيْنَ الْحَرَّاجِ مَشْطُونِ
تَنْشِي الْفَاطَ وَمَعـْأَنِي وَأَهْلَ الْهَوَى يَعْرِفُونِي مَا هَرَّ مِنْ أَصْحَابِ لَفْتُونِ
وَالْيَوْمَ هَرْنِي سُلْطَانُ الْغِيَوَانِ وَنَطَقَ مُوَلَايَ الرَّبِيعِ بَلَسَانُو

لاشك قد لاحظ القارئ الكريم عند البحتري قوله عن الربيع : حتى كاد أن يتكلم " لكن الربيع هنا تكلم .. بل أطال في الكلام :

دَوَاوُ قَالَ لِي : عَوْلُ يَا إِنْسَانُ تَقَطَّفَ وَرَدًا رِيًّا ضَنَا وَسُوسَانُو

وأطال في الكلام :

شَوْفُ الرِّيَاضِ فَاحٌ وَزَهْرَتِ الْأَغْصَانِ كُلُّ غُصْنٍ يَهْجِي بِ : رِيحَتْ أَفْنَانُو
وَأَطْيَارُ نَاطِقًا فَ : دَوَّاحُ الْبُسْتَانِ وَكُلُّ عَشِيقٍ أَفْشَا سَرَارُ كَتَمَ أَنْو
لِلَّهِ كَيْفَ مَــا تَزَهَا يَا حَسَنَ يَأْمَنُ سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو

كل ذلك قاله الربيع ، واستمع إليه شاعرنا ووعاه ... ونقله إلينا بالحرف الواحد قاله بلسان حاله ، أو لنقل ... يعطر زهوره ، برزققة عصافيره ، برنين نحله بتراقص فراشاته ... ولن يقول كل ذلك مولاي الربيع ؟ للانسان ... والانسان في نظر مولاي الربيع هو الرقيق الشعور ، المهرف الاحساس :

"اللِّي سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو" هذا نموذج من الابداعات الملحونة التي استعمل أصحابها هذا الفن من فنون البلاغة وأجادوا استعماله ... تجسيم ما لا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد .

ولعمري أن مثل هذه الابداعات ، جعلت العوام من هواة الملحون ، يجيدون الاستماع الى القراءن ، وهذه وحدها فضيلة وأنعم بها من فضيلة .

استمع بنعيسى اسوآيني في مقهى بلفيلالي بسلا ... الى مقرر الاذاعة يقرأ قوله تعالى : "والليل إذا يسري" فضحك وقال : "أَبْحَالُ إِلَى اللَّيْلِ عَنَّا الْاِخْتِيَارُ إِلَى بَغَا يَسْرِي يَسْرِي ، وَيَلَا مَا أَبْغَاشِي مَا يَسْرِي ... الله يرحم البري :

يَسْرِي لِي ف : الْأَسْفَاقُ سَرَى اللَّيْلُ ف : الْأَفْـاقُ

تفطن البستاني الامي الى ما في الاية الكريمة من جمال ... بل واستحضر من محفوظاته التي جعلته يتذوق هذا الجمال النموذج المناسب ، وبسرعة فائقة استمع "لكحيلي وأنا معه في "الفرناتشي" الذي يعمل فيه - الى قوله تعالى "حمر مستنفرة فرت من قسورة" فقال : "وَاللَّهِ إِلَى اتَّخِلْتَهُمْ مُطَنِّشِينَ فَرَارِزَهُمْ وَمُقَلِّشِينَ وَذَنِيَهُمْ ، وَكَأَيُّزَعْرَطُوا وَالسَّبْعُ وَرَأَهُمْ" واللله إنه مجرد قطاب ف : الفرناتشي ولا يقرأ ولا يكتب .

ودخل علينا ابن الفيلالي مرة - ونحن بدار الحسن بن زايرا - يقول : علمني هذا الشطر الازموري : "أَنْفَاسُ الصُّبْحِ أَشْأَمُ مِنْ عَيْبِ الْجَنَّةِ" كيف أتذوق وتلدق قوله تبارك وتعالى "والصبح إذا تنفس"

أما الاستعارات ، والتشبيهات ، والتعبيرات المجازية

أما الرؤى و الاخيلة والصور ، فكل "الربيعيات" "العشاقيات" و "الخمريات" وكل قصائد الاصائل والبكور ، والصبح والغبوق ، هي نماذج لها .

وقد أثبتت منها في فصل الاغراض الكثير من النصوص الكاملة .

بقي أن أشير فقط : الى الاسم الذي أطلقه الشيوخ الأوائل على هذا الارث الحضاري الثمين : "الملحون" فما معنى كلمة "ملحون" ؟

ربما كان يتعين علي أن أشير هذه الإشارة الى الاسم منذ البداية ... الا أنني فضلت أن أجعل القراء يتعرفون على حقيقة المسمى ، قبل أن أطلعهم على الأقوال التي حاول أصحابها تأويل الاسم الذي يطلق على هذا المسمى والآن وقد تم لي بعض ما أريد ، وتعرف القراء على حقيقة الملحون ولو باختصار شديد ، نرجع الى الاسم : "الملحون" .

ذهب بعضهم الى القول : أن كلمة "ملحون" تعني الخطأ اللغوي ... فما دام غير خاضع لاصول النحو وقواعد الصرف ، فهو القول "الملحون" أي القول "المغلوط" أو القول "المخطوء" ... وأنا أرى أن "الخطأ اللغوي" لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الصواب اللغوي . نقرأ قصيدة شعرية فصيحة ، أو قطعة أدبية فصيحة ويكون في القراءة بعض الخطأ .. فذلك هو اللحن أما الملحون فلهذا الخطاب فيه هي الدارجة المغربية ، وتلك طبيعتها .

نعم أن الدارجة المغربية هي الابنة البكر - أي الاولى - للعربية الفصحى ولقد ورثت عن أمها سائر مقومات التعبير العربي ، وقيمه ، وخصائصه وخصوصياته .

إلا أنها تحررت وبصفة نهائية من كل قيود النحو ، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" الذي ينبثق عنها في الاستعمال اليومي السريع ، والذي يمكن أن نعتبره "فقه الدارجة المغربية" ولغة هذه طبيعتها ... لا يستساغ أبدا أن نعتبر آدابها مغلوبة أو مخطوءة .

وذهب البعض الآخر الى القول أن كلمة "ملحون" أصلها من "اللحن الموسيقي" فهو القول الملحون ... أي الملحن بتشديد الحاء ...

ولا أنكر أنني سبق وأن اقتنعت بهذا الرأي بل وروجت له في مستهل حياتي العملية ... يوم أن كنت لا أزال اخذ المعلومات من أفواه الشيوخ ، وأعمل بها دون أن أجرو حتى على مناقشة أصحابها ، لكن الآن ، وأنا أستجوب القصيدة ، فتبوح بأسرارها ، واستنطق السرابية فتفصح عن مكنوناتها ، تعين علي أن أعيد النظر في كل المعلومات التي أخذتها من هنا وهناك على ضوء المعلومات التي بدأت أجدها في الإبداعات نفسها .

فمثلا أول من وجدنا كلمة . "ملحون" في بعض آثاره الشعرية ... هو مولاي عبد الله واحساين ... ويرجع عهده الى العصر السعدي ... نقرأ له "الهدونا" فنجدده يقول في بعض أبياتها :

وَالْكُـوْلُ كُلُّ "مَلْحُونٍ" أَوْفَ : النَّظَامُ مَمْـُوزُونُ

ويقول في ختام وصية له

"مَلْحُونُ" فَ : الْمَعَانِي مَوْزُونُ عَلَا نِظَامَتُ النَّظَامُ

وكلمة "ملحون" في البيت الاول كما في البيت الثاني لا تشير أبدا الى الالحن الموسيقية ، وإنما تشير الى ما في هذا القول من فصاحة وبلاغة وبيان .

وهكذا فإن القول الملحون هو القول البليغ ، الواصل المقنع .

ومولاي عبد الله واحساين الذي ثبت أنه كان يفصل بين الناس في قضاياهم اليومية ، وأنه كان يفتيهم في شؤون دينهم وديناهم ... لا أظنه كان يجهل معنى الحديث النبوي الشريف :

"لعل أحدهم يكون "الحن" بحجته من أخيه فاقضى له"

صلى الله على الصادق الأمين ، وعلى اله وصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .





مطبعة الجماعة
الشارع الرئيسي

الإيداع القانوني رقم 1993/982